نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

عبود الشالجي

المحامي

دار صادر

بيروت

الطبعة الاولى ، بيروت 1971
الطبعة الثانية ، بيروت 1995



دار صادر للطباعة والنشر ، ص.ب. ١٠ بيروت - لبنان
هاتف وفاكس Tel & Fax 961-4-920978 / 928271 / 922714

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

٢

مقدمة المحقق

اللهُمَّ يَسِّرْ

أقدّم لقراء العربيّة ، الجزء الثاني من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، للقاضي أبي عليّ المحسّن التنوخي .

وقد أوردت في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب ، جميع ما رغبت في إيراده ، ولم يبق عندي ، هاهنا ، ما أزيد .

وقد تردّدت ، بادئ الأمر ، في إصدار هذا الجزء ، لتعذّر الحصول على بعض المراجع من جهة ، وصعوبة الوصول إلى الموجود منها ، من جهة أخرى ، وفكرت في تأخير إصداره ، إلى وقت يتيسّر لي فيه الوصول إلى تلك المراجع ، ليخرج الكتاب أتمّ تحقيقاً ، فيكون أوفر نفعاً ، ولكن الإقبال الذي أسبغه قراء العربية ، مشكورين ، على الجزء الأول من النشوار ، شجّعني على إصدار الجزء الثاني ، على ما في تحقيقه من نقصان .

وقد رأيت أن لا أؤخّر إصدار ما حققت من أجزاء هذا الكتاب ، توخّياً لتحقيق أتمّ ، وسعياً وراء معرفة أوفر ، فإن العلم لا حدود له ، والمعرفة لا حصر لها ، وقد أحسن العماد الأصبهاني إذ قال : ما كتب إنسان كتاباً في يومه ، إلاّ قال في غده ، لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل .

فاستخرت الله ، ورأيت أن أعجّل بإصدار هذه الأجزاء ، ما تيسّر منها ، مسابقاً بإصدارها عوادي الزمان ، وحوادث الأيّام .
والله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين .

بحمدون في ٢٨ تموز ١٩٧١

عبود الشالجي
المحامي

مقدّمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قدّمتُ في الجزء الأول ، الحمد لله ، والثناء عليه ، وذكرتُ من الأخبار ، ما لم تَدْرُ ، لأنها مما لم تجر العادة بكتب مِثْلِها ، ولا ما يكاد أن يتجاوز به الحفظ في الضمائر، إلى التخليد في الدفاتر ، وإنّها من جنسٍ ما سبقت إلى كَتْبِه ، وإنّما يستحسن في المحاضرة ، ويطيب في المذاكرة ، إذا جرى ما يقتضيه ، وعرَضَ ما يستدعيه .

وذكرت إنّها تتضمّن من شريف الفوائد ، وطريف المآثر، كلّ لون ، وتجمع كل لون من الحِكَم الجديدة ، والأمثال المفيدة ، والرسائل البليغة ، والأشعار المطربة المليحة ، التي لم يشهرها قائلوها بالنشر ، ترفّعاً لأنفسهم فيها عن النشر والتسطير ، أو كما اتّفق عليهم .

وتثنّي مع ذلك [بنُتَفٍ] من كرم الأجواد، وقصص الأمجاد، والأحاديث الأفراد ، ومعايب البخّال [1] ، ونوادر الجهّال ، وَواعِظِ المنامات، وطَرِيف الاتّفاقات ، وعيون الفنون والحكايات ، وأخبار ضروب الناس وأخلاطهم وجلّتهم وأوساطهم ، مما لا تعبّر عنه الكتب ، ولا يكاد يوجد مسطوراً عند أهل الأدب .

وأفصحت عن السبب الذي حرّكني على جمعها ، ونشّطني لكتبها ،

---

[1] البخال : بفتح الباء وتخفيف الخاء أو تشديدها ، الشديد البخل .

وهو ما اعتبرته[1] من تغيّر الطبائع ، واستحالة الصنائع ، وموت الرجال ، وقلّة الأموال ، وفقد الكمال ، في أكثر الأحوال ، وعدم الراغب في الحفظ ، لليسير من اللفظ ، فضلاً عن الكثير ، وتواطئ الجمهور ، على هذه الأمور ، في هذا الزمان الصعب ، الكثير النُّوَبِ ، القاطع بِمحنِهِ عن الأدب .

واعتذرت إلى قارئها من التقصير فيها، بأن قلت : إنّه لو لم يكن فيها ، إلاّ أنّها خير من موضعها بياضاً ، لكفى .

وأطلت الكلام في صدر الجزء الأول بما لا يقتضيه هذا المكان ، والله الموفّق للإحسان ، وهو خير مستعان[2] .

---

١ في الأصل : ما اعتذر به ، والصحيح ما أثبتناه ، واعتبر : اختبر .

٢ انفردت نسخة ط بهذه المقدمة .

١

علوّ نفس أبي جعفر القاضي

حدّثني أبي[١] ، رضي الله عنه ، قال : حدّثني سهل بن عبد الله الإيذجي[٢] ، وكان أحد شهودها ووجوهها[٣] ، ويخلفني على القضاء ، وغيري ، بها طويلاً ، قال : حدّثني أبي ، وكان رئيس البلد، ومن وجوه شهوده :

أنّ أبا جعفر ، محمد بن منصور القاضي[٤] ، لما تقلّد كور الأهواز[٥] ، من قِبَلِ المتوكل ، أوّل دفعة ، وَوَرَدَها ، أحبّ أن يطوف عَمَلَهُ .

قال : وكان شديد الشرف ، عظيم النعمة والنفقة في مروءته ، حتى إنّه كان يستعمل في مطبخه ، بدلاً من الشيرج[٦] ، دهن اللوز والجلّوز[٧] . وكان في داره رحى لطيفة ، يديرها حِمارٌ له ، يستخرج عليها دهن اللوز دائماً .

وكان يستعمل في مطبخه ، من اللحم ، والدجاج ، والفراخ ، والحملان ، والجداء[٨] ، أكثر ممّا يتّخذه الوزراء ، في كثير من الأمور .

---

١ والد المؤلف : أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، ترجمته في حاشية القصة ٢ / ٧٤ من النشوار .

٢ راجع القصة ٢/١٠٩ والقصة ٣ / ١٧٨ من النشوار .

٣ يعني من وجوه ايذج وهي بلدة من كور الأهواز .

٤ جاء في أخبار القضاة للقاضي وكيع (٣/٣٢٠) : أن القاضي محمد بن منصور ولي قضاء الأهواز ثلاث مرات ، وليها أولا ، ثم عزل بالكلبي ، ثم رد محمد بن منصور إلى سنة أربعين (يعني ٢٤٠) ثم أشخص إلى سرمن رأى ، ثم أعيد .

٥ كور الأهواز : راجع حاشية القصة ١/١٢٤ من النشوار .

٦ السيرج والشيرج : دهن السمسم ، من الفارسية (شيره) .

٧ في الأصل : الجلوا ، والجلوز حب الصنوبر الكبار ، معرب عن (جالفوزة) فارسية .

٨ الجداء جمع الجدي ، وهو ولد المعز في السنة الأولى .

فقدم علينا ، فأبعَدْنا في تلقّيه[1] ، وسألناه النزول علينا، فامتنع . وقال: لا يجوز للقاضي أن ينزل على أحد .

فقلنا [١٠٦ ط] له : فنفرغ لك أحد المنازل ، فكأنّه أجاب إلى هذا . وسبقناه إلى البلد ، فأخلينا له داراً من دورنا ، وجاء فنزل فيها .

فاجتهدنا في قبول غلمانه لَطَفاً[2] منّا ، أو شيئاً ، قليلاً أو كثيراً ، فامتنعوا ، وقالوا : إنّه متى عَلِمَ أنّكم فعلتم ذلك ، صارت عداوة ، وما قبلَ لأحد من خَلْقِ الله شيئاً قط .

فلمّا كان بعد أسبوع ، استدعاني ، فقال لي : يا أبا محمد ، كيف سعر الخبز عندكم ؟

فقلت : خمسون رطلاً بدرهم .

فقال : فالدجاج ؟

فقلت : ثلاث بدرهم .

فقال : فالفراخ ؟

فقلت : ستة بدرهم .

قال : فالجداء ؟

فقلت : أجود جَدْيٍ بدرهمين .

وأخذ يسائلني عن العسل ، والسكّر ، وحوائج السقط ، وغير ذلك ، من الفواكه ، والثلج ، وأنا أخبره بسعر البلد على الحقيقة ، بالذي يُشْتَرى لنا ، ولسائر الناس مثله ، ويقول : أهكذا يشترى لكم ؟ فأقول : نعم .

فلما استتمّ الكلام ، قال : يا غلام ، قل للموكّلين ، والفراشين ، أن

---

١ يعني استقبلناه من مكان بعيد .

٢ اللطف : بفتح اللام والطاء : الهدية .

يحملوا ، ويشدّوا الثَّقَلَ[1] على البغال والجمال ، وتَقَدَّمْ إلى الغلمان بالمسير مع السواد ، وأن يتخلّف معي للركوب مَنْ جَرَتْ عادته بذلك ، وأسرِجوا لي الدواب والعمّاريّة[2] ،

فقلت : أحَدَثَ ، أعزّ الله القاضي ، أمر ؟ .

فقال : نعم ، إنّني أحاسب وكيلي ، في كل أُسبوع يوماً ، على ما ينفقه في طول الأسبوع ، ولما كان البارحة ، حاسبته ، فرفع إليّ من أسعار ما اشتراه ، مِثْلَ ما ذكرت ، فكِدْتُ أن أوقع[3] به ، ولم أشكّ في أنّكم قد دسستم إلى الباعة ، أن يبيعوه بهذا السعر ، إرفاقاً لنا ، لمّا امتنعنا من قبول هداياكم ، ثم توقّفت عن الإيقاع به ، إلى أن أسألك عن الصورة ، وأكشف .

فلما جئتني اليوم ، وسألتك ، وأنت عندي مقبول الشهادة ، وقلت لك ، أن تخبرني ، كيف تشتري أنت وأهل البلد ، فأخبرتني أنّك وَهُمْ تشترون بهذا ، علمت أنّ هذا بَلَدٌ لا تقوم فيه مروءةٌ لشريف ، وأنّ الضعيف والشريف فيه يتساويان في اللذّات والمروءات ، فلا حاجة لي بالمقام[4] فيه ، ولا بدّ أن أرحل الساعة ، وأجعل مقامي بحيث تبين مروءتي ، وتظهر نعمة الله عندي .

قال : ورحل عنّا من يومه[5] .

---

١ الثقل : متاع المسافر .

٢ العمارية : شبه الهودج يوضع على ظهر الدابة ويركب فيه المسافر .

٣ في الأصل : آمر .

٤ في الأصل : القيام .

٥ انفردت بها ط .

٢

الحكم كالسهم إذا نفذ لم يمكن ردّه

وحدّثني أبي ، رضي الله عنه ، إنّ بعض المعمّرين من الشهود بالأهواز ، حدّثه ، وذكر هو الشاهد وأنسيته أنا ، عن أبيه أو بعض أهله ، قال :

كان محمد بن منصور ، يتقلّد القضاء بكور الأهواز ، وعمر بن فرج الرُّخّجيّ[١] ، يتقلّد الخراج بها .

وكانا يتوازيان في المرتبة السلطانية ، فلا يذهب القاضي إلى الرخجيّ إلا بعد أن يجيئه ، ويتشاحّان على التعظيم ، وترد كتب الخليفة إليهما ، بخطاب واحد ،

قال : وتولّدت [١٠٧ ط] من ذلك ، عداوة بينهما ، فكان الرخّجيّ يكتب في القاضي ، إلى المتوكل ، فلا يلتفت إلى كتبه ، لعظم محلّه عند المتوكّل، ويبلغ ذلك القاضي ، فيقلّ الحفل به، ويظهر الزيادة في التعاظم عليه.

فلما كان في بعض الأوقات ، ورد كتاب المتوكل ، على الرخّجيّ ، يأمره بأمر في معنى الخراج ، وأن يجتمع مع محمد بن منصور القاضي ، ولا

---

١ عمر بن فرج بن زياد الرخجي : نسبته إلى رخج ، كورة ومدينة في نواحي كابل (معجم البلدان ٢/٧٧٠)، كان من كبار العمال في الدولة العباسية ، واشتهر هو وأبوه بسوء السيرة ، قال المسعودي في مروج الذهب (٢/٤٠٣) : في سنة ٢٣٣ سخط المتوكل على عمر بن فرج الرخجي ، وكان من علية الكتاب ، وأخذ منه مالا وجوهراً نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار ، ثم غضب عليه غضبة ثانية ، وأمر أن يصفع في كل يوم،فأحصي ما صفع،فكان ستة آلاف صفعة ، وألبسه جبة صوف ، وسخط عليه ثالثة ، وأحدره إلى بغداد ، وأقام بها حتى مات . راجع المفوات النادرة رقم ١٥٧ ص ١٥١ ، والفرج بعد الشدة ٢ / ٦٤ .

ينفرد عنه ، وورد بالكتاب ، خادم كبير من خدم السلطان .

فأنفذ الرخّجيّ إلى القاضي ، فأعلمه ، وقال : يصير إلى ديوان الخراج لنجتمع فيه على امتثال الأمر .

فقال القاضي : ولكن تصير أنت إلى الجامع ، فنجتمع فيه ، وتردّد الكلام بينهما ، إلى أن قال الرخّجيّ للخادم : ارجع إلى حضرة أمير المؤمنين ، واذكر القصّة ، وإنّ قاضيه يريد إيقاف ما أمر به .

وبَلَغَهُ الخبر ، فركِبَ محمد بن منصور ، إلى الديوان ، ومعه شهوده ، فدخله ، والرخجيّ فيه في دست ، وكتّابه بين يديه ، فلما بصروا به ، قاموا إليه ، إلاّ الرخّجيّ .

فَعَدَلَ القاضي عن موضعه في الديوان ، فجلس في آخر البساط ، بعد أن أمر غلامه ، فطوى البساط ، وجلس على البارية [1] ، وحفّ شهوده به ، وجاء الخادم ، فجلس عند القاضي ، وأوقفه على الكتاب .

ولم يزل الرخّجيّ ، يخاطب [2] القاضي ، وبينهما مسافة ، حتى فرغوا من الأمر .

فلما فرغوا ، قال الرخّجيّ ، للقاضي : يا أبا جعفر ، ما هذه الجبريّة [3] ؟ لا تزال تتولّع بي ، وتتحكّك بمنافرتي ومضاهاتي ، وتقدّر أنّك عند الخليفة — أطال الله بقاءه — مثلي ، ومحلّك يوازي محلّي .

قال : وأسرف في هذا الجنس من الفنّ ، وحمي في الخطاب ، والقاضي ساكتٌ .

إلى أن قال الرخّجيّ ، في جملة الكلام : والخليفة — أعزّ الله نصره —

---

١ البارية : الحصير المصنوع من القصب ، ولم يزل هذا اسمها في بغداد .

٢ في الأصل : يطالب .

٣ الجبرية : الكبرياء .

لا يضرب على يدي في أمواله التي بها قيام دولته ، ولقد أخذْتُ من ماله ، ألف ألف دينار ، وألف ألف دينار ، وألف ألف دينار ، وألف ألف دينار ، فما سألني عنها . وإنّما إليك أن تحلّف مُنْكِراً على حقّ ، أو تفرض لامرأة على زوجها ، أو تحبس ممتنعاً عن أداء حقّ .

وأخذ يعدّد هذا وشبهه ، وأبو جعفر ، كلّما ذكر الرخّجيّ ألف ألف دينار ، وثنّى القول ، يعدّد بأصابعه ، وقد كَشَفَها ليراها الناس .

فلما أمسك عمر ، لم يجب بشيء ، وقال : يا فلان الوكيل .

قال : لبيك أيّها القاضي .

قال : سَمِعْتَ ما جرى ؟

قال : نعم .

قال : قد وكّلتك لأمير المؤمنين وللمسلمين ، على هذا الرجل في المطالبة بهذا المال .

فقال له الوكيل : إن رأى القاضي أن يحكم بهذا المال للمسلمين .

قال : والرخّجيّ مُمْسِكٌ ، والناس حضور على بكرة أبيهم [1] ، لا يدرون ما يريد أن يفعل .

قال : فأخذ محمد بن منصور دواة ، وكتَبَ بخطّه في مربّعة [2] سجلاً بذلك المال ، ورمى به إلى الشهود ، وقال : اشهدوا على إنفاذي الحكم بما في هذا الكتاب ، وإلزامي فلان ابن فلان ، هذا ، وأومأ بيده إلى [١٠٨ط] الرخّجيّ ، بما أقرّ به عندي من المال المذكور مبلغه في هذا الكتاب للمسلمين .

---

١ يقال : جاءوا على بكرة أبيهم ، إذا جاءوا جميعاً ولم يتخلف أحد ، والعامة ببغداد يقولون « جو عن بكرة أباهم » يعني : جاءوا بأجمعهم .

٢ المربعة : على ما يظهر ورقة مربعة الشكل تسجل فيها أحكام القضاة .

وكتب الشهود خطوطهم بالشهادة بذلك ، وختموها ، وأخذها محمد ابن منصور ، وجعلها في كُمّه ، ونهض .

وأخذ الرخّجيّ يهزأ بالقاضي ، ويظهر التهاون بفعله ذلك .

وقال له لمّا أراد القيام، طانزاً[1] : يا أبا جعفر، بالغت في عقوبتي، قتلتني .

فقال أبو جعفر : إي والله .

فما سمعناه أجابه بغيرها ، وافترقا ، وكتب صاحب الخبر ، للوقت ، إلى المتوكل .

قال : فبلغنا أنّ كتابه لما عُرِضَ على المتوكل ، أحضر وزيره ، وقال له : يا فاعل يا صانع ، أنا أقول لك منذ دهر ، حاسِبْ هذا الخائن المقتطع ، الرخّجيّ ، على أموالنا ، وأنت تدافع ، حتّى حفظها الله علينا ، بقاضينا محمد بن منصور ، ورمى إليه بكتاب صاحب الخبر .

وقال له : قد ظهرت الآن أموالنا ، في سقطات قوله ، وفلتات لسانه[2] ، وهذه عادة الله عزّ وجل عند أئمّة عباده ، أن يأخذ لهم أعداءهم ، اكتب الساعة بالقبض على الرخّجيّ ، وتقييده ، وغلّه ، وحَمْلِه .

قال : فخرج الوزير ، وهو على غاية القلق ، لعنايته بالرخّجيّ ، واستدعى خليفته[3] وقال له : اكتب إليه الساعة، قد تسرّعت يا مشوم ، وقتَلْتَ نفسك ، ما كان الذي دعاك إلى معاداة القضاة ؟ ، قد جرى كيت وكيت ، وأنت مقتول إن لم تَتَلافَ أمر محمد بن منصور ، فاجتهد فيه ، وأعلِمْه ، أنّي هوذا ، أؤخّر اليوم فقط ، في إنفاذ من يقبض عليه ، إلى أن يحكم

---

١ طانزاً : مستهزءاً .
٢ في الأصل : أفعاله .
٣ يعني خليفة الرخجي ، وقد كان لكبار العمال ، مثل عامل الأهواز وعامل مصر وغيرهما ، خليفة في الحضرة .

أمره مع القاضي ، وأقول للخليفة : إنّي قد أنفذت إليه ، وأنفذ إليه في غدٍ ، من يمتثل الأمر فيه .

فلما ورد كتابه على الرخّجيّ ، قامت قيامته ، وأحضر من يختصّ به ، فشاوره . فقال له : تركب الساعة إليه ، وتطرح نفسك عليه .

قال : فركب إليه ، في موكب[1] عظيم ، فحجبه القاضي . فاجتهد في أن يوصله إليه ، فما كان إلى ذلك طريق ، فرجع خجلاً .

وقال لأصحابه : ما ترون؟ فإنّي أخاف أن يقدم العشيّة من يقبض عليّ .

فقالوا له : إنّ للقاضي رجلاً تانئاً[2] ، من أهل البلد ، يقال له : فلان ، قد اصطنعه ، وائتمنه ، ويريد قبول شهادته ، وهو غالبٌ عليه جداً ، فتستدعيه ، وتكتب له روزاً[3] بشيء من خَراجِهِ ، وتسأله أن يوصلك إليه ، ويستصلحه لك .

فأحضره الرخّجيّ، وكتب له روزاً بألف دينار من خراجه، وسأله ذلك.

فقال له : أمّا استصلاحه لك ، فلا أضمنه ، ولكن أوصلك إليه .

فقال له : قد رَضيتُ .

فقال : إذا كان وقت المغرب ، فانتظرني ، وخرج الرجل .

فلمّا كان وقت المغرب ، صار إلى الرخّجيّ ، فقال : تلبس عمامة ، وطيلساناً ، وتركب حماراً ، وتجيء .

قال : ففعل ذلك ، وركبا بغير شمعة .

وجاء الرجل ، فقال للحاجب : استأذن لي على القاضي ، ولصديق لي معي ، فدخل إليه وخرج فقال : ادخلا .

---

١ في الأصل : موضع .

٢ في الأصل : شاباً ، والتانىء هو المقيم في البلد من وجوه أهلها .

٣ الروز : الوصل المثبت الاستلام .

فحين شاهد القاضي الرخّجيّ ، أقبل يصيح ويقول : هذا الحال، وأنت أمين ؟ هاه .

ثم قال [١٠٩ ط] للرخّجيّ : اخرج عافاك الله عن داري .

قال : فبادر الرخّجيّ ، فأكبّ على رأسه ، فلما رآه القاضي قد فعل ذلك ، قام إليه ، فعانقه .

وبكى الرخّجيّ بين يديه ، ودفع الكتاب إليه .

قال : فبكى القاضي ، وقال : عزيزٌ عليّ يا هذا ، ما كان اضطرّك إلى الإقرار ؟

فقال : تحتال في أمري ،

فقال : والله ما لي حيلة ، فإنّ الحكم كالسهم ، إذا نفذ لم يمكن ردّه ، فجهد به الرخّجيّ ، فما زاده على ذلك ، فانصرف بأقبح منصرف .

فلما كان من الغد ، ورد خادم ، فقبض عليه وغلّه ، وقيّده وحَمَلَهُ .

وورد كتاب الخليفة على القاضي ، يقول : أحسن الله جزاءك على ما فعلته في حفظ أموال المسلمين ، وقد كنّا نأمر بمحاسبته ، فيتأخّر ذلك لعوائق ، والآن فقد أقرّ طائعاً غير مكره ، فما نؤثر معاملته ، إلاّ بما يعمله أهل الذمة لو كانوا في مكاننا ، من أخذ الحق بالحكم ، وقد أنْفَذْتَهُ على الواجب ، بارك الله عليك، وإنّ للرجل أملاكاً قبلك ، فتنصب من يبيعها ، وتحمل ثمنها إلى بيت المال ، قضاء لما أقرّ به .

قال : فنصب محمد بن منصور ، من باع أملاك الرخّجيّ في كور الأهواز ، على عظمها ، وحمل ثمنها إلى بيت المال ، فهي الأملاك المبيعة ، التي تعرف إلى اليوم بالرخجيّات .

وحصل الرخّجيّ في العذاب بسر من رأى [1] .

---

١ انفردت بها ط ، ووردت في كتاب المفوات ١٥١ .

٣
شيخ أهوازي يسعى في صرف
عامل الأهواز

وحدّثني خال والدي ، أبو القاسم بن أبي علاّن ، عبد الله بن محمد ابن مهرويه [١] . قال : أخبرني شيخ من شيوخنا ، قال :

كان عمر بن فرج الرخّجيّ ، يتقلّدنا في الدفعة الأولى ، ثم صُرِفَ عنّا ، وَولينا عاملٌ بَعْدهُ .

فخرجنا في بعض السنين نتظلّم ، وكانت أملاك عمر عندنا كثيرة وله البستان المعروف بالتفرّج قديماً ، الذي في وسط البلد ، ويعرف الآن بالبستان الصغير .

قال : فلما حصلنا بحضرة الخليفة نتظلّم ، عارَضَنا عمر ، وأخذ يكلّمنا بكلام عارف بالبلد ، محتجّ بحجاج صحيح يبطل به ظلامتنا .

وكان المتكلم عنّا ، فلان ، رئيس البلد ، أسماه أبو القاسم وأنسيته ، فأومأ إلينا أن اسكتوا ، فسكتنا .

فقال : أيدّ الله أمير المؤمنين ، قد أضجرناه اليوم بالخطاب، فنعود في مجلس ثان .

فقال : ذاك إليكم .

فانصرفنا ، فقلنا له : ما حملك على هذا ؟

فقال : إنّكم لا تعلمون ما علمت .

قال : فلما كان عشيّاً ، جئنا إلى منزل عمر ، ودخل إليه ، ونحن

---

١ راجع القصة ١/١١٩ و ١/١٢٠ من النشوار .

معه ، فاستخلاه مجلسه ، فأخلاه .

فقال له : يا هذا ، إنّك أخذت اليوم تسعى على دمائنا ، وناظرْتنا مناظرة عارفٍ ببلدنا ، ولو رددنا عليك ، لكنّا إما أن نقطعك ، أو تقطعنا فنهلك ، ولم تكن بك حاجة إلى ما عاملتنا به ، ولا فائدة لك . ولا أنت الآن عاملنا ، فيخرج عن يدك ما تنظر لنا به ، وإنّا قد وردنا ومعنا في أنفسنا أمر ، إن عدنا إلى بلدنا بغيره سقط جاهنا ، وقال أكثر أهل الكور : خرجوا فما عملوا شيئاً ، ولا يخلو إمّا أن يكون ما التمسناه حقّاً أو باطلاً ، فإن كان حقاً ، فقطعك لنا عنه ظلم [١١٠ ط] وإن كان باطلاً ، فمنعك لنا منه ذلّ ، وليس يجوز لنا الرجوع إلاّ به ، لأنّ في رجوعنا ذهاب الجاه ، وطمع العمال[1] في نعمتنا ، وأنت تعلم ما لك عندنا من الضياع والأموال ، وعليّ وعليّ ، قال : وحلَفَ بالطلاقِ وأيمان البيعة ، لئن لم تعاونّا غاية المعاونة ، وتشهد لنا في المجلس الثاني بكلّ ما نريده لأخرجنّ الساعة ، وأعملنّ عملاً بخراجك وضياعك ، وما أسقطته عن نفسك أيّام تقلّدك البلد ، من أصول الخراج ، واقتطعته من العمالة أيضاً ، ويشتمل على ألفي ألف دينار ، وأقول للخليفة : إنّ لك عندنا مبقلة ، ستون جريباً ، قيمتها ستون ألف دينار – يعني البستان الذي تقدّم ذكره – وهو المتوكّل[2] ، وأقيم هؤلاء شهوداً كلهم ، يشهدون عليك بصحّة المال ، ويواجهونك بما أنسبه إلى أنّك أخذته منهم ومن غيرهم ، ويحلفون عليه ، وأواجهك بالسعاية والوقيعة ، بحضرة المتوكّل ، وأدع ما قدمت له ، حتى إذا وَقَعْتَ في النكبة والمطالبة ، رهبني الوزراء أوّلاً ،

---

١ في الأصل : العوامل .

٢ في الأصل : وهو للمتوكل ، والصحيح ما أثبتناه ، وهي كلمة تهديد للرخجي .

وكلّ من يعلم أنّني كنت سبب نكبتك ، من العمّال ، وأصحاب الدواوين ، وصاروا أعواناً لي وشهوداً ، فأبلغ بذلك محبّتي ، وأرجع إلى منزلي سالماً ، وأنت منكوب .

قال : فحين سمع عمر ذلك ، اسودّ وجهه ، وقال : أو أيش ؟

قال : تحلف أنّك تشهد لنا ، وتعاوننا .

قال : فحلف على ذلك ، وقمنا .

فلما كان في المجلس الثاني ، حضرنا حضرة المتوكّل ، وأقبلنا نتظلّم ، وعمر يشهد لنا ، ويصدّق قولنا .

فما برحنا إلاّ بصرف عاملنا ، وبالنظر لنا في معظم حوائجنا ، واحتسابه لنا بمظالم التمسناها ، وبلغنا ما أمّلناه وقدّرناه، وزدنا عليه ، وخرجنا .

فقال لنا الشيخ : كيف رأيتم هذا الرأي ؟ أيّما كان أجود ، هذا ، أو أن نحاجّ عمر بن فرج في ذلك المجلس ، ويحاجّنا ، ويضرّنا بمناظرته ، فيضجر الخليفة ، فيأمر بإخراجنا ، فلا نصل إليه أبداً ، ويقول : هؤلاء طامعون بالمال ، ونعود بالخيبة إلى منازلنا ، بعد السفر والنفقة .

فقلنا له : أحسن الله جزاءك ، فأنت أبصر منّا بالرأي[1] .

---

١ انفردت بها ط .

٤

من مكارم أخلاق المأمون

من أحاديث أبي الحسن محمد بن عليّ بن الخلاّل البصري ، رحمه الله ، قال : حدّثني أبو القاسم ، عليّ بن محمّد بن أبي الفهم التنوخيّ ، رحمه الله [١] ، قال : قال محمد بن منصور القاضي :

التمس أمير المؤمنين المأمون ، رجلاً يكون بصحبته في بعض أسفاره ، فأُشير عليه بي ، وكنت حَديثَ السنّ ، فركبت معه في العمّارية ، فأجلسني عن يمينه ، فلما أمسينا غلبني النوم .

فقال لي من غد : نومك يا محمد ، نوم الشباب ، فاجعل الليل أثلاثاً ، فثلث للحديث ، وثلث للنوم ، وثلث للذكْرِ ، ثم أدارني فأجلسني عن شماله .

ثم قال لي : أتدري لِمَ أجلستك بالأمس عن يميني ؟

فقلت : لا ، يا أمير المؤمنين .

فقال : إنّي وجدت في معدتي بلّة [٢] وما تنخّمت [٣] قط عن يميني .

قال القاضي التنوخيّ : وكان محمد بن منصور [١١١ط] هذا ، نبيلاً ، جليلاً ، ذا مروءة تامّة [٤] .

---

١ علي بن محمد التنوخي : هو والد المحسن صاحب النشوار ، ترجمته في حاشية القصة ٢ / ٧٤ من النشوار .

٢ البلة : يريد بها كثرة الريق .

٣ النخامة : ما يطرده الإنسان من صدره أو أنفه ، والتنخم : دفع النخامة .

٤ انفردت بها ط .

٥

مروءة القاضي محمد بن منصور

وأخبرني بعض شيوخنا :

إنّه[١] لما تولّى الحكم بكور الأهواز، دخل إلى جنديسابور ، فنظر في حساب وكيله ، فإذا هو قد احتسب عليه بثمن جَدْيٍ ، درهم ، وثمن عشرة أفراخ ، درهم .

فقال للموكّل له : ألم أتقدّم إليك ، ألاّ تبتاع شيئاً ، من بائع يعلم أنّك وكيلي ؟

قال : بلى ، وعلى ذلك أعمل .

قال : فلو لم يعلم البائع ، أنّك وكيلي ، لما حاباك هذه المحاباة .

فقال : هذا ما ابتعته بهذا البلد ، وهكذا يباع لسائر المبتاعين .

فالتفت إلى بعض شهوده ، فقال : أهكذا هو ؟

فقالوا : قد حيف عليه ، أيّها القاضي ، إنّا لنبتاع الجدي بأربعة دوانيق ، ونحوها .

فقال : هذا بلد لا يقيم فيه ذو مروءة .

ثم أسرع بالرحيل عنه[٢] .

---

١ يعني القاضي محمد بن منصور .

٢ انفردت بها ط .

٦
حرمة القضاء في العهد العباسي

قال التنوخيّ : وأخبرني بعض شيوخنا ، عنه[١] :

إنّه كان جالساً للحكم ، في المسجد الجامع بسوق الأهواز ، فاجتاز بباب الجامع عامل الكور ، فرأى جمع الناس . فقال : ما هذا ؟

قالوا : هذا القاضي .

قال : هذا كلّه لأبي جعفر ؟

فَنُقِلَتِ الحكاية إليه ، فقطع النظر ، وانصرف إلى داره ، وكتب إلى السلطان يومئذ ، يقول : إنّ فلاناً العامل ، اجتاز بي ، وأنا أنظر في الحكم في المسجد الجامع ، فذكرني بحضرة العامّة ، بالكنية دون اللقب ، ذِكْرَ المزري عليّ ، المانع لي من التشريف الذي البسنيه أمير المؤمنين ، وإنّ الذي أنظر فيه إنّما هو انتزاع أموال الناس ، التي فيها يتهالكون ، وعليها يتقاتلون ، وأنا أنتزعها بالهيبة والكرامة .

فخرج أمر السلطان ، بأن يضرب ذلك العامل ، على باب المسجد بالأهواز ألف سوط .

فلما وقف على ذلك، خليفة العامل بالحضرة ، اجتهد في إزالته بكل حيلة، فما أمكنه .

فبذل للفيج[٢] الحامل للكتاب ، مائة دينار ، ليتأخر عن النفوذ ، ليلة واحدة ، ثم بادر برسوله إلى العامل ، يَصِفُ ما جرى ، وما فعله من استنظار الفيج ، ليقدّم الحيلة في الدفع عن نفسه .

---

١ يعني القاضي محمد بن منصور .

٢ الفيج : الرسول الذي يحمل الرسائل من بلد إلى بلد .

فلمّا ورد الرسول إلى العامل ، نهض من وقته ، إلى بعض إخوان القاضي ، من شهود البلد ، وطرح نفسه عليه ، ولم يعلم باطن أمره ، وسأله إصلاح قلب القاضي له .

فصار معه إلى باب القاضي ليلاً ، ولم يزل حتى وَصَل إليه ، وأغرق في الاعتذار إليه ، والخضوع له ، حتى قال : قد قبلت العُذْر ، وصفحت عن الذَنْبِ ، فانصرف .

فغاداه الفيج بما أمر به في بابه ، فقال : إنّي قد صفحت عنه [1] .

٧

جزاء الوالي الظالم

قال أبو الحسين محمد بن علي بن إبراهيم بن شعيب ، وحدّثني القاضي أبو عبد الله الحسين بن شعيب الأرجاني ، وكان من شيوخ أهل العلم والرئاسة ببلده :

أنّ عاملاً للمكتفي [2] رحمة الله عليه ، بكورة أرجان [3] ، طالب بعض أهل الخراج بخراجه ، فتغيّب عنه ، فأمر بإحراق بابه .

فاتصل الخبر بالمكتفي ، فأنفذ من قبض [١١٢ط] على العامل ، فضربه على باب المسجد بأرجان ، ألف سوط [4] .

---

١ انفردت بها ط .

٢ المكتفي : ترجمته في حاشية القصة ١٥٥/١ من النشوار .

٣ أرجان : راجع حاشية القصة ١٧٤/١ من النشوار .

٤ انفردت بها ط .

٨

الجذوعي القاضي يشهد

على الخليفة المعتمد

قال أبو الحسين محمد بن علي [١] ، وحدّثني أبي رحمه الله ، وسمعته من غيره :

إنّ القضاة والشهود ، بمدينة السلام ، أُدخلوا على المعتمد على الله [٢] للشهادة عليه في دين كان اقترضه عند الإضاقة بالإنفاق على حرب صاحب الزنج [٣] .

فلما مثلوا بين يديه ، قرأ عليهم إسماعيل بن بلبل [٤] الكتاب ، ثم قال : إن أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — يأمركم أن تشهدوا عليه ، بما في هذا الكتاب .

فشهد القوم ، حتى بلغ الكتاب إلى الجذوعي القاضي [٥] ، فأخذه بيده وتقدم إلى السرير ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أشهد عليك بما في هذا الكتاب؟

فقال : اشهد .

فقال : لا يجوز ، أو تقول : نعم ، فأشهد عليك .

---

١ هو أبو الحسين محمد بن علي بن إبراهيم بن شعيب المذكور في القصة السابقة .

٢ الخليفة المعتمد : أحمد بن جعفر المتوكل ، ولد بسامراء ، وولي الخلافة سنة ٢٥٦ ، وكان الأمر مدة خلافته إلى أخيه الموفق طلحة ، ولم يكن له من الخلافة سوى الاسم ، توفي سنة ٢٧٩ (الأعلام ١/١٠٢) .

٣ صاحب الزنج علي بن محمد الورزنيني : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٨ من النشوار .

٤ إسماعيل بن بلبل : وزير المعتمد : راجع ترجمته في حاشية القصة ١/٧٦ من النشوار .

٥ الجذوعي القاضي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد الأنصاري ، كان ثقة ، وتوفي سنة ٢٩١ ببغداد (المنتظم ٦/٤٨) .

فقال : نعم ، فشهد في الكتاب ، ثم خرج .

فقال المعتمد : من هذا ؟

فقيل له : هذا الجذوعي البصري .

فقال : وما إليه ؟

فقالوا : ليس إليه شيء .

فقال : مثل هذا لا يكون مصروفاً ، فقلّدوه واسطاً .

فقلّده إسماعيل ، وانحدر .

فاحتاج يوماً إلى مشاورة الحاكم ، فيما يشاور في مثله ، فقال : استدعوا القاضي ، فحضر ، وكان قصيراً ، وله دنّيّة [1] طويلة ، فدخل في بعض الممرّات ومعه غلام له ، فلقيه غلامٌ كان للموفّق [2] ، وكان شديد التقدّم عنده ، وكان مخموراً ، أو سكراناً ، فصادفه في مكان كان خالياً من الممرّ ، فوضع يده على دنّيّته ، حتى غاص رأسه فيها ، وتركه ومضى .

فجلس الجذوعي في مكانه ، فأقبل غلامه ، حتى فتقها ، وأخرج رأسه منها ، وثنى رداءه على رأسه ، وعاد إلى داره ، وأحضر الشهود ، وأمرهم بتسلّم الديوان ، ورسل الموفّق يتردّدون ، وقد سترت الحال عنه . حتى قال بعض الشهود ، لبعض الرسل ، الخبر ، فعاد إلى الموفق ، فأخبره بذلك .

فأحضر صاحب الشرطة ، وأمره بتجريد الغلام ، وحمله إلى القاضي ، وضربه هناك ألف سوط .

وكان والد هذا الغلام من جلّة القوّاد ، ومحلّه محلّ من لو همّ بالعصيان أطاعه أكثر الجيش ، فترجّل القوّاد ، وصاروا إليه ، وقالوا : مرنا بأمرك ،

---

١ الدنية : عمامة تشبه الدن في شكلها ، كانت تلبسها القضاة .

٢ الأمير الموفق طلحة : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٣ من النشوار .

فقال : إنّ الأمير الموفّق ، أشفق عليه منّي .

فمشى القوّاد بأسرهم مع الغلام ، إلى باب الجذوعي ، فدخلوا عليه وضرعوا له ، فأدخل صاحب الشرطة ، والغلام ، وقال : لا تضربه .

فقال : لا أقدم على خلاف أمر الموفّق .

فقال : فإنّي أركب إليه ، وأزيل ذلك عنه .

فركب فشفع له ، وصفح عنه[1] .

٩

إيحاشك فقد ، وإيناسك وعد

حدّثني أبي رضي الله عنه :

إنّ صديقاً لأبي خليفة القاضي[2] ، اجتاز عليه راكباً ، وهو في مسجده ، فسأله أن ينزل عنده ليحادثه .

فقال : أمضي وأعود .

فقال له أبو خليفة : إيحاشك فقد ، وإيناسك وعد[3] .

---

١ انفردت بها ط ، ووردت في المنتظم ٦ / ٤٨ وتاريخ بغداد ٣ / ٢٠٥.

٢ أبو خليفة القاضي ، الفضل بن الحباب بن محمد الجمحي : ولي القضاء بالبصرة ، وكان شاعراً ، وله تآليف في الشعر والأدب ، توفي سنة ٣٠٥ بالبصرة (أخباره في معجم الأدباء ٦/١٣٤ وفي مروج الذهب للمسعودي ٢/٥٠٠ و ٥٠١) .

٣ انفردت بها ط ، ووردت في معجم الأدباء ٦ / ١٣٧ .

١٠

أبو خليفة القاضي والكلام المسجوع

قال : وكان أبو خليفة[١] كثير الاستعمال للسجع في ألفاظه .

وكان بالبصرة رجل يتحامق، ويتشبّه به، يعرف بأبي الرطل ، ولا يتكلّم إلاّ بالسجع ، هزلاً كلّه .

فقدّمت هذا الرجل امرأته إلى أبي خليفة، وهو يلي قضاء البصرة [١١٣ط] إذ ذاك ، وادّعت عليه الزوجية والصُّداق ، فأقرّ لها بهما .

فقال له أبو خليفة : أعطها مهرها .

فقال أبو الرطل : كيف أعطيها مهرها ، ولم تفلع[٢] مسحاتي نهرها ؟

قال أبو خليفة : فأعطها نصف صداقها .

قال : لا ، أو أرفع ساقها ، وأضعه في طاقها .

فأمر به أبو خليفة ، فَصُفِعَ .

أخبرني غير واحد : إنّ أبا الرطل هذا ، كان إذا سمع رجلاً يقول : لا تُنْكَرُ لله قدرة ، قال هو : ولا للهندبا خضرة ، ولا للنخلة بسرة ، ولا للعصفر حمرة ، ولا للزردج صفرة ، ولا للقفا نقرة .

قال : وكان إذا سمع العامة يقولون : ديوك لا تغرق ، قال هو : والديك لا تسرق ، وسنور لا يزلق ، ونور لا يعبق ، وذرة لا تسرق ، حتى لا تغرق ، ونار لا تحرق ، وخليفة لا يسرق ، وقاض لا يحنق[٣] .

---

١ أبو خليفة القاضي : الفضل بن الحباب بن محمد الجمحي ، ترجمته في حاشية القصة ٢/٩ من النشوار .

٢ فلع : شق .

٣ انفردت بها ط ، ووردت مبتورة في معجم الأدباء ٦/١٣٧ ، خالية من الاسطر الثلاثة الأخيرة .

١١

بين علي بن عيسى
وعليّ بن الفرات

سمعت بعض شيوخ الكتاب يتحدّثون ، قالوا :

كان أبو الحسن عليّ بن عيسى [١] ، شديد الإعظام لصناعة الكتابة ، شحيحاً على محلّه منها ، غير مسامح لشيء يعاب به ، مهما صغر فيها .

وكانت المسابقة فيما بينه وبين أبي الحسن عليّ بن الفرات [٢] فيها ، وكان كلّ واحد منهما ، يتقلّد ديواناً ، في وزارة العباس بن الحسن .

وكان يتصرّف في الديوان الذي يتقلّده علي بن عيسى ، عاملٌ يُعْنَى به ابن الفرات ، فقصده عليّ بن عيسى ، وعمل له مؤامرة بمائة ألف دينار في عمله ، وعزم على أخذها منه ، وأحضره ، وسلّم إليه المؤامرة .

وقال له : إن كان عندك جواب لها ، فأجب ، وإلاّ فالتزم المال .

فقال : آخذها إلى بيتي ، وأجيب .

فقال له : خذها .

وأخذها العامل ، وجاء إلى ابن الفرات ، فشرح له الصُّوْرَةَ ، وسأله أن ينظر في المؤامرة [ويلقّنه الجواب على كل بابٍ منها .

فقرأها ابن الفرات ، وقال للعامل] [٣] لولا الاتفاق ، لما انحلّ عنك منها درهم ، ولكنّ الله سهّل لك غلطاً غلط به عليّ بن عيسى على نفسه فيها ،

---

١ الوزير أبو الحسن علي بن عيسى : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٢ الوزير أبو الحسن علي بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٣ نقل الصابي هذه القصة في تاريخ الوزراء ص ١٤٥ وعنه أكملنا هذه الفقرة .

وهو رَجُلٌ شديد الضنّ بصناعة الكتابة ، غير مسامح لنفسه في العيب بها ، وقد غلط غلطاً قبيحاً ، لو غلط مثله صغير من الكتّاب لافتضح ، وبطلت صناعته ، وسقط محلّه ، وذاك إنّه قد صدّر في أول المؤامرة باباً ، ذكر فيه ما وصل من فضل الكيل في غلات عملك ، وأنّك لم تورده ، وألزمك مالاً جليلاً عنه ، ثم ذكر بعد ذلك ، أنّك اقتطعت من غلاّت المقاسمة ، أشياء أوردها ، وذكر الحجج عليك فيها ، وألزمك مالاً جسيماً ، هو شطر مال المؤامرة .

وقد كان من قانون الحساب ، ورسم الصناعة في مثل هذا ، أن يبتدئ بما ثنّى به من الاقتطاع الواقع في أُصول الغلاّت ، ثم يثنّي بذكر فضل الكيل .

فإمّا إذا صدّر فَضْلَ الكيل ، فقد صحّح لك الأصول ، فإيراده ما اقتطعته من الأصول ، ناقض للفعل الأول ، وهو خطأ قبيح في الكتبة ، مسقط لمحلّ من يعمله .

وسبيلك أن تمضي إليه وتخلو به ، وتقول : يا سيدي محلّك في هذه الصناعة ، لا يقتضي ما قد عملته في هذه [١١٤ط] المؤامرة ، وقد أخطأت خطأً قبيحاً ، وهو كذا وكذا ، وواقفه عليه .

وقل له : لا يخلو أمري معك من حالين :

إمّا كشفت خطأك للناس ، ففضحتك في الصناعة بما تنكبني به من المال ، وألزمت بعد ذلك ما يبقى في المؤامرة ، وهو يسير .

وإمّا تفضلت بإبطال هذه المؤامرة ، وأبطلت عنّي مالها ، وسترت على نفسك خطأك ، وارتفقت مني ، مع هذا ، بما شئت ، وابذل له مرفقاً جليلاً[1] ، فإنّ حذره على صناعته ، وحبّه للمرفق ، سيحمله على

---

١ المرفق : الرشوة .

إبطال المؤامرة ، وتخريقها .

فإن امتنع من ذلك ، واقفته على الخطإ بين الملإ ، فإنّه يوجب عليه أن سقط عنك ما خرّجه في أصول غلاّت الناحية ، وهو شطر المال .

قال الرجل : فمضيت إلى عليّ بن عيسى سحراً ، إلى منزله ، فحين رآني ، قال : ما عملت في جواب المؤامرة ؟

قلت : بيننا شيء أقوله سراً .

قال : أُدن .

فدنوت منه ، فقلت له ما قاله لي ابن الفرات بعينه ، وفتحت المؤامرة ، ووقفته على الموضع .

فحين رآه اغتمّ ، وقال : يا هذا ، قد وفّر الله عليك المرفق ، فإنّ مرفقي في هذا الأمر التيقّظ على الخطإ الواقع منّي ، وستره على نفسي ، والحذر من مثله مستأنفاً ، وقد أسقط الله عنك جميع المؤامرة ، ولن تسمع بعدها لفظة في معناها ، والله بيني وبين ابن الفرات ، فإن هذا من تعليمه لك ، وليس أنت ممن يعرف مثله .

قال : فمضيت من عنده ، وقد زالت المطالبة ، وربحت المرفق ، وَعُدْتُ إلى ابن الفرات ، فحدثته ، فضحك[1] .

---

[1] انفردت بها ط .

١٢

الوزير ابن الفرات يفحم مناظريه
ويكاد يأكلهم

وأخبرني بعض الكتّاب ، قال :

كان ابن الفرات[١] قد صودر على ألف ألف وستمائة ألف دينار ، فأدّى جميعَها في مدّة ستة عشر شهراً ، من وقت القبض عليه ، وكان في الحبس ، يتوقّع أن يُطلَق .

فخاف عليّ بن عيسى[٢] ، وحامد بن العبّاس[٣] ، من إطلاقه ، فتشاورا في شيء يستعملانه مع المقتدر ، يمتنع معه من إطلاقه .

قال : وكان أبو زنبور[٤] ، قد استقدم ليُحاسب ، وكان من صنائع عليّ بن عيسى في وزارته الأولى .

فلما وَلي ابن الفرات ، أقرّه ، وأحسن إليه ، فكان أبو زنبور يحمل إليه في كلّ شهر عشرة آلاف دينار ، مَرْفِقاً عن أعماله ، ويخفيها ، فتصل في أعدال البزّ ، وما يشاكل ذلك .

فقال عليّ بن عيسى ، لحامد : ما أشكّ أنّ ابن الفرات ، قد كان يرتفق من عامل مصر ، بمرفق جليل ، فنحضر أبا زنبور ، ونسأله عن ذلك .

فأحضراه ، وسألاه عن مرفقه ، فكشف لهما عن الصورة ، وصدّقهما

---

١ الوزير أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٢ الوزير أبو الحسن علي بن عيسى : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٣ الوزير حامد بن العباس : ترجمته في حاشية القصة ١/٥ من النشوار .

٤ أبو زنبور الحسين بن أحمد المادرائي : ترجمته في حاشية القصة ١ / ٢١ من النشوار .

عنها ، ولم يكن فيه من الفضل ما يخفي ذلك ، على الرجل ونفسه [1] .

فقال عليّ بن عيسى : هذا مالٌ عظيمٌ ، فخذ خطّ أبي زنبور ، بأنّه كان يحمل إليه ذلك ، واعرضه على الخليفة .

ففعلا ذلك ، وعرضاه عليه ، وقالا له : يجب أن يطالب بذلك .

فقال الخليفة : أخرجوه[١١٥ط] ، وطالبوه ، بعد أن تناظروه .

قال : فجلس حامد بن العبّاس ، وعليّ بن عيسى ، ونصر القشوري [2] وابن الحواري [3] ، وأحضروا أبا زنبور معهم ، واستدعوا ابن الفرات من محبسه ليناظروه .

وكان شفيع المقتدريّ [4] ، يتعصّب لابن الفرات ، ويعتني بأمره ، ويقوم فيما بينه وبين الخليفة، فقال للمقتدر [5] : يا مولاي ، إنّ ابن الفرات منكوب ، وهؤلاء أعداؤه ، ولعلّه أن يجيبهم بجواب لك فيه فائدة ، فلا يبلغونك إيّاه ، فأنفذ من يحضر المجلس ، ويرقي إليك ما يجري .

فقال له : إمض أنت ، وافعل هذا .

قال : فخرج شفيع ، فوجد ابن الفرات ، في الصحن ، وقد أخرج من محبسه ، وهو يمشي ، ليدخل مجلس الوزير .

فقال له : اثبت ، فإنّي معك .

---

١ يريد أن أبا زنبور لم يتحل بالجلد الذي يمكنه من كتمان ذلك ستراً على نفسه وعلى ابن الفرات .

٢ نصر القشوري : حاجب المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١ / ٨٣ من النشوار .

٣ أبو القاسم علي بن محمد بن الحواري : ترجمته في حاشية القصة ١ / ٦٣ من النشوار .

٤ شفيع المقتدري : من رجال البلاط في عهد المقتدر ، كان في السنة ٣٠٥ يلي البصرة ، ويليها سبك المفلحي نيابة عنه (الكامل ٨/١٠٨) ، وفي السنة ٣١٢ خلف شفيع اللؤلؤي على البريد بمدينة السلام والإشراف على الوزير وعلى الجيش وأصحاب الدواوين والقضاة وأصحاب الشرط (تجارب الأمم ١/ ٢٤ و الكامل ٨/ ١٥٧) .

٥ الخليفة المقتدر : جعفر بن المعتضد ، ترجمته في حاشية القصة ١ / ٩ من النشوار .

فقويت نفسه ، ودخل المجلس ، وحامد في صدر دست عظيم ، برسم الوزارة ، في دار الخلافة ، وعلي بن عيسى عن يمينه ، وبجنبه ابن الحواريّ ، ونصر القشوري عن يساره ، وبجنبه أبو زنبور .

فسلّم ابن الفرات ، وتخطّى حتّى جلس بين يدي حامد ، فرَفَعَهُ قليلاً .

وخاطبه ابن الفرات بالوزارة ، وسلّم على عليّ بن عيسى ، وأدار عينه في المجلس ، فعرّف كلّ من فيه ، إلاّ أبا زنبور ، فإنّه كان لغيبته بمصر ، لم يشاهده قط .

فقال لمن كان إلى جانبه : من هذا ؟

فقال له : هذا أبو زنبور عامل مصر .

فأحسّ ابن الفرات ، بأنّه في بليّة سببها أبو زنبور . فقال : تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه [1] .

قال : وكان أبو زنبور قصيراً دميماً مقبّحاً .

فقال أبو زنبور في الحال : لوددت أنّ الأرض ابتلعتني قبل ذلك .

قال : فقال له حامد ، وعليّ بن عيسى : هذا فلان بن فلان ، عامل مصر ، قد ذكر أنّه كان يرفقك في كل شهر ، من مال عمله ، بعشرة آلاف دينار ، تكون لمدة ولايتك ، كذا وكذا ، وما حملت لبيت المال شيئاً منها ، ويجب الآن عليك أداءها ، فما تقول ؟

فقال لهما : إنّ هذا — وأومأ إلى أبي زنبور — إن كان قد أُمر بالسعاية ، بوزير عامله ، فكشف ستره في أيّام نكبته ، وسعى بمرفقٍ أرفقه به في حال ولايته ، وأبان بذلك عن قدر عقله ، وأمانته ، وعقل من يركن إليه مستأنفاً ، فإنّه قد صَدَقَ فيما أخبر به .

ولم أكن لأرتفق هذا منه ، لأدع له شيئاً من مال السلطان ، ولا لأمكّنه

---

[1] تسمع بالميدي خير من أن تراه : مثل يضرب لذي الاسم الداوي فإذا اقترب لم يظهر منه طائل .

من اقتطاعه ، ولكن لأمهله من وقت إلى آخر ، وأزيد في إكرامه ، ومخاطبته ، وأرفّهه عن إنفاذ المستحثّين ،ومن تلزمه عليهم المؤونة التي لا يجب الاحتساب بمثلها ، وكلّما يرتفق الوزراء من العمال ، قديماً ، وحديثاً [فهذا سبيله] .

وإنّما صودرت على ألف ألف وستمائة ألف دينار ، أدّيتها صلحاً ، عن هذا ومثله وشبهه ، وإلاّ فأي شيء كان موجب مصادرتي إلاّ عن هذا وما يشبهه ؟ فالمصادرة قد غسلت عنّي هذا كله .

ولكن ، قد وجب على أبي زنبور من هذا المرفق ، باعترافه [١١٦ ط] لمدّة عطلتي وحبسي ، وهي ستة عشر شهراً ، مائة ألف وستون ألف دينار . فإن كان أرفق الوزير أعزّه الله بها ، فقد سقطت عنه ، والكلام فيها بين الخليفة والوزير ، وإن كان لم يحملها إليه ، فيجب الآن أن يحملها إلى أمير المؤمنين .

قال : فقام شفيع في الحال .

فقال له عليّ بن عيسى : إلى أين يا أبا اليسر ؟

قال : إلى مولانا ، أحكي له ما جرى ، فإنّه أنفذني لهذا السبب ، وأمرني به ، ومضى .

وحمل ابن الفرات إلى حبسه .

فعاد شفيع ، وقال : يقول لكم مولانا ، لا يبرح أحد منكم ، أو تحمل إليّ هذه المائة ألف وستون ألف دينار ، كيف شئتم .

فقال عليّ بن عيسى : جئنا به لنصادره ، فصادَرَنا .

فألزموا أبا زنبور معظم المال ، وعاونوه بشيء تحمّل قسطه حامد ، وعليّ بن عيسى .

وضمنوا المال ، ثم انصرفوا [1] .

---

[1] انفردت بها ط .

١٣

أفضل ما يخلف المرء لعقبه

صديقاً وفياً

حدّثني أبو القاسم الجُهني ّ[١] ، قال :

كُنْتُ بحضرة أبي الحسن بن الفرات[٢] ، وابن الجصّاص[٣] حاضر ، فتذاكروا ما يعتقده الناسُ لأولادهم .

فقال ابن الفرات : ما أجلّ ما يعتقده الناس لأعقابهم ؟

فقال بعض من حضر : الضياع .

وقال بعضهم : العقار[٤] .

وقال آخرون : المال الصامت[٥] .

وقال آخرون : الجواهر الخفيفة الثمن ، فإنّ بني أُمية سئلوا : أي الأموال كانت أنفع لكم في نكبتكم ؟ فقالوا : الجوهر الخفيف الثمن ، كنّا نبيعه ، فلا نطالب بمعرفة ، ولا يتنبّه علينا به ، والواحدة منه أخفّ محملاً من ثمنها ، وابن الجصّاص ساكت .

فقال له ابن الفرات ، كالمستهزئ به : ما تقول أنت يا أبا عبد الله ؟

فقال : أجلّ ما يعتقده الناس لأولادهم ، الصنائع والإخوان ، فإنّهم إن اعتقدوا لهم ضياعاً ، أو عقاراً ، أو صامتاً ، من غير إخوان ، ضاع

---

١ أبو القاسم الجهني : راجع حاشية القصة ١ / ١٢ والقصتين ٢ / ٥١ و ٥٢ من النشوار .

٢ الوزير أبو الحسن بن الفرات : حاشية القصة ١ / ٩ من النشوار .

٣ ابن الجصاص : راجع القصص١ / ٧ و ١ / ٨ و ١ / ٩ من النشوار .

٤ العقار : ما له أصل وقرار كالأرض والدار .

٥ المال الصامت : هو الذهب والفضة .

ذلك وتمحّق ، وأحدّث الوزير أعزّه الله بحديثٍ جرى منذ مدّة ، يعلم معه صدق قولي .

فقال له ابن الفرات : ما هو ؟

فقال : الناس يعلمون أنّي صنيعة أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون[1] ، وكان رجلاً مستهتراً بالجوهر[2] ، يعتقده لنفسه ، وأولاده ، وجواريه .

فكنت جالساً يوماً في داري ، فجاءني بوّابي ، فقال : بالباب امرأة تستأذن ، في زيّ رثّ ، فأذنت لها ، فدخلت ، فقالت لي : تخلي لي مجلسك ، فأخليته .

فقالت لي : أنا فلانة ، جارية أبي الجيش .

فحين قالت ذلك ، ورأيت صورتها ، عرفتها ، وبكيت لما شاهدتها عليه ، ودعوت غلماني ليحضروني ما أغيّر به حالها .

فقالت : لا تَدْعُ أحداً ، فإنّي أظنّك دعوتهم لتغيير حالي ، وأنا في غنية وكفاية ، ولم أقصدك لذلك ، ولكن لحاجة هي أهمّ من هذا .

فقلت : ما هي ؟

فقالت : تعلم إنّ أبا الجيش ، لم يكن يعتقد لنا إلاّ الجوهر. فلما جرى علينا بعده من طلب السلطان ، ما جرى ، وتشتّتنا ، وزال عنّا ما كنّا فيه ، كان عندي جوهر قد سلّمه إليّ ، ووهبه لي ، ولابنته [١١٧ ط] منّي فلانة ، وهي معي هاهنا .

فخشيت أن أظهره بمصر فيؤخذ مني ، فتجهّزت للخروج ، وخرجت

---

١ أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٦٤ من النشوار .

٢ استهتر الرجل بكذا : أولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره .

على هيأة زريّة ، مستخفية ، وابنتي معي ، فسلّم الله تعالى ، ووصلنا هذا البلد ، وجميع مالنا سالم .

فأخرجت من الجوهر شيئاً ، قيمته على أبي الجيش خمسة آلاف دينار ، وصرت به إلى سوق الخرّازين[1] فبلغ ألفي دينار .

فقلت : هاتم .

فلما أحضروا المال ، قالوا : أين صاحب المتاع ؟

قلت : أنا هي .

قالوا : ليس محلّك أن يكون هذا لك ، وأنت لصّة ، فتعلّقوا بي وجذبوني ، ليحملوني إلى صاحب الشرطة .

فخشيت أن أقع في يده فأعرف ، فيؤخذ الجوهر ، وأُطالب أنا بمال ، فأخرج الباقي .

فرشوت القوم بدنانير يسيرة كانت معي ، وتركت الجوهر عليهم ، وأفلتّ .

فما نمت ليلتي غمّاً على ما ذهب، وخشية الفقر ، لأنّ مالي هذا سبيله ، فأنا غنيّة فقيرة ، فلم أدر ما أفعل .

فذكرت كونك ببغداد ، وما بيننا وبينك ، فجئتك ، والذي أُريده منك جاهك ، تبذله لي ، حتى تتخلّص لي ما أخذ مني ، وتبيع الباقي ، وتحصّل لي ثمنه مالاً ، وتشتري به لي ولابنتي عقاراً ، نقتات من غلّته .

قال : فقلت : من أخذ منك الجوهر ؟

فقالت : فلان .

فأحضرته ، فجاءني ، فاستخففت به[2] ، وقلت : هذه امرأة من داري ،

---

[1] سوق الخرازين : هو ما يسمى اليوم سوق الجوهريين .

[2] استخف به : ترد بمعنى كلمه مستهيناً به .

وأنا أنفذتها بالمتاع لأعرف قيمته ، ولئلا يراني الناس أبيع شيئاً بدون قيمته ، فلِمَ تعرّضتم لها ؟

فقال : ما علمنا ذلك ، ورسمنا — كما تعلم — لا نبيع شيئاً ، إلاّ بمعرفة ، ولما طالبناها بذلك اضطربت ، فخشينا أن تكونَ لصّة .

فقلت له : أريد الجوهر الساعة ، فجاءني به ، فلما رأيته عرفته ، وكنت أنا اشتريته لأبي الجيش بخمسة آلاف دينار .

فأخذته منهم ، وصرفتهم .

وأقامت المرأة في داري ، ونقلت ابنتها إليّ ، وأخرجت الجوهر ، فألّفته عقوداً ، وعرضته ، وتلطفت لها في بيعه بأوفر الأثمان ، فحصل لها منه أكثر من خمسين ألف دينار .

فابتعت لها بذلك ضياعاً وعقاراً ومسكناً ، فهي تعيش به وولدها ، إلى الآن .

فنظرت ، فإذا الجوهر لمّا كان معها بلا صديق ، كان حجراً ، بل كان سبباً لمكروه يجري عليها ، وقد رشت على الخلاص منه دنانير ، ولما وجدَتْ صديقاً يعينها ، حصّل لها منه هذا المال الجليل .

فالصديق أفضل العقد[1] .

فقال ابن الفرات : أجدتَ يا أبا عبد الله .

ثم قال لنا : الناس ينسبون هذا الرجل إلى الغفلة ، وقد سمعتم ما يقول ، فكيف يكون مثل هذا مغفّلاً[2] ؟

---

١ العقد : مفردها عقدة ، والعقدة ما يمتلكه الإنسان من ضيعة أو عقار .

٢ انفردت بها ط . ووردت في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي : ٥٦ .

١٤

المأمون ومحبته للجوهر

وقد حكي : أنّ المأمون كان محبّاً للجوهر ، وكان الناس يغالون فيه ، في أيّامه ، فأراد أن يحتال بحيلة تضع من قدره ، ليرخص قيمته [١١٨ط] ، فيشتريه.

فجمع أصحابه يوماً ، وخاطبهم . فقال : ما أجلّ الذخائر ؟

فتقرر رأيهم على الجوهر .

فقال : هاتم جوهرة ، فجاءوا بواحدة شراؤها عليه مائة دينار .

فقال للجوهريين : كم تساوي هذه ؟

قالوا : مائة دينار .

فقال : يا غلام ، اكسرها قطعاً ، فَكُسِرَتْ .

فقال : كم تساوي الآن ؟

فقالوا : دانق فِضّة .

فأخرج ديناراً ، فقال : كم يساوي هذا ؟

قالوا : عشرين درهماً .

فقال : كسِّروه قطعاً ، فَكُسِّرَ .

فقال : كم يساوي الآن ؟

قالوا : تسعة عشر درهماً صِحاحاً .

فقال : أجلّ الذخائر هذا الذي إذا كسر ، لم يذهب من قيمته شيء .

قال : فانتشرت الحكاية بين من حضر من الجوهريّين ، ونقص نصف ثمنه على الحقيقة ، وقلّت رغبة أهل الدولة في شرائه .

فبلغ ذلك المأمون ، فتتبّعه ، واشتراه رخيصاً[١] .

---

١ انفردت بها ط .

١٥

أموي يتحدث عما أعانهم في نكبتهم

وحكي عن بعض بني أميّة :

أنّ المنصور[١] سأله لما نكبهم ، أيّ شيء كان أنفع لكم في هربكم ؟

فقال : ما وجدنا شيئاً أنفع من الجوهر القليل الثمن ، الذي تبلغ قيمة الحبة منه خمسة دنانير ، لأنّا استصحبنا الفاخر منه ، والقريب الثمن ، فما كنّا نقدر على بيع الفاخر لشدّة الطلب لنا ، والخوف من أن يعرّف به ، فينبّه علينا ، ونؤخذ ، وكان هذا اليسير الثمن ، يشترى منّا ، من غير أن يعرّف ، فننتفع به ، ويخفى أمرنا ، فكان أنفع .

قال : فأيّ النساء وجدتم أفضل ؟ قال : بنات العم ، كنّ أصبر علينا ، وأشفق .

قال : فأيّ الرجال ، وجدتم أفضل ؟ قال : الموالي[٢] .

قال : فأمر المنصور المهدي ، أن يتزوج ابنة عمه[٣] ، واتخذ المنصور مواليه عمّالاً في أعماله ، وقدّمهم ، ورفع منهم[٤] .

---

١ المنصور : الخليفة العباسي أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، ثاني الخلفاء العباسيين وباني مدينة بغداد ، بدأ ببنائها سنة ١٤٥ واتخذها حاضرة ملكه ، كان عارفاً بالفقه والأدب ، ودامت خلافته ٢٢ عاماً قتل فيها خلقاً كثيراً . توفي سنة ١٥٨ (الأعلام ٤ / ٢٥٩) .

٢ المولى : الحليف ، وهو من انضم إلى آخر فعز بعزه وامتنع بمنعته ، ومنه سمي المملوك المعتق مولى ، لأنه ينتسب إلى سيده ، وكذلك من أسلم على يد آخر فهو مولاه (لسان العرب) .

٣ تزوج المهدي ريطة ابنة عمه أبي العباس السفاح (المحاسن والمساوىء ٢/١٠٧) .

٤ انفردت بها ط .

١٦

لقمة بلقمة

حدّثني أبو بكر البسطامي ، غلام ابن دريد[١] ، قال :

كان لامرأة ، ابنٌ ، غاب عنها ، غيبةً منقطعةً .

فجلست تأكل يوماً ، فحين قطعت لُقْمَةً ، وأهوت بها إلى فيها . تصدّق منها سائل وقف بالباب ، فامتنعت من أكل اللقمة ، وحملتها مع تمام الرغيف ، فتصدّقت بها ، وبقيت جائعة .

وكانت شديدة الحذر على ابنها ، والدعاء بردّه ، فما مضت إلاّ ليالٍ يسيرة على هذا الحديث ، حتّى قَدِمَ ابنها ، فأخبر بشدائد مرّت به عظيمة .

وقال : أعظم شيء مرّ على رأسي ، أنّي كنت في وقت كذا ، أسلك أجَمَةً في البلد الفلاني ، إذ خرج أسدٌ ، فقبض عليّ من حمار كنت فوقه ، فغار الحمار[٢] فتَشبّكَتْ مخالب السبع ، في مُرَقّعَةٍ كانت عليّ ، فما وصلت إليّ ، وذهب عقلي ، وجرّني فأدخلني الأجَمَةَ .

فما هو إلاّ أن بركَ عليّ ليفرسَني ، حتّى رأيت رجلاً عظيم الخلق ، أبيض الوجه والثياب ، وقد جاء حتّى قبض على قفا الأسد ، وشاله[٣] حتّى

---

١ أورد التنوخي هذه القصة في كتاب الفرج بعد الشدة ٢ / ٧٤ ، وتبسط في الحديث عن أبي بكر البسطامي فقال : حدثني أبو بكر البسطامي ، غلام ابن دريد ، وكان زوج ابنته ، وكان شيخاً من أهل الأدب والحديث ، وقد استوطن الأهواز سنين ، وكان ملازماً لأبي رحمه الله ، يتفقده ويبره ، راجع القصة ٤/١٣١ من النشوار .

٢ غار : لغة بغدادية لم تزل مستعملة وتعني أغار : أي أسرع في عدوه .

٣ شاله : رفعه ، وهذه الكلمة لم تزل مستعملة في بغداد .

خَبَطَ به الأرض ، وقال : قم يا كلب ، لُقْمَةٌ بِلُقْمَةٍ .

فقام السبع مهرولاً ، وثاب إليّ عقلي [١١٩ط] ، وطلبت الرجل ، فلم أجده .

وجلست ساعات ، إلى أن عادت إليّ قوّتي ، ثم نظرت إلى نفسي ، فلم أجد بها بأساً ، فمشيت ، فلحقت القافلة ، وأخبرتهم فعجبوا من خلاصي ، ولم أدر ما معنى لقمة بلقمة .

فنظرت المرأة إلى الوقت فإذا هو الوقت الذي أخرجت اللقمة من فيها ، فتصدّقت بها .

فأخبرته الخبر [١] .

---

[١] انفردت بها ط .

ازرق الله

١٧

كفى بالأجل حارساً

حدّثني إبراهيم بن الخضر ، وكان أحد أمناء القضاة ببغداد ، قال : حدّثني صديق لي أثق به ، قال :

خرجت إلى الحائر[١] ، فرأيت رجلاً ، فرافقته في الطريق ، ولم أكن أعرفه ، وكان ذلك في أيّام الحنابلة ، ونحن نزور متخفّين .

فلما صرنا في أجمة بانقيا[٢] ، قال لي رفيقي : يا فلان ، إنّ نفسي تحدّثني أنّ السَبُعَ يخرج الساعة فيَفْرسني دونك ، إن كان ذلك ، فَخُذْ حماري، وقماشي ، فأدّه إلى منزلي، في موضع كذا وكذا، وعرّفهم خبري .

قال : فقلت : ما يكون إلاّ خيراً وسلامة .

فما استتمّ الكلام ، حتى خرج سَبُعٌ ، فحين رآه الرجل ، سَقَطَ ، وأخذ يتشهّد، وقصدَهُ السَبُعُ ، فما كذب أن أخذه ، وجرّه عن الحمار.

فسقت أنا الحمار ، مع ما عليه ، وأسرعت حتى خرجت ، ولحقت بالقرية، وعجبت من حدسه على نفسه ، وصدق ظنّه، ولحقني غمّ لفراقه، وما جرى عليه .

ورجعت إلى بغداد ، فحين دخلت ، لم تكن لي همّة ، حتى استوصفت الموضع ، وقصدته ، فدققت الباب ، أسأل عنه ، فقلت لمن فيه : خذوا قماش صاحبكم ، رحمه الله .

قالوا : قد خرج الساعة في حاجة له ، وهو حيّ والحمد لله ، فلم أشكّ في أنّي غلطت ، فقلت : من هو ؟ قالوا : فلان ، اسمه .

---

١ الحائر : قبر الحسين عليه السلام بكربلاء . راجع حاشية القصة ٢/١٢٤ من النشوار .

٢ في الأصل برنقا ، وبانقيا من نواحي الكوفة (معجم البلدان ١ / ٤٨٣) .

فزاد تعجّبي ، فجلست ، فما أطلت ، حتى طلع عليّ ، فحين رأيته طار عقلي جزعاً ، وفرحاً ، وتشكّكاً ، فقلت : حديثك .

قال : إنّ السَبُعَ ساعة جرّني ، وأدخلني الأجَمَةَ ، هزّني ، وسحبني ، فأنا لا أعقل .

ثم سمعت صوت شيء ، فإذا بخنزير عظيم قد خرج ، فحين رآه السبع ، تركني ، وقصد الخنزير ، فدقّه ، وأقبل يأكله ، وأنا أراه ، ومعي بقيّة من عقلي .

فلما أن فَرِغَ منه ، خرج من الأجمة ، وتركني ، وقد جرح فخذي جراحة خفيفة .

فقمت ، فوجدتني أطيق المشي ، فأقبلت أمشي في الأجمة ، أطلب الطريق ، فإذا بجيف ناسٍ ، وبقرٍ ، وغنمٍ ، وغير ذلك ، منها ما قد صار عظاماً بالية ، ومنها ما هو طريّ .

فانتهيت إلى خِرَقٍ متمعطة [1] ، ومخالي للفيوج مطروحة ، فسوّلت لي نفسي تفتيش ذلك .

ثم وقفت على شيء مكوّر ، فإذا هو هميان [2] ، ففتحته ، فإذا فيه ألف دينار صُفْرٌ ، فأخذتها ، ولم أفتّش الباقي ، وخرجت ، فما عرّجت ، وعدت إلى منزلي ، فسبقتك .

قال : وأخرج الدنانير ، فأراني إياها ، وكشف عن الجراحة ، [١٢٠ ط] فسلّمت إليه متاعه ، وافترقنا [3] .

---

١ الخرق المتمعطة : هي الممزقة بمقدم الأسنان .

٢ الهميان : فارسية : حزام عريض يودع في باطنه المال ويشد على الوسط .

٣ انفردت بها ط .

١٨

كتاب من يحيى بن فهد الأزدي

للأمير أبي تغلب بن حمدان

كتب أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي ، إلى الأمير أبي تغلب [١] فضل الله بن ناصر الدولة ، عند اعتقاله أخاه أبا الفوارس محمد ، لخوفه منه ، وحمله إيّاه إلى القلعة مقيّداً ، وحبسه فيها ، وذلك في شعبان سنة ستين وثلثمائة ، في الليلة الثامنة منه [٢] .

وكتب أبو محمّد ذلك ، لمّا بلغه الخبر ، بمحضر منّا ، كالارتجال ، بغير فِكْرٍ طويلٍ ، ولا تعمّلٍ شديدٍ ، نسخته :

من اختاره الله تعالى لجليل الأمور ، واصطفاه لحراسة الأمّة وحماية الثغور ، وخصّه بنفاذ الرأي فيما يحلّه ويعقده ، ونصره على كلّ عدوّ يرصده ، وكفاه كيد من يبغي عليه ويحسده ، وقرن عزماته بالصواب في جميع ما يمضيه ، وبلّغه في الدنيا ما يرتجيه ، وجعل ما يبرمه مطّرداً على التوفيق ، وذاهباً مع السداد في أجمل طريق ، معونة له على ما أسنده — جل ذكره — إليه ، وحفظاً للملّة وذبّاً عنها على يديه ، لا سيّما إذا كان مقدّماً لتقوى الله سبحانه ، في سائر أفعاله ، مؤثراً لرضاه تعالى ، في جميع أحواله ، غير خارجٍ عن حدوده في تدبير ، ولا ناكث عن صراطه في صغير ولا كبير .

---

١ الأمير أبو تغلب الحمداني ، فضل الله بن ناصر الدولة : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٠٣ من النشوار .

٢ بقي أبو الفوارس محمد ، معتقلا سبع سنين ، حتّى أطلقه عضد الدولة عندما وصل إلى الموصل محارباً لأبي تغلب بن ناصر الدولة (الفرج بعد الشدة : ١/١٣٧) .

والحمد لله الذي خصّ مولانا الأمير السيّد، أطال الله بقاءه، من هذه الأوصاف الشريفة ، والأخلاق المنيفة ، بما فضّله به على ملوك الزمان ، وأنطق بذكره وشكره كل لسان ، وجعل القلوب كلها ، شاهدة به ، والآراء على اختلافها ، متفقة عليه .

والحمد لله الذي جعل تدبيراته جارية على الصواب ، ماضية على سننِ الكتاب ، محروسة من عيب كل عائب ، ثاقبة كالنجم الثاقب ، الذي لا يدفع علوّه دافع ، ولا ينازع في سموّه منازع .

وإيّاه نسأل ، كافّة أوليائه، وخدم دولته ، وإليه أرغب ، الرغبة التامة من بينهم ، في إيزاعه الشكر على ما أولاه ، وإلهامه حمده ، تقدست أسماؤه ، على ما خوّله وأعطاه ، وأن يديم له شأنه وتسديده ، ويصل بالحق وَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ ، ويحسن من كل نعمة وموهبة ، حظّه ومزيده ، ويجعل قوله مبروراً ، وعدوّه مقهوراً ، وفعله مشكوراً ، وقلبه مسروراً ، ولا يخليه من جدّ سعيد ، إنّه ولي حميد ، فعّال لما يريد .

وورد الخبر ، بما جرى من الاستظهار على من شكّ في مناصحته ووفائه ، وظهر في الدولة سوء رأيه ، بعقب تتابع الأنباء ، بما كان أضمره من الغدر ، وأضبّ عليه من قبح الأمرة ، وبما بان منه من إعمال الحيلة على ثَلْمِ المملكة ، والسعي في تفريق الكلمة ، وإفساد البلاد ، وإخافة العباد ، ولم يصادف وروده ، إلاّ مستبشراً [١٢٠ ط مكرر] به ، مستنصباً له ، عالماً بجميل صنع الله – عز وجل – في وقوعه ، شاكراً له على ما أبلاه ، وأولاه من المعونة عليه، عارفاً بأن مولانا الأمير – أدام الله تأييده – لم يأمر به ، وما وجد سبيلاً إلى الصلاح ، إلاّ سلكها ، ولا ترك سبيلاً إلى الاستصلاح إلاّ ركبها ، فلم يزده ذلك إلاّ تمادياً في العصيان وغيّاً ، ومروراً في ميدان البغي وبغياً يحسن به العدول عن صلة الرحم ، بحكم الله عز وجلّ ، إذ جعل البغي في كتابه ،

محلاً للإخلال بحق النسب ، حيث يقول ، وهو أحسن القائلين ﴿ إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكُم لعلّكم تذكّرون ﴾[1] فبيّن سبحانه : إنّ الفحشاء ضدّ للعدل ، والمنكر مسقط للإحسان ، والبغي موجب لقطع القرابة ، وأوجب تبارك اسمه ، لمولانا الأمير — أدام الله عزّه — النَّصْرَ على الباغي ، بقوله عزّ من قائل ، ومَن بُغي علَيه لَيَنصُرَنّهُ الله .

على أن الذي أتاه مولانا ، أطال الله بقاءه ، في بابه ، لمواصلة الرحم أقرب ، ولأسبابها ألزم وأوجب ، إذ حال بينه وبين ما يؤثّمه ويرديه ، وصَدَفَهُ عمّا كان يفسد دينه ودنياه بالإيغال فيه ، ولم ينقله بذلك ، إلاّ إلى عيش رغد ، وأمر تامّ ، ونعمة دارّة ، وحال سارّة .

والله يكافئ مولانا الأمير السيّد أطال الله بقاءه على قدر نيّته ، ويجازيه بجميل طويته ، ويبلّغه من الدنيا بحسب حفظه فيها للدين ، ويكبت أعداءه بذبّه عن المسلمين ، ويهنّيه بنعمه عليه ، ويمتّعه بمواهبه لديه ، ويرغم أعداه ، ويحمده بدء كلّ أمر وعقباه ، إنّه جواد كريم ، سميع مجيب[2] .

---

١ ٩٠ ك النحل ١٦ .

٢ انفردت بها ط .

١٩

من شعر يحيى بن فهد الأزدي

أنشدني أبو محمد يحيى بن محمد لنفسه :

يا مَن عـلاقة حبّـه فَرْضُ ضاقت عليّ ببعدك الأرْضُ
فالقلب يخفق وحشة لـكُمُ حتّى كأنّ سواده نبضُ

وأنشدني لنفسه :

وصفراء من ماء الكروم عتيقة مكرّمة لم تمتهن بعصـير
صبغت بها كأسي وأطلقت شمسها على نوره إلاّ بقيّة نور
كسالفة شقراء[1] قد رفّ تحتها جربّان وشي أبيض وحرير
كأنّ شعاع الكأس نارٌ توقّدت على كفّ ساقٍ زيّنت بخصور
فما حضرت حتّى تبدّل ما جنى عليّ زماني من أسى بسرور

وأنشدني لنفسه : [١٢١ ط]

لقد نفرت عيني عن النوم بعدكم فليس إلى طيب الرقاد تتوق
وقد ألِفَتْ طول البكاء كأنّها لدمع عيون العالمين طريق

وأنشدني لنفسه :

يا موقد النار في فؤادي وآمر العين بالسهاد
حَلَلْتَ من ناظري وقلبي — على تعدّيك — في السواد
فليس ترقا دموعُ عيني أو يَظْفُرَ القلبُ بالمراد
وليس يطفى لهيب قلبي أو تملك العين للرقاد

---

١ في الأصل : بيضاء .

وأنشدني لنفسه :

أصبحت من شوقي ومن ضرّي   تنمّ أنفاسي على سرّي
وكلّما جئتك أشكو الهوى   ازددت يا مولاي في هجري
فكم تراني صابراً للبـلا ؟   ستغلب البلوى على صبري

وأنشدني لنفسه :

يغدو عليّ بوجه مُشْرِقٍ غنجٍ   ياطيب مبتكري فيه وإصباحي
في صورة البدر في قدّ القضيب على   دعصٍ من الرمل يخطو فوق رحراح

وأنشدني لنفسه من أبيات :

الليل يعجب منّي كيف أسهره   والشوق ينهى الكرى عنّي وأزجره
والصبح قد ضلّ عن ليلي بوادره   فما يلمّ بهذا الليل آخره
وأدهم الليل وقف ما يغالبه   من الصباح على الظلماء أشقره

وأنشدني لنفسه :

إذا أتاك امرؤ يبغيك حاجته   فقد علاك بفضل ماله ثمن
فاسمع له طائعاً وانجح مطالبه   واعرف له حقه لا خانك الزمن

وأنشدني لنفسه :

يا هاجراً لغلامـه   ومقاطعاً لـكلامه
ومواصلا لصدوده   وعتابـه وملامه
لم قد هويت جفاءه   وتركته بغرامـه
أمنن عليه بوصلة   لخضوعه وسقامه

وأنشدني لنفسه :

يـا هلالاً بـدا فوافق سعدا   وغزالاً كأنّه الغصن قدّا

ومثالاً تكامل الحسن فيـه فحكت وجنتاه خمراً وورداً
كلما ازددت في القطيعة بعداً زدتني جفوة وهجراً وصدّا
تتعدّى وحقّ أن تتعدّى كلّ من يملك الجمال تعدّى
إنّني ما اتخذت غيرك مولًى فاتخذني لحسن وجهك عبدا

وأنشدني لنفسه :

سقى الشوق عيني ماءَ وجدٍ ولوعةٍ فإنسانها في ذلك الماء يسبح
إذا حرّكته من جوى الحبِ زفرةٌ ترقرقَ فوق الخدِ منه الملوّح

وأنشدني لنفسه قصيدة يفتخر فيها ، أوّلها : [١٢٢ ط] .

سوى حلمي يخفّ مـع الشبابِ وغير أعنّتي يثني التصابي

يقول فيها :

كأنّ عواقبَ الأيّام مدّتْ فقرّت من فؤادي في كتاب
فلست أدافع الجلّى بشكّ ولا أشكو الحوادث بارتياب

وأنشدني أيضاً قصيدة أُخرى أوّلها :

أبي شرف المناصب والأصول وفضلٌ في القلوب وفي العقول
وقلبٌ لا يخوّف بالمَنايـا ونفس لا تقرّ على خمول
لمثلي أن يميل إلى اكتساب بغير السمهريّـة والنصول

وأنشدني من قصيدة يفتخر فيها :

تعوّد كفّي قائم السيف صاحباً يساعده في كل أمر يحاول
سريع مضاء الشفرتين كأنّـه إذا سلّ من ماء المنية سائل
كأنّ مدبّ النمل فوق غراره إذا صحّ منه للعقول التأمل[١]

---

١ انفردت بها ط .

٢٠

بين يحي بن فهد الأزدي
وأبي الفرج الببغاء

وكتب[١] إلى أبي الفرج الببغاء[٢] ، إلى الموصل ، يتشوّقه ، بعد خروجه من بغداد :

ظَعَنْتَ فما لأُنسي من ثواء   وبِنْتَ فبان عن قلبي السرور
ولو أنّي قَضَيْتُ حقوقَ نفسي   تبعتك كيفما جرت الأمور
ودّي ليس ينقصه مغيب   كما لا يستزيد لـه حضور
فإنْ تَبْعَدْ فإنّك ملء صدري   وودّك جلّ ما تحوى الصدور

فأجابه أبو الفرج :

بقربك من بعادك أستجير   وهل في الدهر غيرك من يجير
نأيت فمـا لسلواني دنوّ   وغبت فما للذّاتي حضور
وقد صاحبت إخواناً ولـكن   متى تغني عن الشمس البدور
فيا من رعتُ منه الدهر قدما   بمـن تسمو بخدمته الأمور
ومن قدّرت أنّ لـه نظيراً   فحين طلبت أعوزني النظير
إذا كنت السرور وغبت عنّي   فكيف يتمّ بَعْدك لي سرور

ولأبي محمد ، إلى أبي الفرج ، في فصل من كتاب ، وقد اعتلّ بعده :

فَقَدْتُ السلامـةَ لما نأيـ   ـتَ وحالَفْتُ لما بعدتَ الضنينا

---

١ يعني أبا محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي .

٢ أبو الفرج الببغاء : ترجمته في حاشية القصة ٥٢/١ من النشوار .

وكان اقترابك لي صحتي فحين ارتحلت عدِمْتُ القرينا

وما هوّن السقم يا سيّدي اشـ تياقي وحاشى له أن يهونا

فكتب إليه أبو الفرج ، في صدر كتاب :

كتابي عن سلامة ،

وعن كمد فلّ غرب السلوّ وشوق أعادَ حراكي سكونا

وقلب يرى كلّ شيء يعين قلوب العباد عليه معينا [١٢٣ط]

ولم أرَ بعدك شيئاً يسرّ فأفتح أنساً إليه الجفونا

وجملة أمري أنّي اشتكيت وقد كان دهري لي مستلينا

وجرّبت مذ غبتَ عنّي الكرام فكانوا الشكوك وكنت اليقينا

وأنشدني لنفسه :

يدعي[حبيبي][1] إلى هجري فيعدل بي عن هجره مرض في القلب مكتوم

لو كان ينصفني ما كان يهجرني لكنّني الدهر في حُبِّه مظلوم[2]

---

١ فراغ في الأصل .

٢ انفردت بها ط .

٢١
فقرات من رسائل

لبعض الكتاب ، في وصف قاضٍ [١] :

الحمد لله الذي ليس من دونه احتراز ، ولا لذاهب عنه مجاز [٢] ، هو من لا يبهره الإطراء ، ولا يحيله الإغراء .

آخر :

الحمد لله على حِلْمِهِ بعد عِلْمِهِ ، وعَفْوِهِ بعد قُدْرتِه ، الذي لا يودى مسيله ، ولا يخيب سؤوله .

آخر :

إنّ لله علينا من النعم ما لا نحصيه ، مع كثرة سخطه على ما نعصيه ، فما ندري أيّها نذكر ، ولا على أيّها نشكر ، أجميل ما نشر وأبدى ، أم قبيح ما ستر وأخفى [٣] .

---

١ يظهر أن وصف القاضي مقصور على ذيل الفقرة الأولى .
٢ أورد البيهقي هذه العبارة ضمن خطبة لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب (المحاسن والمساوىء ١١٤/٢) .
٣ انفردت بها ط .

٢٢

بين أبي عمر القاضي

وأبي عصمة الخطيب

حدّثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عيّاش[١] ، وأبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش[٢] الطائي الجوهري البغدادي ، وجَمَعْتُ خبريهما ، قالا :

كان أبو عصمة العُكْبَريّ الخطيب ، غالباً على أبي القاسم بن الحواري[٣] ، وكانت منزلته في الطيبة مشهورة ، قال ، فحدّثنا :

أنّ أبا عمر[٤] خطب لابن رائق[٥] الكبير ، على ابنة قيصر الكبرى ، فأطال وأبلغ ، وكان يوماً حارّاً .

---

١ أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث بن عياش الجوهري البغدادي ، ذكره التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة فقال : الخرزي ، بدل الجوهري ، والمعنى واحد ، وقال عنه : إنه كان خليفة أبيه على الفتيا بسوق الأهواز (الفرج بعد الشدة ١٢٠/١) . ونقل عنه قصصاً متنوعة ، عن أشخاص مختلفين ، من وزراء ، وولاة ، وكتاب ، وقضاة ، وتجار ، وصوفية ، وندماء ، ومنجمين ، وزراقين ، ومغنين ، ومغنيات ، حتى المخنثين ، راجع القصص ٦/١ و ٧ و ١٥ و ٢١ و ٢٣ و ٢٤ و ٣١ و ٣٢ و ٦٣ و ٨٣ و ١٢٣ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٣٣ و ١٨٩ و ٣٤/٢ و ٤٩ و ٦١ و ٦٣ و ٦٦ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ من النشوار .

٢ أبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش الطائي الجوهري البغدادي : قال عنه التنوخي إنه من ندماء سيف الدولة (٤٤/١ من النشوار) وكان شاعراً (٤٠/١ من النشوار) وقد نقل التنوخي عنه قصصاً عن سيف الدولة وعن رواد مجلسه (٤٤/١ و ٤٥/١ و ٧٢/١ من النشوار) .

٣ أبو القاسم علي بن محمد الحواري : ترجمته في حاشية القصة ٦٣/١ من النشوار .

٤ القاضي أبو عمر : ترجمته في حاشية القصة ١٠/١ من النشوار .

٥ ابن رائق : الأمير أبو بكر محمد بن رائق ، من الشجعان الدهاة ، له شعر وأدب ، ولي شرطة بغداد في زمن المقتدر ، ثم إمارة واسط والبصرة ، ثم نصبه الراضي أميراً للأمراء ، قتله ناصر الدولة غدراً سنة ٣٣٠ (الأعلام ٦ / ٣٥٨) .

فلما انقضت الخطبة ، قيل له : اخطب على البنت الأخرى ، للابن الآخر .
فَكَرِهَ الإطالة ، لئلا يضجر الخليفة ، وأراد التقرّب إليه ، فحمد الله سبحانه بكلمتين ، ثم قرأ آيةً من القرآن ، وعقَدَ النِكاحَ .

فنهض المقتدر مبادراً لشدّة الحرّ ، ووقع ذلك عنده ألطف موقعٍ لأبي عمر .

قال : فعاد ابن الحواري إلى داره ، وجئت ، فجلست عنده أحادثه ، وأتطايب له ، وأغمز رجله .

فقال : جرى اليوم لأبي عمر القاضي كلّ جميل ، ووصفهُ الخليفة ، وقرّظه ، واستحسن إطالته في الخطبة الأولى ، وإيجازه في الثانية ، وقال : مِثْلُ هذا الرجل، وفيه هذا الفضل، لِمَ لا نزيد في الإحسان إليه ؟ فقرّرت مع الخليفة ، بأن يزيده في أرزاقه وأعماله ، كذا وكذا ، فأمرني بتنجيز ذلك له من الوزير .

قال : وكان ابن الحواري ، صديقاً لأبي عمر .

فلما سمعت ذلك ، دعتني نفسي إلى أن أستبق بالخبر ، إلى أبي عمر ، لأستحقّ البشارة ، وأتقرّب إليه .

وطال عليّ الوقت ، حتى نام أبو القاسم ، فركبت دابّتي ، وجئت إلى أبي عمر، فأنكر مجيئي ذلك الوقت [١٢٤ ط] ، وعلم أنّه لمهمّ، فأوصلني ، فَجلَسْتُ ، وهنّأته ، وحدّثته بالحديث على شَرْحِهِ .

فقال أبو عمر : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأحْسَنَ الله جزاء أبي القاسم ، ولا عَدِمْتُكَ .

فاستقللت شكره ، وولّد لي فكراً ، مع ما بان لي في وجهه من التعجّب منّي .

فلمّا خرجت نَدِمْتُ ندماً شديداً ، وقلت : سرّ السلطان ، أفشاه إلى رجل عنده فوق الوزير ، فباح ذلك الرجل به بحضرتي وحدي ، لا يُسرّهُ

عنّي ، ولعلّه هو ، أراد أن يعتدّ به على أبي عمر ، بادرت أنا بإخراجه ، إن راح أبو عمر فشكره على ذلك ، أو ذاكره به ، فعلم أنّ ذلك من فعلي ، بأيّ صورة يتصورني ؟ أليس يراني بصورة من خرج بسرّ ؟ وإخراج السرّ ، في الخير والشرّ ، والفرح والغم ، والجيّد والرديء ، واحدٌ ؟

وإن أدّاه ذلك إلى استثقالي واحتشامي ، أليس في هذا انتقاص معيشتي وخيري ؟ ثم إن حجبني عنه ، من يوصلني إليه ؟ ومن يرغب في استخدامي بعده أو يدخلني داره ؟ أوليس ينتشر في البلد ، إنّه طردني ، لأنّني أفشيت له سرّاً ، لا يدرى ما هو .

ليس إلاّ أن أرجع إلى أبي عمر ، فأسأله كتمان ذلك .

قال : فرجعت من حيث قدّمت لي دابّتي ، ولم أركب .

فحين وقع ناظر أبي عمر عليّ ، قال لي : يا أبا عصمة [1] ، ولا حرف ، ولا حرف .

قال : فكأنّه حسب ما حسبته لنفسي ، وعلم ما علمته ، ممّا طرأ عليّ ، فلمّا رآني قد استدركت ذلك ، علِمَ أنّي ما رَجِعْتُ إلاّ لأسأله كتمان هذا ، فبدأني بما قاله . فشكرته وانصرفت ، ولم أجلس .

وقد أخبرني أبو الحسين بن عيّاش رحمه الله ، بهذا الخبر ، عن أبي عصمة ، ولم يذكر فيه حديث الخطبة ، ولا أي شيء كان السرّ ، وهذا الحديث أشرح ، فأوردته هكذا [2] .

---

١ أبو عصمة العكبري الخطيب : راجع القصص ١ / ٦٣ و ١ / ٦٤ من النشوار .

٢ انفردت بها ط ، ووردت في كتاب المفوات ١٦٧ .

٢٣

القاضي يخطب بين يدي الخليفة

في الإملاك

حدّثني أبو الحسن بن الأزرق[١] ، قال : حدّثني القاضي أبو طالب بن البهلول[٢] ، قال :

لما تأخّر أبي[٣] عن حضور المواكب ، وكان لا يخطب في الإملاكات غيره ، عرض للمقتدر[٤] رأي ، في إملاك بحضرته .

فقال لي عليّ بن عيسى[٥] هذا شيء كان إلى أبيك ، وأنت أحقّ به .

فقلت : لا أقوم به .

فقال لأبي عمر[٦] : فاخطب أنت .

فاستعفاه ، وسأله أن يجعل ذلك إلى ابنه[٧] ، فجعل إليه .

وكان يخطب بحضرة المقتدر في الإملاكات[٨] .

---

١ أبو الحسن بن الأزرق التنوخي : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤ من النشوار .

٢ القاضي أبو طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٧ من النشوار .

٣ أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي القاضي : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٦ من النشوار .

٤ المقتدر : الخليفة جعفر بن المعتضد : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٥ الوزير علي بن عيسى : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٦ أبو عمر القاضي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٠ من النشوار .

٧ هو أبو الحسين بن أبي عمر القاضي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٢٧ من النشوار .

٨ انفردت بها ط .

٢٤

وصف طبق قطائف

وصف القاضي المعروف بالنقّاش ، طبق قطائف ، قدّم إليه ، فقال :
اقشعرّ جلده[١] من كثرة حمله[٢] .

٢٥

النداء على الرطب الآزاد

حدّثني خالي ، قال :
سمعت منادياً ببغداد ، ينادي على الرطب الآزاد[٣] : هوذا أولاد الخلافة ، في الغلائلِ نيامٌ[٤] .

---

١ في الأصل : حمله .
٢ انفردت بها ط .
٣ الرطب الآزاد يسمى الآن في العراق : الزهدي .
٤ انفردت بها ط .

٢٦

الوزير ابن مقلة

وأبو أحمد الفضل الشيرازي الكاتب

حدّثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي ، قال : حدّثني أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازيّ الكاتب [١] ، قال :

كنت أكتب بين يدي أبي علي بن مقلة [٢] ، وهو وزير ، وكانت حالي صغيرة ، وكنت أستحلي قينةً كنت أنفق جميع ما أكسبه عليها .

وكان أبو عليّ يعرف ذلك منخَبَرِيْ ، فيخصّني بالأعمال التي تكسب المنافع ، وإذا أراد كتب عهدٍ [١٢٥ ط] لعاملٍ ، أو إجابة صاحب طَرَفٍ ، لم يعدل بذلك عنّي ، فأنتفع بالمائتي دينار ، والثلثمائة ، والأكثر ، والأقلّ ، ولا أُبقي شيئاً .

قال : فكان من ذلك ، أنّ كتاب ملك جرزان [٣] ، ورد عليه ، فرمى به إليّ ، وأمرني بالإجابة عنه .

فجاءني مُوْصِلُهُ ، يتنجّز الجواب ، وحمل إليّ مائتي دينار ، وثياب ديباج ، وغير ذلك .

فأجبته جواباً جميلاً ، وأخذت ذلك فأنفقته كلّه على المغنّية .

---

١ أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٧ من النشوار .

٢ الوزير أبو علي بن مقلة : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٧ من النشوار .

٣ في ط : خزران ، والصحيح ما أثبتناه ، قال ياقوت في معجم البلدان (٢/٥٨) : جرزان اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها : تفليس ، وهم الكرج ، وهم أمة عظيمة ، ولهم ملك في هذا الوقت .

وأصبحت بعد أيّام ، وهي عندي ، وليس معي ما أجذرها [1] به في يومي ذلك ، وأنا قَلِقٌ من انصرافها ، ولا حيلة لي في إسلامها ، حتّى جاءني غلامي ، فقال لي : إنّ صاحب جرزان على الباب .

فتثاقلت به ، وقلت : لم يبق شيء أتوقّعه منه ، وقد كتبت كُتُبَهُ ، وأنا متشاغل بحيلة ما أجذر هذه اليوم ، فاحْجِبْهُ عني .

قال : فخرج وعاد وقال : قد أعطاني عشرة دراهم، وسألني إيصاله إليك .

قال : فطمعت فيه ، وقلت : إذا أعطى غلامي عشرة دراهم ، فالأمر يحتمل أن يصل إليّ ، هاته .

قال : فدخل ، وأخرج الكتاب ، وقال : يا سيّدي ، كانت العادة ، إذا عُنْوِنَ الكتاب إلى صاحبي ، وقيل : لأبي فلان بن فلان ، أن يقال بعد ذلك : مَلِك جرزان ، ولم يقل هذا ، وفيه عليه غضّ في عمله ، فسحلق [2] ذلك .

قال : فقلت هذا لا يجوز إلاّ بأمر من الوزير ، وهذا أمر عظيم ، وإذا قيل ذلك فكأنّما قد أزلنا مُلْكَ السلطان عن ذلك الصقع ، وأخذت أهوّل الأمر ، وأفخّمه ، بقدر طاقتي .

فقال : يا سيّدي ، لا زمان [3] عليّ في مساءلة الوزير ، لأنّي أُريد الخروج اليوم مع القافلة ، فخذ مني ما شئت ، واكتب لي .

قال : فزاد طمعي فيه ، وقلت : هذا أمر لا يمكن للوزير فعله ، إلاّ بأمر الخليفة .

قال : فما زلت معه في ألوانٍ ، إلى أن دفع لي في الحال ، ثلثمائة دينار عَيْناً .

---

١ الجذر أجر المغني .

٢ كذا في الأصل ولم أفهمها ، ولم أستطع ردها إلى أصلها .

٣ يعني ليس عندي وقت .

فقلت : على شريطة أن لا يرى الكتابَ أحدٌ معك ، ولا تقم اليوم ببغداد .

قال : فشارطني على ذلك .

فكتبتُ إلى جانب العنوان « ملك جرزان » فقط ، وأخذت الدنانير وانصرف الرجل ، ولم أدع الجارية تَبْرح ومعي شيء من الدنانير .

قال: ثم دخلت إلى أبي عليّ . بعد ذلك بأيّام ، فرمى إليّ كتباً ، وقال: اكتب لصاحبها عهداً على أعماله بِتُسْتَر [١] .

قال : فجاءني الرجل ، وحمل إليّ مائتي دينار ، وثلاثة أثواب تسترية ، وعمامة منها، فكتبت عهده، وقطعت الثياب ، وكنت أنفق من تلك الدنانير .

قال : وكان بين أبي عليّ ، وبين أبي العبّاس الخصيبيّ [٢] ، من العداء والمشاحة على الوزارة ، ما عرفه الناس [٣] ، وكانت لأبي العبّاس عليّ ، حقوق ، ورياسة قديمة ، فكنت أحبّ لقاءه ، وأخاف من أجل الوزير ، فكنت ربّما مضيت إليه في الأيّام سرّاً ، واعتذرت من تقصيري باتّصالي بالوزير ، فيعذرني .

فاتّفق أنّي مضيت إليه يوماً سحراً ، في تلك الثياب الجدد ، وعدت إلى دار الوزير ، فلما صرت في الحجرة [١٢٦ ط] التي كان فيها ، وجدته [٤]

---

١ تستر : راجع حاشية القصة ١ / ٨٩ من النشوار .

٢ أبو العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبي الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٧٤ من النشوار .

٣ راجع القصة ٢/٦٣ من النشوار . وراجع ما ورد في حاشية الصحيفة ٣٢٣/١ من تجارب الأمم نقلا عن التكملة .

٤ يعني الوزير أبا علي بن مقلة : ترجمته في حاشية القصة ١٧/١ من النشوار .

وأبا الحسين ابنه [1] ، مختلين ، وفي ناحية من الدار جماعة من الكتاب جلوس ، منهم أبو جعفر بن شيرزاد [2] ، وأبو محمد المادرائي [3] ، وأبو علي الحسن بن هارون [4] ، وغيرهم .

فعدلت لأجلس مع الجماعة ، فلمّا رآني الوزير ، صاح : تعال ، بِحَرْدٍ .

قال : فَقُمْتُ فزعاً ، أن يكون الخبر بلقائي الخصيبيّ ، قد رقي إليه ، فجئته ، فأسرَّ إلى أبي الحسين ، بشيء في أمري ، لا أدري ما هو ، ثم ضحك وقال : اجلس ، فلما ضَحِكَ ، سَكَنَتْ نفسي ، وجَلَسْتُ .

فقال : اليوم يوم سبت ، والهوا [5] طيّب ، فما ترى في ترك العمل والصَّبوحِ ؟

فقلت : هذا والله عين الرأي ، وحقيقة الصواب ، ونفس الواجب ، وما لا يجوز العدول عنه ، ولا الخروج منه ، ولا التأخّر عن فعله ، وأخذت أصف طيب الصبوح ، وأروي ما حضرني فيه ، في الحال .

قال : فقال لحاجبه : قل لأصحابنا ، يمضون إلى الديوان ، وينظر كلّ

---

١ الوزير أبو الحسين علي بن محمد بن علي بن مقلة : هو ابن الوزير أبي علي، لما قلد الراضي ولديه المشرق والمغرب ، استكتب لهما أبا الحسين ، ثم استخلفه أبوه على جميع الدواوين ، ثم ولاه الراضي الوزارة مع أبيه ، ولما قبض على أبيه استتر ، ثم وزر للمتقي ، وسافر معه إلى الموصل ، ولما عاد معه إلى بغداد قبض عليه توزون ، وتوفي في السنة ٣٤٦ (تجارب الأمم ١/٣٠٩ – ٣٨٨ و ٢/٤٣ – ١٦٧) .

٢ أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٧٧ من النشوار .

٣ أبو محمد الحسن بن أحمد المادرائي : صادره المحسن بن الفرات في وزارة أبيه على مائتي ألف وألف ألف دينار ، ثم صادره مرة ثانية على ألف ألف دينار أيضاً (الوزراء ٢٤٨) .

٤ أبو علي الحسن بن هارون : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤٨ من النشوار .

٥ الهوا : لغة بغدادية في الهواء ، لم تزل مستعملة .

واحد في أمره ، وما إليه ، وأخْلِ دار العامة ، ولا تستأذن عليّ لأحد ، حتى أتشاغل بالصبوح .

ثم دعا الفراشين ، فأمرهم بفرشِ حجرةٍ كان يستطيبها ، وقال : أُريد أن تكون في نهاية الضياء ، من غير أن يسقط فيها خرم إبرة شمس .

فقام فلم تكن إلاّ ساعة ، حتى جلس فيها ، فأكلنا معه ، ونفسي متطلّعة إلى ما جرى .

فلما نهضنا لغسل أيدينا ، سألت أبا الحسين عن ذلك ، فقال : إنّ الوزير لما رآك ، قال : هذا الرجل يخدمنا ، ويختصّ بنا ، وواجب الحقّ علينا ، وهو يعشق مغنّية لَعَلّ ثمنها شيء يسيرٌ ، ويُتْلِفُ كلّ ما يكسبه عليها ، ولا نشتريها له ؟ أيّ شيء أقبح من هذا ؟

قال : فقلت له — وكنت أعرف في أبي الحسين شدّة — فأيّ شيء قلت له يا سيّدي ؟

قال : قد قوّيت رأيه .

قلت : لا يقنعني هذا والله ، أُريد أن تتجرّد ، وتصمّم ، وتذكّره ، ولا تدَعْه أو يتنجّز لي ثمنها اليوم .

فقال : أفْعَلُ .

وقام أبو الحسين لينام ، فلم يحملني أنا النوم ، وقَعَدْتُ ، فعملت أبياتاً في الوزير ، أشكره على هذا الرأي ، وأتنجّز الوعد ، وحرّرتها بأحسن ما قدرت عليه من خطّي .

فلما جلسنا للشرب ، وشرب الوزير أقداحاً ، رميت إلى أبي الحسن ابن هارون بن المنجم ، بالرقعة ، وكانت له عادة عندي في التعصّب لشعري ، والمدح لي عند الوزير ، لنفاقِه عليه ، واختصاصه به ، من بين ندمائه .

فأخذ أبو الحسن الرقعة ، فأنشد منها الشعر ، وأتبع ذلك بوصفها وتقريظها ، وتبعه الجماعة ، واستحسن الوزير ذلك ، فأخذ الرقعة ، فقطع بالسكّين سحاة عريضة منها [1] ، فكتب في رأسها شيئاً ، ودفعه إلى أبي الحسين ، فكتب فيها شيئاً ، ثم أخذها الوزير ، فلفّها شديداً حتى صارت كالزرّ ، ورمى بها ، فإذا هي في حِجْرِي ، ففتحتها ، فإذا فيها : ندى الخادم ، عشرة آلاف درهم ، وبخط أبي الحسين : فـلان الجهبذ خمسة آلاف درهم .

قال : فجئت لأنهض ، فأشكره ، وأقبّل يده ، فأومأ إليّ [١٢٧ ط] بإصبعه ، أن اسكت ، ووضعها على فيه ، فسكتّ، وشربنا إلى أن حضرت المغرب ، وقام الوزير ليصلّي ، وقمنا .

قال : فاستدعاني ، فقال : أأخذت المال ؟

فقلت : لا .

فقال : إنّا لله ، ظننتك أفره من هذا ، إذا قال لك السلطان ، هات لأغرف لك ، فابسط حِجْرَك [2] ، ولا تنتظر غضارة [3] ، إن صرفني الخليفة الليلة عن الوزارة ، كيف تصل أنت إلى المال ؟ إن متّ ؟ إن كان كذا ؟

فقلت : حاشاك يا سيّدي ، لَعَنَ اللهُ هذه الدراهم ، مع هذا القول ، يبقيك الله ألف سنة .

فقال : دع ذا عنك ، ثم نادى الخادم ، فجاء ، فقال : خذ هذه الرقعة ، وأحضر المال الساعة ، قبل أن أتمّم الصلاة .

قال : فأخذها الخادم ودخل هوَ في الصلاة ، ودخلنا نحن ، فوالله ،

---

١ السحاة : انظر حاشية القصة ٢/٧٩ من النشوار .

٢ الحجر : حضن الإنسان .

٣ الغضارة : انظر حاشية القصة ١/٥٠ من النشوار .

ما تمّمنا صلاتنا ، حتى حضر المال ، ولم يكن معي غلام يحمله ، إلاّ صبيّ يحمل دواتي ، ولا يطيق ذلك .

قال : فالتفتّ إلى بدعة الصغيرة ، وكانت في المجلس ، وكان بيني وبينها وُدٌّ ، وهي تتعصّب لي ، فقلت : يا ستّي ، أعيريني بعض خدمك ، يحمل هذا المال معي ، إلى داري ، فإنّ غلامي لا يطيقه .

قال : وكانت بدعة الحمدونية[1] ، إذا حضرت المواضع ، معها عدّة جوارٍ وخدم وفرّاشين .

قال : فدَفَعَتْ إليّ غلامها ، وكان مقدّماً عندها ، فسلّمت إليه المال ، فحفظه ، حتى أدّاه إلى منزلي .

فاستدعيت مولاة الجارية ، وبذلته لها في ثمنها ، فقالت : لا أبيعها إلاّ بثلاثين ألفاً ، فاستقبحت إعلام الوزير بالصورة ، وتاقت نفسي إلى نفقة[2] المال ، فأسلفتها منه للجذور ، خمسة آلاف درهم ، وأنفقت الباقي عليها في مدّة يسيرة[3] .

---

١ بدعة الحمدونية هي بدعة الصغيرة : ذكرها ابن الأثير في الكامل (٨/ ٥٠٦) وقد توفيت في السنة ٣٤٢ ، أما بدعة الكبيرة ، وهي بدعة جارية عريب المأمونية فلم تلحق وزارة ابن مقلة (راجع المنتظم ٦/ ١٢٩) .

٢ النفقة : اسم من الإنفاق .

٣ انفردت بها ط .

٢٧

الوزير ابن مقلة يهدي لكاتبه

عطراً وشراباً ومالاً

حدّثني أبو محمد أيضاً[١] ، قال : حدّثني أبو أحمد أيضاً[٢] ، قال :

غدوت في بعض الأيّام إلى حضرة الوزير أبي عليّ بن مقلة ، وأنا في بقية خُمارٍ[٣] ، وقد خلّفْتُ في داري هذه الجارية .

فلما مضى من النهار ساعتان ، عنّ للوزير قطع العمل ، والتشاغل بالشرب .

فقطعت من رأس الدَرْجِ[٤] ، قطعة ، وكتبت فيها إلى أخي ، آمره باحتباس الجارية ، وبإعداد أشياء رسمتها له ، وأعلمته أنّني على أثر الرقعة ، مع تشاغل الوزير بالأكل ، وعملت على الاحتجاج للوزير بالخُمارِ ، والوزير يلحظ ما أكتبه ، ويقرؤه ، وأنا لا أعلم .

وسلّمت الرقعة إلى غلامي ، ومضى بها إلى منزلي .

فلم يكن بأسْرَعَ من أن نهض الوزير ، واستدعى المائدة ، وأمرني بالأكل معه ، فامتنعت ، واحتججت بعظم الخُمار ، وأنّني لا أقدر على شمّ الطعام ، فضلاً عن أكله .

فألحّ علي ، فألححت في الامتناع .

---

١ أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي .

٢ أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب .

٣ الخمار : صداع الخمر .

٤ الدرج : ما يكتب فيه .

فاستدعى عملاً كان بين يديه ، وأخرج منه عدّة كتب ، وأمرني بالانفراد ، والإجابة عنها .

فورد عليّ من ذلك ما أقلقني ، ولم أعلم غَرَضَهُ ، ولا أنّه يستدعيني إلى الطعام ، ويشير عليّ بالدخول معه في ذلك الأمر ، وتأخير الكتابة إلى غد ، وأنا مقيم على شكوى الخمار ، وتعذّر الأكل عليّ .

إلى أن فرغت من الكتب ، وقد توسّط[١٢٨ ط] أكله ، وجئت بها مقدّراً أنّه يأذن لي في الانصراف .

فقال : قد تبقّى من مدّة أكلنا ، ما تبلغ به وَطرَكَ من الطعام ، فاستخر الله ، وساعدنا .

فأقمت على الامتناع .

فاستدعى عملاً ثانياً ، وأخرج منه عدّة كتب أُخر ، وقال لي : إذا كنت غير داخل معنا في أمرنا ، فأجب عن هذه أيضاً .

فورد عليّ أعظم من الأوّل ، وانفردت للإجابة ، إلى أن فرغت منها ، مع فراغه من الأكل .

وجئت بالكتب فعرضتها عليه ، وأنا لا أشكّ في الانصراف .

فقال لي : لست أشكّ في تصرّم خمارك ، فاستدع ما تأكله ، والحق بنا .

فأقمت على الامتناع .

فاستدعى عملاً ثالثاً ، ليشغلني بشيء ، وتبسّم .

فقلت له : ما هذه الحاجة الداعية إلى اتّصال العمل عليّ في هذا اليوم .

فقال : قد قرأت رقعتك إلى أخيك ، من ظهرها .

فعرفتُ من حيث أتيت ، فضَحِكَ ، وضَحِكْتُ .

وأمر بإحضار مائتي دينار ، وعشرين دنّاً من الشراب العتيق ، وسلّم

ذلك إلى غلامي ، ثم أمر بإحضار صندوقٍ صغير له ، فيه طيبٌ ، فقدّم إلى حضرته ، ومنديل دبيقيّ[1] ، وجعل فيه من الصندوق، من الندّ[2] كفاً، ومن العود المُقْلي[3] كفّاً ، وكذلك من الكافور والمسك ، مثل ذلك ، واستدعى قدحاً ، فجعل فيه أواق[4] غالية ، ووضعه في المنديـــل ، وختمه بخاتمه .

وقال : إمض ، فأنفق هذه الدنانير ، واشرب الشراب ، وتبخّر بهذا البخور .

فأخذت جميع ذلك ، وانصرفت[5] .

---

١ المنديل الدبيقي : المنسوج في دبيق بمصر .

٢ الند : عود يتبخر به ، فارسية .

٣ المقل : شجرة تسمى أيضاً الدوم ، متشعبة الساق تنبت في الجزيرة العربية ومصر والسودان

٤ أواق : مفردها أوقية : ١/١٢ من الرطل و١/٦ من الأقة .

٥ انفردت بها ط .

٢٨

أنت تحركت على الصفراء

ليس الصفراء تحرّكت عليك

وحدّثني أبو محمد أيضاً[١] ، قال حدّثني أبو أحمد[٢] أيضاً قال :

كانت هذه الجارية صفراء ، تسمى « بهجة » .

فشربت معها ليلة ، وأصبحت مخموراً ، فآثرت الجلوس معها ، على لقاء الوزير أبي عليّ ، وكان يعرف خبري معها .

فأردت الاعتذار إليه من التأخّر عن الخدمة ، وأخفي خبري عليه ، فكتبت إليه رقعة أعتـــذر فيها ، وأقول : إنّ الصفراء[٣] تحركت عليّ ، فتأخّرت .

فوَقّعَ على ظهرها بخطّه : أنت تحرّكت على الصفراء ، ليس الصفراء تحرّكت عليك[٤] .

قلت : وهذا التوقيع يشبه ما أنشدنا أبو الحسن عليّ بن هارون بن المنجم ، لنفسه ، في جارية صفراء ، وقد شكا إلى الطبيب مرة الصفراء ، ولا أدري أيّهما أخذ من صاحبه :

---

١ أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي .

٢ أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب .

٣ الصفراء : المرة ، وهي أحد الأخلاط الأربعة: الدم ، والبلغم ، والمرة الصفراء ، والمرة السوداء (مفاتيح العلوم ١٠٦) .

٤ وردت القصة في المنتظم لابن الجوزي ٥/٤٤٤ ، ووردت في النشوار مكررة: انظر القصة ٨/١١٣ .

قال الطبيب وقد تأمّل سحنتي   هذا الفتى أودت به الصفراء[1]
فعجبت منه إذ أصاب وما درى   قولاً وظاهر ما أراد خطاء[2]

٢٩

بغل لا يصلح للبيع

رأى رجل في حمّام ، رجلاً وافرَ المتاع ، فقال له عابثاً : تبيع هذا البغل ؟

قال : لا ، ولكنّي أحملك عليه[3] .

---

١ في الأصل : يلي هذا البيت آخر في نفس المعنى ويقارب به في اللفظ ، وهو :

جس الطبيب يـــدي وقال مخبراً   قد أتلفت هذا الفتى الصفراء

٢ انفردت بها ط .

٣ انفردت بها ط .

٣٠

القاضي أبو الحسن الهاشمي

يغسل الخليفة الراضي

وحدّثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي رحمه الله[١] ، قال: لمّا مات الراضي رضي الله عنه[٢] ، أُنْفِذَ إليّ ، فاستدعيت لغسله ، فحضرت ، ودخلت إلى الموضع الذي هو فيه من دار الخلافة ، فإذا به مسجّى ، على وجهه إزار مرويّ [١٢٩ ط] غليظ[٣] .

فقلت : لا إله إلا الله ، مثل هذا يطرح على وجه خليفة ؟

فقال لي بعض الخدم : إنّه لمّا مات ، أخذ كل إنسان ، ما هو مثبت عليه ، فرده إلى الخزانة ، حتى طرحت أنا عليه إزاري هذا .

قال : فطلبنا مرجلاً أو مسينة[٤] لنغلي فيها ماء حاراً ، فما وجدنا ، حتّى جاءوا بها بعد مدة من حجرة بعض الخدم .

فغسلته ، وكفّنته بأكفان جميلة من داري[٥] ، وصلّيت أنا والخدم عليه ، وحُمِلَ إلى داره بالرصافة فدفن فيها[٦] .

---

١ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي : أحد الأشخاص الذين نقل عنهم صاحب النشوار كثيراً من الأحاديث التي دونها في كتابه، منها القصص (١/٥ و١/١٧٢ و١/١٧٥ و٢/٣٦) ونقل عنه أيضاً شيئاً من شعره الذي لا يرتفع إلى درجة الوسط (القصة ١/٤١) وكان الهاشمي قاضياً بالبصرة ، وعزل في السنة ٣٥٦ (راجع القصة ٢/٨٠ من النشوار) .

٢ الراضي : أبو العباس ، محمد بن جعفر المقتدر (٢٩٧ – ٣٢٩) ، ولي الخلافة في زمن مضطرب ، تفككت فيه عرى الدولة . (الأعلام ٦ / ٢٩٧) .

٣ الثياب المزوية من الثياب الغليظة تنسب إلى مرو .

٤ لعلها مسخنة ، وفي بغداد يدعى الإناء الذي يسخن فيه الماء (مسخنة) .

٥ في الأصل : من داره .

٦ انفردت بها ط .

٣١

الخليفة الواثق ، يهمل بعد موته

فيأكل الحرذون عينيه

حدّثني الحسين بن الحسن بن أحمد بن يحيى الواثقيّ ، قرابة أبي ، قال : حدّثني أبي ، قال حدّثني أبي أحمد[١] ، قال :

كُنْتُ أخدم الواثق[٢] ، وأخدم تحته ، في علّته التي مات فيها .

فكنت قائماً بين يدي الواثق ، في علّته ، أنا وجماعة من الأولياء ، والموالي ، والخدم ، إذ لحقته غشية ، فما شككنا أنّه قد مات .

فقال بَعْضُنا لِبَعْضٍ : تقدّموا فاعرفوا خَبَرَهُ ، فما جسر أحد منهم يتقدّم .

فتقدّمت أنا ، فلما صِرْتُ عند رأسه ، وأردت أن أضع يدي على أنفه وأعتبر نَفَسَهُ ، لحقته إفاقَة ، ففتح عينيه ، فَكِدْتُ أن أموت فَزَعاً من أن يراني قد مشيت في مجلسه إلى غير رتبتي .

فتراجعت إلى خلف ، فتعلّقت قبيعة[٣] سيفي بِعَتَبَةِ[٤] المجلس ، وعثرت به ، فانكببت عليه ، فاندقّ سيفي ، وكاد أن يدخل في لحمي ويجرحني .

---

١ أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي : ولي البصرة سنة ٢٨٥ (معجم الأنساب والأسر الحاكمة ٦٥) ثم ولي شرطة بغداد في أيام المكتفي ، ترجم له صاحب الوافي بالوفيات ١٣٥/٨ وأورد له قصة لطيفة في الكشف عن اللصوص .

٢ الواثق ، هارون بن المعتصم : ترجمته في حاشية القصة ١٥٥/١ من النشوار .

٣ قبيعة السيف : ما على طرف مقبضه من فضة وحديد .

٤ العتبة : اسكفة الباب .

فسلمت ، وخرجت ، واستدعيت سيفاً ومنطقةً أخرى ، ولبستها وجئت حتى وقفتُ في مرتبتي ساعةً . فتلف الواثق تلفاً لم تشكّ جماعتنا فيه ، فتقـدّمت فشددت لحييه ، وغمّضته ، وسجّيته ، ووجهته إلى القِبْلَةِ ، وجاء الفرّاشون ، وأخذوا ما تحته في المجلس ، ليردّوه إلى الخزانة ، لأنّ جميعه مثبت عليهم ، وتُرِكَ وَحْدَهُ في البيت .

فقال لي ابن أبي دؤاد القاضي : إنّا نريد أن نتشاغل بعقد البيعة ، ولا بدّ أن يكون أحدنا يحفظ الميت إلى أن يدفن ، فأحبّ أن تكون أنت ذلك الرجل . وقد كنت من أخصّهم به في حياته ، وذلك أنّه اصطنعني ، واختصّني ، حتى لقّبني الواثقيّ ، باسمه ، فحزنت عليه حزناً شديداً ، وقلت : دعوني ، وامضوا .

فرددت بابَ المجلس ، وجلستُ في الصحنِ ، عند الباب أحفظه ، وكان المجلس في بستان عظيم ، أجربة ، وهو بين بستانين .

فَحَسَسْتُ بعد ساعة ، في البيت ، بحركة عظيمة أفزعتني ، فدخلت أنظر ما هي ، فإذا بحرذون[1] قد أقبل من جانب البستان ، وقد جاء حتى استلّ عيني الواثق ، فأكلهما .

فقلت : لا إله إلاّ الله ، هذه العين التي فتحها منذ ساعة ، فاندقّ سيفي هيبة لها ، صارت طعمة لدابّةٍ ضعيفة .

قال : وجاءوا فغسلوه بعد ساعة ، فسألني ابن أبي دؤاد ، عن سبب عينيه ، فأخبرته .

قال : والحرذون ، دابّة أكبر من اليربوع قليلاً[2] .

---

١ الحرذون : من الزحافات وهو أكبر من السحلية يسمى في جزيرة العرب بالحبينة (معجم الحيوان للمعلوف ص ٦ و ٢٢٦) .

٢ انفردت بها ط ، ونقلها الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/٢٠ .

٣٢

ما أرانا إلا كنا خزاناً للوليد

حُكيَ عن هشام بن عبد الملك[١] ، إنّه لما ثَـقُـلَ ، وأخذ في النزع ، أُغمي عليه ، ثم أفاق ، فطَـلَـبَ شيئاً .

فقيل له : إنّ الخزّان قد أقفلوا على جميعه ، وتفرّقوا .

قال : فتَـنَـفّس [١٣٠ ط] الصُّعَداء[٢] ، وقال : ما أرانا إلاّ كنّا خزّاناً للوليد[٣] بن يزيد[٤] .

---

١ هشام بن عبد الملك ٧١ – ١٢٥ : من مشاهير الخلفاء الأمويين ، خلف أخاه يزيد سنة ١٠٥ ، وثار عليه زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام فوجه إليه من قتله ، وكان ممسكاً ، واجتمع في خزائنه مال كثير ، توفي سنة ١٢٥ (الأعلام ٩/ ٨٤) .

٢ الصعداء : التنفس الطويل من هم أو مرض .

٣ الوليد بن يزيد بن عبد الملك (٨٨ – ١٢٦) : ولي الخلافة بعد عمه هشام ، وكان من فتيان بني أمية وظرفائهم ، وكان شجاعاً ، جواداً ، منهمكاً في اللهو ، ثار عليه ابن عمه يزيد ابن الوليد ، وحاصره ، وقتله سنة ١٢٦ ، ونصب رأسه في الجامع الأموي بدمشق ، وبقي أثر دمه على الجدار حتى قدم المأمون سنة ٢١٥ فأمر بحكه (الأعلام ٩/١٤٥) .

٤ انفردت بها ط .

٣٣

الخليفة القاهر يعذب أم المقتدر

زوجة أبيه ، ويصلبها منكّسة

وهذه شغب [١] أم المقتدر بالأمس ، تنعّمت ما لم يتنعّمه أحد ، ولعبت من أموال الدنيا بما استفاض خَبَرُهُ .

فلما قُتِلَ المقتدرُ [٢] قبض عليها القاهر [٣] ، فعذّبها صنوف العذاب حتّى قيل إنّه علّقها بثدييها ، يطالبها بالأموال . وحتّى علّقها منكّسة [٤] ، فبالت ، فكان بولها يجري على وجهها .

فقالت له : يا هذا ، لو كانت معنا أموال ، ما جرى في أمرنا من الخلل ، ما يؤدّي إلى جلوسك ، حتّى تعاقبني بهذه العقوبة ، وأنا أمّك في كتاب الله عزّ وجل ، وأنا خلّصتك من ابني في الدفعة الأولى ، حتّى أجلست هذا المجلس [٥] .

---

١ السيدة شغب أم المقتدر : ترجمتها في حاشية القصة ١ / ١٢٨ من النشوار .

٢ الخليفة المقتدر ، جعفر بن الخليفة المعتضد أحمد : ترجمته في حاشية القصة ١ / ٩ من النشوار .

٣ القاهر ، محمد بن المعتضد : خلف أخاه المقتدر في الخلافة ، وكان قاسياً فتاكاً سيء السيرة ، فخلع وكحلت عيناه بالنار ، توفي سنة ٣٣٩ (الأعلام ٦ / ٢٠٠) .

٤ في الأصل : منكبة .

٥ هذه القصة انفردت بها : ط ، وقد وردت في المنتظم ٦/٢٥٣ .

٣٤

الخليفة القاهر يعذب أم المقتدر
ويضطرها لبيع أملاكها

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال : حدّثني عمي أبو محمد ، قال : أنفذني أبو الحسين بن أبي عمر القاضي [١] ، وابن حباب الجوهري ، إلى القاهر ، وكان قد طلب منه شاهدين ، ليشهدا على أمّ المقتدر ، بتوكيلها ، في بيع أملاكها .

قال : فصرنا إلى دار الخلافة ، واستؤذن لنا ، فدخلنا إلى القاهر ، وهو جالس في صحن كبير ، عند باب ممدود عليه ستارةُ ديباجٍ ، وسَبَنيّة [٢] ، على كرسيّ حديد ، وفي يده حربة يقلّبها ، وخدمه قيام على رأسه .

فسلّمنا عليه ، ووقفنا .

ودفع إلينا أحد الخدم ، كتاباً أوّله : أقرّت شغب ، مولاة أمير المؤمنين المعتضد صلوات الله عليه ، أم جعفر المقتدر رحمة الله عليه .

فوقفنا عليه ، فإذا هو وكالة ببيع أملاكها ، في سائر النواحي .

فقلنا للخادم : فأينْ هي ؟

قال : وراء الباب .

فاستأذنّا الخليفة في خطابها ، فقال : افعلا .

---

١ أبو الحسين القاضي : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٢٧ من النشوار .

٢ السبنية : أزر سود للنساء منسوبة إلى سبن وهي قرية في نواحي بغداد (المنجد) وفي معجم البلدان (٣/٣٥) أن السبنية ضرب من الثياب الكتان أغلظ ما يكون منسوب إلى سبن ولم يعين موضعها .

فقلنا : أنت عافاك الله هاهنا ، حتى نقرأ عليك ؟

فقالت : نعم .

فقرأنا عليها الكتاب وقرّرناها ، ثم توقّفنا عن كتب الشهادة ، فأومأ بعضنا إلى بعض ، كيف نعمل في رؤيتها ؟ وإلاّ لم يمكنّا إقامة الشهادة ، وهيبتنا الخليفة .

فقال : ما لكم تتآمرون ؟

فقلنا : يا أمير المؤمنين ، هذه شهادةٌ ، نحتاج أن نقيمها عِنْدَ قاضٍ من قضاة أمير المؤمنين ؟

فقال : نعم .

قلنا : فإنها لا تصحّ لنا دون أن نرى المرأة بأعيننا ، ونعرفها بعينها واسمها ، وما تنسب إليه .

فقال : افعلوا .

قال : فسمعت من وراء الستارة ، بكاءً ، ونحيباً ، ورُفِعَتِ الستارةُ .

فقلتِ لها : أنت شَغَب ، مولاة أمير المؤمنين المعتضد بالله صلوات الله عليه ، أمّ جعفر المقتدر رحمة الله عليه .

قال : فبكت ساعة ، ثم قالت : نعم .

فقرّرناها على ما في الكتاب ، وأُسْبِلَ السِّتْرُ ، فتوقّفنا عن الشهادة .

فقال القاهر بِضَجَرٍ : فأي شيء بقي ؟

فقلنا : يعرّفنا أمير المؤمنين إنّها هي .

فقال نعم ، هذه شغب ، مولاة أبي المعتضد بالله ، أمير المؤمنين ، وأمّ أخي جعفر المقتدر بالله ، ونَهَض .

فأوقعنا [1] خطوطنا في الكتاب ، وانصرفنا .

---

[1] يريد : وقعنا .

قال : ولمّا رأيتها ، وجدتّها امرأة عجوزاً ، دقيقةَ الوجه والمحاسن [١٣١ ط] ، سمراء اللونِ إلى البياضِ والصفرة ، عليها أثر ضرٍّ شديد ، وثياب غير فاخرة [١] .

فما انتفعنا بأنفسنا ذلك اليوم ، فِكْراً في تقلّب الزمان ، وتصرّف الحدثان [٢] .

وجئنا ، فأقمنا الشهادة ، عند أبي الحسين القاضي [٣] .

---

١ بشأن تعذيب القاهر للسيدة أم المقتدر ، راجع تجارب الأمم ١/٢٤٣ والمنتظم ٦/٢٥٣ والكامل ٨/٢٤٥ والفخري ٢٧٦ .

٢ قتل المقتدر في يوم الأربعاء ٢٧ شوال سنة ٣٢٠ (المنتظم ٦/٢٤٣ ومروج الذهب ٢/٥٤٧) وقتل قاتله في نفس اليوم بعد ساعات (تجارب الأمم ١/٢٣٧) وتوفيت السيدة والدته بعد قتله بسبعة أشهر وثمانية أيام على قول المنتظم ٦/٢٤٣ . وفي جمادى الثانية على قول الكامل ٨/٢٥١ .

٣ انفردت بها ط ، ووردت في المنتظم ٦/٢٥٣ .

٣٥

يقتلون شيخاً حسن الشيبة

ثم يظهر أنه خناق

حدّثني أبو جعفر ، أصبغ بن أحمد الكاتب[١] ، شيخٌ خَدَمَ قديماً الصيمريّ ، وحجب أبا محمد المهلبي[٢] ، وهو إذ ذاك يَخْلُفُ أبا جعفر الصيمري[٣] على الأمور كلّها ، فلما وَلِيَ أبو محمد الوزارة ، صَرَفَهُ عن حجبته ، وصَرَّفَهُ فيما يتصرّف فيه المستخرجون والمستحثّون ، قال :

حدّثني بعض غلمان بجْكَم[٤] ، قال : أنفذني إلى الأنبار[٥] ، في جماعةِ غلمانٍ ، لقتل قوم كانوا محبّسين من الأعراب ، وأمرنا بحمل رؤوسهم إليه ، وكتب لنا في ذلك .

فجئنا إلى العامل ، فأوصلنا إليه الكتاب ، فسلّم القوم إلينا ، فضربنا أعناقهم ، وقطعنا رؤوسهم .

---

١ ذكر التنوخي أبا جعفر هذا في كتاب الفرج بعد الشدة (٢/٧٥) فقال : حدثني أبو جعفر اصبغ بن أحمد بن شيخ ، وكان يحجب أبا محمد المهلبي رحمة الله عليه ، قبل وزارته ، فلما ولي الوزارة ، كان يصرفه في الاستحثاث على العمال ، وفي الأعمال التي يتصرف فيها العمال الصغار .

٢ أبو محمد المهلبي ، وزير معز الدولة بعد الصيمري : ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار .

٣ أبو جعفر الصيمري ، وزير معز الدولة قبل المهلبي : ترجمته في حاشية القصة ١/٤٧ من النشوار .

٤ بجكم : أمير الأمراء ، راجع حاشية القصة ١/١٠٦ من النشوار .

٥ الأنبار : راجع حاشية القصة ١/١٣٧ من النشوار .

وأقمنا ليلتنا هناك ، وبكّرنا ، والرؤوس في مخالي دوابّنا ، مسمّطة[1] عليها ، ونحن نريد بغداد .

وكنّا عشرة غلمان ، والمقتّلين عشرة .

فلما صِرْنا في بعض الطريق ، وحَمي النهار ، أوينا إلى قرية خرابٍ ، وجلسنا نأكل ، والمخالي بين أيدينا ، فيها الرؤوس ، قد نحّيناها عن الدواب ، وتركنا الدواب ترعى .

فلما فرغنا من أكلنا ، قمنا إلى المخالي ، فافتقدنا من الرؤوس التي فيها واحداً ، فقامت قيامتنا ، وقلنا نحن مقتولون به ، سيقول لنا بجكم : أخذتم منه مالاً ، وتركتموه ، كيف نعمل ؟

فأجمع رأينا على أن نخرج إلى تلك الصحراء ، فنعترض رجلاً كائناً من كان أوّل ما نلقاه ، فنقتله ، ونجعل رأسه في المخلاة، بدلاً من الذي ضاع ، ونسير .

فخرجنا على هذا ، فأوّل من استقبلنا ، رجل شيخ ، حَسَنُ الشيبة والثياب ، له سجّادةٌ وسَمْتٌ[2] ، وهو راكبٌ حماراً ، عليه خُرْج مُثْقَلٌ ، وهو يسير .

فأوقعنا به وقتلناه ، بعد أن تذمّمنا من قتله ، مع ما رأيناه عليه ، إلاّ أنّا خفنا أن ينتشر الناسُ في الطريق ، فلا يمكنّا قتل أحد ، ونكون نحن المقتّلين .

فقتلنا الرجل ، وقَطَعْنا رأسه ، وجئنا لنجعله في المخلاة ، فإذا نحن برأس ملقى بين أرجل الدواب ، فشككنا فيه ، وعددنا الرؤوس ، فإذا هي أحد عشر .

---

١ مسمطة : معلقة .

٢ السجادة : أثر يبقى في جبهة الإنسان لكثرة سجوده ، والسمت الهيئة .

فشككنا ، حتّى أخذ كل واحد منا رأساً ، وبقي في الأرض رأس واحد فاضلاً .

فقامت قيامتنا ، ولَطَمْنا ، وقلنا : قتلنا رجلاً مسلماً بغير سبب ، وشقّ ذلك علينا .

وكان معنا شيخ من الغلمان ، جار[1]، فقال : يا قوم ، إنّكم ما سلّطتم على هذا الشيخ ، إلاّ وله عند الله سريرة سوء ، ففتّشوا رحله ، لعلّكم تستدلّون على ما يزول به غمّنا في قتله .

فقمنا إلى رحله[2] ، فحططنا الخرج عنه ، وفتحناه ، فأوّل شيء خرج علينا ، هو بكرة ، ثم تلا ذلك ، ثياب ملوّثة بالدم وبالغائط .

وتوالت الأدلّة علينا ، فإذا هو خنّاقٌ شدّاخٌ .

فحمدنا الله تعالى على [١٣٢ ط] ما سلّمنا من قتل من لا يستحق القتل . وتقاسمنا قماشه ، ودفنّا رأسه في الطريق .

وجئنا فسلّمنا العشرة الرؤوس إلى بجْكَم[3] .

---

١ كذا في الأصل .

٢ الرحل : ما يصحب الإنسان من الأثاث في سفره .

٣ انفردت بها ط .

٣٦

القاضي أبو عمر
وحُسْنُ تصرّفه وَوُفور عقله

حدّثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشميّ[١] ، قال : ركبت مع القاضي أبي عمر[٢] ، في يوم موكب ، في طيّاره[٣] ، إلى دار المقتدر .

فصَعدَ هو وابنه[٤] ، وجلست أنا والجماعة ، في الطيّار ، ننتظر رجوعه . فرأيت جماعة من الخدم ، وقد وقفوا له ، يشتمونه بأقبح لفظ ، ويقولون له : يا ظالم ، يا مرتشي ، وهو مُطْرِقٌ إلى الأرض ، يمشي إلى أن دخل الدار .

فهالني إقدامهم عليه ، وقبح الصورة ، وقلت في نفسي : إن لم يكن هذا الفساد برأي الخليفة ، وإلا فيجب أن يشتكي إليه منهم الساعة ، حتّى يؤدّبوا .

فلمّا عاد ، خاطبه أولئك الخدم ، بأقبح من الخطاب الأول ، فعلمت أنّه ما شكاهم ، ولم أقدم على مخاطبته في ذلك ، لعظم هيبته ، وافترقنا .

فلما كان عشيّ ذلك اليوم ، عدت إليه ، وهو متخلّ ، وقد استدعى

---

١ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي القاضي : ترجمته في حاشية القصة ٢/ ٣٠ من النشوار .

٢ القاضي أبو عمر محمد بن يوسف : ترجمته في حاشية القصة ١/١٠ من النشوار .

٣ الطيار : من القوارب ، حاشية القصة ١/٨ من النشوار .

٤ القاضي أبو الحسين عمر بن أبي عمر : ترجمته في حاشية القصة ١/١٢٧ من النشوار .

بعض أصحابه ، ودفع إليه نحوت ثياب فاخرة ، وطيباً ، وأشياء قيمتها خمسمائة دينار ، وأمره بحملها إلى خادم كان رئيس أولئك الخدم الذين سبّوه غدوة .

وقال له : إقْرِهِ السلام ، وقل له كنت راسلتني في أن أحكم لفلان بشيء ، لم تجز إجابتك إليه ، لأنّه لم يكن مذهبي ، ولا ممّا يجوز عندي في الحكم ، ولو عُرِضتُ على السيف لم أجب إلى محال في حكم ، فرددتك . فكان منك بالأمس ما لم يرضَ الله به ، ولا قدح في شيء من أمرنا ، ولكنّي استدللت به على عتبك ، وَوَقَعَ لي أنّ الرجل كان وعدك بشيء ساءك فوته ، وقد أنفذت إليك هذا — وَضَعِ الهدية بين يديه — وأحبّ أن تَقْبلهُ ، وتعذرني .

قال : فاغتظت منه ، وقلت في نفسي : يؤدّي جزية ، ويعطي مصانعة عن عرضه ، أيّ رأي هذا ؟

فمضى الرسول ، وافترقنا ، ما بدأني بشيء ، ولا بدأته به .

فلما كان في الموكب الثاني ، صحبته ، فصعد من الطيّار ، وجلست على رسمي ، فإذا بأولئك الخدم ، وعدّة أكثر منهم ، وقد وقفوا له سماطين ، يقولون : يا عفيف ، يا نظيف ، يا مأمون ، يا ثقة ، يا جمال الإسلام ، يا تأريخ القضاة ، ويدعون له ، ويشكرونه ، حتّى صَعدَ من الطيار . وخدموه أحسن خدمة ، وهو ساكت على رسمه ، إلى أن دخل الدار ، ثم عند خروجه إلى أوّل ما نزل طيّاره .

فتحيّرت مما رأيتهم عليه من التضادّ في الدفعتين ، مع قرب العهد .

فلما استقررنا في الطيّار ، قال لنا أبو عمر : كأنّي بكم أنكرتم ما جرى منهم في ذاك الموكب ، قلتم : لو شكاهم إلى الخليفة ، فأمر بتأديبهم ، أليس كذا وقع لكم ؟

قلنا : بلى .

قال : كيف رأيتم ما شاهدتم اليوم ؟

قلنا : أحسن منظر .

قال : إنّه لم يذهب [١٣٣ ط] عليّ ما فكّرتم فيه ، ولكنّي علمت أنّه لو شكوتهم ، كنت بين أمور :

إن لم يقع إنكار ، فتنخرق هيبتي ، ويبطل جاهي ، ويطمع كلّ أحد فيّ ، ويجر عليّ ذلك أموراً كباراً .

أو وقع إنكار ضعيف ، كان ذلك إغراء لهم .

أو وقع إنكار قويّ ، صاروا كلّهم أعدائي ، وتنقّصوني ، وعاداني بعداوتهم من فوقهم من الخدم ، ولهم بالسلطان خلوات ليست لي ، فيولّدون عليّ عنده من الحكايات والسعايات ، ما يفسد عليّ رأيه في مديدة .

وإنّي علمت أنهم ما قصدوني بهذا لشيء بيني وبينهم ، وإنّما هي طاعة منهم ، للخادم الذي هو رئيس عليهم ، وأنّ ما حمله على ذلك ، ما كان طمع في أخذه على قضاء الحاجة التي سألني فيها فرددته .

وعلمت أنّي إذا عوّضته واستصلحته ، صَلَحَ لي جميع هؤلاء .

فعملت ما رأيت ، فانصلح هؤلاء ، وجميع الخدم ، وأمنت عداوتهم ، وعادوا يكذّبون أنفسهم فيما رموني به ذلك اليوم ، ويخاطبوني بضدّه ، بحضرة أكثر من كانوا خاطبوني ذلك اليوم بالقبيح بحضرته ، وصاروا لي خدماً ، وزاد ذلك في محلي ، أن يرى أعدائي ، خدَم الخليفة ، يخدموني ، ويدعون لي ، ولم يكن الخليفة ، لو بلَغَ غاية الإنكار عليهم ، يأمرهم بهذا من خدمتي .

وما علم الغرباء ، لأيّ سبب رضوا عني ، وفعلوا بي هذا ، ويجوز

أن يظن أعدائي ، أو يرجف أوليائي ، أنّ الخليفة أمرهم بهذا ، وأنكر عليهم ما جرى أولاً ، فتلافوني بهذا الفعل ، وقد بلغت أكثر ما أردت ، ولم أبلغ الغاية ، ولا عاديت أحداً[1] .

واعلم يا أبا الحسن ، إنّ أشياء قليلها كثير ، [منها] إيثار العداوة ، – وذكر أشياء لم أحفظها – فأيّ الرأيين الآن عندك أصوب ؟

فقلت : رأي القاضي ، جمّل الله [الدنيا] ببقائه ، وفعل به وصنع[2] .

---

١ أورد صاحب النشوار كثيراً من أخبار القاضي أبي عمر محمد بن يوسف الأزدي ، تدل على حكمته ، ووفور عقله . راجع القصص ١ / ٢٢ و ١/١٢٥و٢/٢٢ و ٢/٢٣ و ٢ / ٣٧ و ٢ / ٣٨ و ٢/٢١٠ و ٣/٤٠ و ٣/٦٤ و ٤/٨٦ و ٥ / ١٠١ و ٥ / ١٠٢ .

٢ انفردت بها ط .

٣٧

القاضي أبو عمر

يستميل أحد خدمِ الخليفةِ

وقد سمعت هذا الخبر عن جماعةٍ غير القاضي أبي الحسن[١] ، منهم أبو عمر عبيد الله بن الحسين بن أحمد السمسار البغدادي الشاهد ، وكان يَخْلِفُ القضاة على بعض الأعمال ، ويتقلّد سوقَ الرقيق بمدينة السلام ، فذكروا :

أنّ أبا عمر القاضي ، لمّا جرى عليه من الخادم ما جرى، أحضر حضريّاً[٢] كان يخدمه ، وقال له : إمض فتوصّل إلى فلان الخادم وابك بين يديه بكاءً شديداً ، وقل له : إنّ أخي مات ، وخلّف مالاً وأطفالاً ، ولم يوصِ . وإنّ القاضي قد ردّ ذلك إلى بعض أسبابه ، وفي هذا ذهاب جاهي ، وإن كان قد فعل الحق في ذلك ، فالله ، الله ، فيّ ، تسأله أن يردّ إليّ المال والطفل ، واحرص على ذلك ، واحمل له هـذه الدنانير — وأعطاه مائة دينار — ، وقل له : إذا فعلت ذلك ، أعطيتك مائة أخرى ، ولا تقنع منه أو يركب إليّ ويسألني .

قال : فمضى الحضريّ ، وتوصّل إلى ذلك .

فقال له الخادم : ويحَك ، هذا قد عاملته بكل قبيح ، فكيف أسأله حاجة ؟

قال : فلم يزل الحضريّ يرفق به [١٣٤ ط] إلى أن أجاب .

---

١ يريد أبا الحسن القاضي محمد بن عبد الواحد الهاشمي .

٢ الحضر : بفتح الحاء والضاد ، القرى والأرياف ، أي خلاف البادية (المنجد) . ولعل المقصود بالحضري ، هنا القروي أو الريفي .

فجاء فأخبر القاضي بأنّه يركب إليه في يوم كذا ، فانتظره .

وجاء الخادم إلى أبي عمر ، فسأله ما اقترحه الحضري ، وهو لا يشكّ في أنّها حاجة، فرَفِقَ به أبو عمر ، وداراه ، ومسحه[1]، وأزال كلّ ما في نفسه ، وقضى له الحاجة ، ووقّع له بما أراد ، وسلّم إلى الحضريّ التوقيع ، فشكر ودعا .

وشكرَ الخادم وانصرف .

واستدعى أبو عمر الحضريّ ، فأخذ التوقيع ، وخرّقه ، ودفع إليه المائة الدينار الأخرى ، وقال : تمضي بها إلى الخادم ، فمضى بها إليه .

وصار الخادم صديقاً له ، وقد أخذ مرفق أبي عمر ، وهو لا يدري بذلك ، واستقامت الحال[2] .

---

١ المسح : الملاينة والكلام اللطيف .

٢ انفردت بها ط .

٣٨

جواب مفحم

وأخبرني غير واحد من أهل الحضرة :

إنّ هاشمياً وقف لأبي عمر ، في طريقه إلى الجامع ، وكان سأله شيئاً فلم يجبه إليه ، فقال له : يا بارقيّ[١] ، يعرّض به ، وما كان عليه من مبايعة ابن المعتز[٢] ، ليكتب أصحاب الأخبار[٣] بذلك ، فيجدّد له سوءاً عند الخليفة .

فوقف أبو عمر ، وقال للرجل : يا هذا إنّ أمير المؤمنين أعزّه الله قد عفا عن هذا الذنب ، فإن رأيت أن تعفو ، فعلْتَ .

قال : فَخَجِلَ الهاشميّ ، وعَجِبَ الناس من ثبات أبي عمر ، وحسن جوابه ، وسرعة فطنته ، وتلطّفه[٤] .

---

١ كذا في الأصل ، ولم أفهم معناها .　　٢ راجع حاشية القصة ١ / ٧ من النشوار .

٣ صاحب الخبر : الشخص المنوط به أن يرفع لمرجعه تقريراً مستعجلا بجميع ما يقع أمامه .

٤ انفردت بها ط . ومن الأدلة على فطنة القاضي أبي عمر ، وتلطفه في الجواب ، ما ورد في ثمرات الأوراق للحموي (ص ٤) ، نقله عن درة الغواص ، قال : إن حامد بن العباس ، سأل علي بن عيسى ، في ديوان الوزارة ، ما دواء الخمار ؟ وكان قد علق به ، فاعرض عن كلامه ، وقال : ما أنا وهذه المسألة ، فخجل حامد منه ، والتفت إلى قاضي القضاة أبي عمر ، فسأله عن ذلك ، فتنحنح لإصلاح صوته ، ثم قال : قال الله تعالى : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها ، والأعشى ، وهو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية ، قال :

وكأس شربت على لذة　　وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس ، في الإسلام ، فقال :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء　　وداوني بالـتي كانت هي الداء

فأسفر حينئذ وجه حامد ، وقال لعلي بن عيسى : ما ضرك ، يا بارد ، أن تجيب ببعض ما أجاب به مولانا قاضي القضاة ، وقد استظهر في جواب المسألة ، بقول الله تعالى أولا ، ثم بقول النبي صلى الله عليه وسلم ثانياً ، وأدى المعنى ، وخرج من العهدة . فكان خجل علي بن عيسى أكثر من خجل حامد ، لما ابتدأه بالمسألة .

٣٩

رقية تحبس السم

حضرت أبا الحسن أحمد بن يوسف الأزرق[١] ، وقد رقى ملسوعاً من عقرب ، فقال الملسوع : قد زال الوجع ، وقام وهو كالمعافى ، بعد أن دخل ضاجّاً من الألم .

فسألته عن ذلك ، فقال : هذه رقية لها خبر طريف ، حدّثني به ، أبو أحمد الوزّان[٢] ، فجرّبتها على خلق ، فأنجعت[٣] .

فسألته إخباري الخبر ، قال : حدّثني أبو أحمد هذا ، قال : حدّثني أحمد بن الطيّب السرخسي[٤] ، قال :

كنت قائماً بين يدي المعتضد[٥] ، فدخل إليه بعض الخدم ، فقال : بالباب رجلٌ يصيح : نصيحة ، وقد قلنا له : ما هي ؟ فقال : لا أقولها إلاّ للخليفة .

فقال : لعلّ له ظلامة[٦] ، أو حاجة ، فراجعوه .

فكرّر الكلام ، إلى أن أمر بإدخاله ، فقال له : ما نصيحتك ؟

فقال : معي رقية تحبس السمّ .

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٢ أبو أحمد الوزان : وصفه المؤلف في ذيل هذه القصة بأنه شيخ صالح ، وكان يتوكل للقاضي أبي جعفر بن البهلول ، وأبي طالب ، في بيع الحطب (راجع القصة ٢/٤٥ من النشوار) .

٣ انجع : نفع .

٤ أحمد بن الطيب السرخسي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٧٧ من النشوار .

٥ المعتضد : أبو العباس أحمد بن الأمير الموفق ، ترجمته في حاشية القصة ١ / ٧٣ من النشوار .

٦ الظلامة : ما وقع عليه من الظلم .

فقال المعتضد : هاتوا عقرباً .

قال : فكأنّها كانت معدّة لهم ، فجاءوا بعقرب في الوقت ، فطرحت على خادم ، فَلَسعَتْهُ ، فصاح ، فرقاه الرجل ، فسكن ماكان يجده الخادم .

فقال لأحمد بن الطيّب : اكتب هذه الرقية ، وأمر له بثلثمائة دينار .

فأملاها أحمد بن الطيّب علينا ، وهي : أن تأخذ حديدة ، وتمرّها من أعلى اللسعة في البدن إلى موضع اللسعة ، كأنّك تردّ شيئاً ، وتقول :

بسم الله لومر سرلومر بهلبتي تنبه تنبه كروررابا كروررابا
ابهتح ابهتح بهشترم بهوداله مهراشترم لوته قرقر سفاهه

فلا تزال تكرّرها ، وتمسح الحديدة ، إلى أن يذكر [١٣٥ ط] الملسوع ، أنّ السمّ الذي في بَدَنِهِ قد انحدر إلى الموضع الملسوع [١] ، ويسكن عنه الضَرَبانُ ، إلاّ من حيث موضع اللسعةِ ، فَيُفْتَح الموضع حينئذ بإبرة ، ويُعْصَرُ ، فإنّ السمّ يخرج ، ويزول الألم في الحال .

قال أبو الحسن : وقد جرّبتها على العقربِ مراراً كثيرةً ، فنَفَعَتْ . وسبيلها أن تجرّب في غير ذلك من السموم ، فإنّ الذي قال الرجل : إنّها تحبس السمّ ، ولم يخصّ شيئاً من السموم بعينه .

أبو أحمد الوزّان هذا ، قد رأيته ، وكان شيخاً صالحاً ، يتوكّل للقاضي أبي جعفر بن البهلول ، وأبي طالب ، في بيع الحطب ، وحدّثني عنهما بأشياء [٢] .

---

١ وجدت اختلافاً بين علماء اللغة في اللسع واللسب واللدغ ، والظاهر أن استعمال كلمة منها يفي بالغرض ، راجع فقه اللغة : الفقرة ٣١ ص ١٢٢ ولسان العرب والمنجد في مادة : لدغ ، لسب ، لسع .

٢ انفردت بها ط . أعاد صاحب النشوار إيراد هذه القصة . راجع ٣/١٣٠ .

٤٠

دواء للسعة الزنبور

حدّثني عليّ بن محمد الأنصاري ، قال : قال لي المرعوس [١] المتطبّب ، وكان يخدم بجكم :

إنّ الزنبور ، إذا لسَعَ إنساناً ، فإن اتّفق في الحال أن يكون محاذياً له إنسانٌ محاذاة صحيحةً ، فيَعْمَدُ الرجل المحاذي للملسوع ، إلى كوز ماء ، فيصبّه على جبينه وقحف رأسه ، إن كانت اللسعة في بدنه ، فإنّه يسكن .

قال : فلسعني مرّة زنبور ، فقلت لرجل كان في محاذاتي ، صبّ على جبيني ورأسي ذلك الكوز الماء ، ففعل ، فسكن ما بي في الحال [٢] .

٤١

طبيب يلطخ مريضاً بالعذرة

قال : وقد عالج صبيّاً في رأسه بثور ، بأن نوّره [٣] ، ثم غَسَلَهُ ، وطلاه بغائط رطب ، وأقامه في الشمس نحو ساعة زمانية ، ثم غسله ، وطلاه بدواء كان معه ، فزالت البثور [٤] .

---

١ كذا في الأصل .

٢ انفردت بها ط .

٣ نوّره : طلاه بالنورة .

٤ انفردت بها ط .

٤٢
ذرق العصفور يزيل الآكلة

وقال لي هذا الطبيب : إنّ خرا العصافير اليابس، إذا سُحِقَ ، وجمع [١] بالزيت ، وحُشيَ به الموضع الذي قد وَقَعَتْ فيه الآكلة [٢] من الأبدان ، أصلحها ، وأزال الآكلة .

قال : وقال لي إنّ الشبّ إذا جعل في الزيت ، وأمرّ على الموسى ، لم يحلق شيئاً [٣] .

٤٣
البول المغليّ يحل القولنج

قال [٤] : وقد رأيت هذا الطبيب ، وقد شفى رجلاً به قولنج [٥] شديد ، ببول أغلاه ، وطرح فيه جُنْد بادَسْتر [٦] ، وعقاقير أخر ، فانحلّ قولنجه ، في الحال [٧] .

---

١ لعل الصحيح : جبل بالزيت ، تقول جبل التراب ، إذا صب عليه الماء وعجنه ، والعامة ببغداد يلفظونها بالنون ، محرّفة ، فيقولون : جبن ، يجبن ، ويريدون بها جبل ، يجبل .

٢ الآكلة : داء في العضو يأتكل منه .

٣ انفردت بها ط .

٤ يعني علي بن محمد الأنصاري .

٥ القولنج : مرض معوي مؤلم يتعسر معه خروج ما يخرج بالطبع (القانون لابن سينا ٢/٤٥٢) .

٦ البادستر : حيوان من القوارض المائية موطنه الأنهار الشمالية من آسيا وأميركا ، والجندبادستر خصية ذلك الحيوان (معجم الحيوان لمعلوف ٣١ و ٥٢) .

٧ انفردت بها ط .

٤٤

عجوز تداوي من البثور

قال[١] : وكانت بي بثور في ساقي ، قد تطاولت ، فخَرَجْتُ إلى قرية تقارب مابروان ، من أعمال الأنبار[٢] ، فنزلت على مُزارع فيها ، يقال له إبراهيم بن شمعون ، فرأى تلك البثور .

فقال لي : عندنا عجوز ترقى من هذا ، فأحضرنيها ،فقالت : هذه علّة يقال لها : الدروك ، وأنا أرقيها[٣] .

فرَقَتْها طويلاً ، ثم ألقت على ساقي الآس ، والدهن ، وقالت : لا تحلّه ثلاثة أيام .

فلما كان بعد ثلاثة أيّام حللته ، وقد عوفيت[٤] .

---

١ يعني علي بن محمد الأنصاري .

٢ الأنبار : راجع حاشية القصة ١ / ١٣٧ ، أما مابروان فلم أعثر على ذكر لها في المعجم .

٣ الرقية : تلاوة جمل تشتمل على أدعية وألفاظ مبهمة يستعان بها على معالجة بعض الأمراض العصبية .

٤ انفردت بها ط .

٤٥

حظ القاضي أبي جعفر بن البهلول

يدفع كارثة

حدّثني أبو أحمد الوزّان هذا ، قال :

كنت أتوكّل لأبي جعفر بن البهلول القاضي ، في بيع حطبه الذي كان يتّجر فيه من الحرار [1] ، وأزنه على المشترين .

فبلغني يوماً خبر طوف [2] عظيم ، قد ورد له ، فخرجت إلى دِمِمّا [3] أستقبله ، وكان هائلاً مهولاً .

وكانت القنطرة إذ ذاك مخوفة ، على شفا الوقوع ، والزواريق ممنوعة من الاجتياز بها لئلا تنكسر .

فأقمت يومي أنتظر الطوف [١٣٦ ط] ، فإذا الجماعة قد جاءوني ، وقالوا : إنّه طوف عظيم ، وقد حصل في جرية الماء ، وليس يطيقه من فيه ، والساعة يجيء ، فيقع على القنطرة ويكسرها ، فيكون فيه هلاك أبي جعفر مع السلطان .

قال : وهم في الحديث ، حتّى إذا رأيت الطوف ، قد جاء كالجبل ،

---

١ كذا في الأصل .

٢ طاف يطوف : لغة بغدادية في طفا يطفو ، والطوف مجموعة من الحطب أو الخشب يضم بعضه إلى بعض ويطلق في النهر مع تيار الماء .

٣ دمما : قرية كبيرة على الفرات عند الفلوجة (معجم البلدان ٢/٦٠٠) ، ويستدل مما ورد في تاريخ الوزراء للصابي : ص ٢٧٨ ، أن قنطرة دمما كانت سداً من سداد الري ولها أبواب كبار وصغار ، ذرع كل باب كبير منها ستة عشر ذراعاً ، وذرع الصغير منها ثمانية أذرع ، وأنها تسقي في جملة ما تسقيه قسماً من أراضي بادوريا .

وهو متصوّب إلى القنطرة ، لم أشكّ في المكروه ، ورأيت الرجال الذين فيه قد ألقوا نفوسهم إلى الماء ، وهم لا يشكّون في تصوّبه إلى القنطرة .

فأقبلت أدعو الله بصرفه عنها ، إلى أن قرب ، فدهشت ، وجرى على لساني أن صحت : يا بَخْتَ أحمد بن إسحاق رُدَّهُ ، ثلاث دفعات .

قال : فرأيت ، والله ، الطوفَ ، وقد تعوّج ، ووقف وقفة شديدة ، فتقطّع ، فصار حطباً متفرقاً ، يجيء على رأس الماء ، لا يضرّ القنطرة ، وجَنَحَ معظمه في الموضع الذي تقطّع فيه ، ووقعت البشارات والضجيج .

فقلت : ما الخبر ؟

قالوا : إنّه لما عَدَلَ عن القنطرة ، جَنَحَ على جزيرةٍ أخرى كانت مغطّاة بالماء ، فلما جنح عليها ، تقطّع ، فكانت هذه صورته .

قال : فجمعنا الحطب من أسفل القنطرة ، وما ذهب منه عود ، ولا لزمتنا عليه مؤنة ، وجعلناه في عدّة أطواف ، وجئنا به إلى بغداد .

وجئت إلى القاضي أبي جعفر ، وعرّفته ذلك ، فحمد الله عزّ وجل ، وتصدّق بصدقة جليلة [1] .

---

١ انفردت بها ط .

٤٦

الأمير معز الدولة يزاد فوق وظيفته

رغيفين وباقة بَصَلٍ

جرى حديثُ ارتفاع الناس ، وتقلّب الزمان بالإنسان ، فحدّثني أبو الحسن بن الأزرق[١] ، قال :

حدّثني الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي[٢] ، قال : حدّثني الأمير معز الدولة[٣] ، رحمه الله ، قال :

كنت ببلد الديلم أحتطب لأهلي ، فقالت لي أختي الكبيرة ، ليس يكفينا هذا الحطب ، فجئنا بكارة[٤] أخرى حطباً لهم[٥] اليوم .

فقلت لها : لا أقدر ، وقد جئتكم بما قدرت عليه .

فقالت : إن جئت بشيء ، زدتك رغيفين مما أخبزه .

فجئتها على ظهري بكارة أخرى ، وقد تَلَفْتُ .

فقالت : إن جئتني بكارة ثالثة ، أعطيتك مع الخبز الذي أزيدك إيّاه على وظيفتك[٦] باقة بَصَلٍ .

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق التنوخي: ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار.

٢ أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤٨ من النشوار .

٣ الأمير معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٠ من النشوار .

٤ في الأصل كرة : والكارة هي الحمل الذي يحمله الإنسان من الحطب وغيره ، والكلمة لم تزل مستعملة ببغداد .

٥ كذا في الأصل ولعلها : لهذا .

٦ الوظيفة : الحصة المقررة من الطعام .

فجئتها بالكارة الثالثة .

فلما خبزت ، أعطتني وظيفتي ، وزادتني رغيفين ، وباقة بصل ، بإزاء ما حَمَلْتُهُ .

ثم صنع الله لي وتغيّرت حالي إلى ما تراه[1] .

قال : وقال لي أبو الفضل الوزير ، لولا أنّ الأمير حدّث بهذا ، دفعات كثيرة ، في مجالس حافلة ، فأخرجه مخرج الافتخار ، لا السر ، لما تحدَّثْتُ به[2] .

---

١ للاطلاع على ما كان عليه معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه وإخوته من الفقر والحاجة ، راجع القصة ٤/٨٩ من النشوار ، وقد نقلها صاحب المنتظم ٦/٢٦٨ .

٢ انفردت بها ط .

٤٧

أبو علي حمولي القمي

يرتفع من حارس في خان إلى أعلى المراتب

وسمعت أبا علي أحمد بن موسى حمولي القميّ[١]، يحدّث، في حديثٍ له طويلٍ ، وهو إذ ذاك في السماء ، رفعةً ، وجلالاً ، ويَسَاراً ، وإليه طراز الحَرَم[٢] الديباج ، وابتياع الثياب ، ومرتبته عند معزّ الدولة ، أجلّ مرتبة :

انّه كان أميناً على زورق[٣] ، زماناً، من سورا إلى القصر[٤] ، لشدّة الحاجة والفقر .

وحدّثني أبو الفرج الأصبهاني[٥] ، قال :

أعرف أبا علي حمولي ، حارساً لمتاع التجّار ، في خان يطرح إليه متاعُ الموْصِل ، في موضع داره على دجلة [١٣٧ ط][٦] .

---

١ أبو علي حمولي القمي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٦٩ من النشوار .

٢ يعني الديباج الذي يصنع للحريم .

٣ يعني أنه كان أجيراً لصاحب الزورق ، يرافق الملاحين في غدوهم ورواحهم من أجل حفظ الزورق وصيانته .

٤ سورا : بلد على الفرات قرب الحلة (معجم البلدان ٣/١٨٤) ، والقصر : قصر ابن هبيرة قريب من سورا (المشترك وضعاً ٣٥٢) .

٥ أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني : ترجمته في حاشية القصة ١/٣ من النشوار .

٦ انفردت بها ط .

٤٨

إن الفتى من يقول ها أنذا

جرى في مجلس أبي رضي الله عنه[١] ، بحضرته ، يوماً ، ذكرُ رجلٍ كان صغيراً فارتفع .

فقال بعض الحاضرين : من ذاك الوضيع ؟ أمس كنّا [نراه] بمرقّعة يشحذ .

فقال أبي : وما يضعه أنّ الزمان عضّه ، ثم ساعده ، كلّ كبير إنّما كان صغيراً أوّلاً ، والفقرُ ليس بعارٍ ، إذا كان الإنسانُ فاضلاً في نفسه ، وأهل العلم خاصّة لا يعيبهم ذلك .

وأنا أعتقد أنّ من كان صغيراً فارتفع ، أو فقيراً فاستغنى ، أفضل ممّن ولد في الغنى ، أو في الجلالة ، لأنّ من وُلِدَ في ذلك ، إنّما عمل له غيره ، فلا حمد له هو خاصّة فيه ، ومن لم يكن له فكان ، فإنّما بجدّه أو كدّه ، وصل إلى ذلك ، فهو أفضل من أن يصل إليه ميراثاً ، أو بجدّ غيره ، وكدّ سواه[٢] .

---

١ والد المؤلف : أبو القاسم علي بن محمد التنوخي القاضي : ترجمته في حاشية القصة ٢/٧٤ من النشوار .

٢ انفردت بها ط ، ووردت في معجم الأدباء : ٥/٣٣٨ .

٤٩

حريق الجمل ببغداد

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش رحمه الله ، قال : حدّثني عمّي ، قال : حدّثني أبي ، قال :

لما وقع ببغداد ، حريقُ الجملِ ، اختلّ دكاني فيما اختلّ ، وذهب مني مالٌ عظيمٌ .

فقلت له : كيف كان حريق الجمل ؟

قال : اجتاز في سوق الحرّازين[١] ، جَمَلٌ عليه قَصَبٌ ، وكان رجل يثقب لؤلؤاً ، وبين يديه نارٌ ، فوقع طرَفُ القَصَبِ على النار ، فاشتعلت وبلغت إلى الجمل في لحظة .

فكان الجمل ، كلّما أحسّ بوقع النار عدا ، وتنافض الشرارُ منه ، في جانبي الطريق ، فحرّق كل ما يجتاز به .

فلم يزل على ذلك ، إلى أن تلف الجمل ، وتشاغل الناس بطفي الحريق الواقع في الدور والعقار .

فكان حدّ ما احترق ، من أوّل سوق الحرّازين إلى طاق الحرّاني[٢] ، وَوَسط قطيعة الربيع[٣] . وتَلَفَ ناسٌ كثيرٌ ، وزالت نِعَمٌ عظيمة ، بذهاب

---

١ سوق الحرازين : هو ما يسمى اليوم سوق الجوهريين .

٢ طاق الحراني : محلة بالجانب الغربي ، من حد القنطرة الجديدة إلى شارع باب الكرخ (معجم البلدان ٣/٤٨٩) .

٣ قطيعة الربيع : لما بنى المنصور مدينته ، اقطع قواده ومواليه قطائع ، ومنها قطيعة الربيع حاجبه ، وكانت مزارع لقوم من قرية من قرى بادوريا ، وصارت مسكناً للتجار (معجم البلدان ٤/١٤٢) .

الأموال ، ورؤوس أموال التجار ، وانهدام العقارات .

قال : وكان هذا عقيب انتقال المعتصم[1] إلى سر من رأى[2] ، فهمّ الناس بالانتقال عن بغداد ، وإن تخرب ، فبلغ ذلك المعتصم .

قال : فخاطبه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد[3] ، في إطلاق مالٍ للناس .

فقال المعتصم : خذ خمسة آلاف ألف درهم ، وأخلف بها جميع ما ذهب من الناس .

فأخذ ابن أبي دؤاد المال ، وجاء فجلس في مجلس الشرقية[4] ، واجتمع إليه الناسُ ، فعرّفهم علمَ الخليفة بأمرهم ، وما كان منه في خطابه ، وما أنفذ معه من المال ، فقال : ولم يذكر مَبْلَغَهُ ، إلاّ أنّه قال : قد حملت من المال ما أخلف به ، جميع ما ذهب من جميعهم .

قال : وكنت حاضراً المجلس ، أسمع الكلام .

---

١ المعتصم : أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، الخليفة الثامن ، (١٧٩ – ٢٢٧) بويع سنة ٢١٨ على أثر وفاة أخيه المأمون ، وهو باني مدينة سامراء سنة ٢٢١ ، وفاتح عمورية سنة ٢٢٣ ، وهو أول من تلقب بلقب مضاف إلى اسم الله تعالى (الأعلام ٧ / ٣٥١) .

٢ سر من رأى : وتخفف فتسمى سامراء ، وهذا اسمها الآن ، بناها المعتصم العباسي على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخاً ، وأقام فيها ومن بعده من الخلفاء ، حتى إذا ولي المعتضد ترك سامراء وأقام ببغداد هو ومن بعده من الخلفاء (معجم البلدان ٣/١٤) .

٣ أحمد بن أبي دؤاد : أبو عبد الله ، أحمد بن أبي دؤاد الإيادي القاضي ، المشهور بسعيه في سبل الخيرات ، وقصصه في تخليص القائد العربي أبي دلف من القتل ، وتخليص القائد العربي مزيد ابن يزيد بن مزيد من القتل مشهورة ، قال أبو العيناء : ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من ابن أبي دؤاد ، وكان أثيراً عند المأمون والمعتصم والواثق ، حتى إذا ولي المتوكل عزله وصادره . وتوفي في السنة ٢٤٠ (راجع الأعلام ١ / ١٢٠ ووفيات الأعيان ١ / ٦٣ والفرج بعد الشدة ١/٨٩) .

٤ الشرقية : محلة بالجانب الغربي من بغداد ، قيل لها الشرقية لأنها شرقي مدينة المنصور ، لا لأنها في الجانب الشرقي (معجم البلدان ٣/٢٧٩) .

فقام إليه شيخ كان حاضراً ، فقال : أيّها القاضي ، إنّ هذا مال عظيم ، فكم أنفذ إلينا أمير المؤمنين معك ؟ فقال : خمسة آلاف ألف درهم .

فالتفت الشيخ إلى نفسين في المجلس ، فقال : قوما ، فقاما .

فقال : أيّها القاضي هذان ، قد ذهب منهما ، في أثمان عقاريهما ، ورؤوس أموالهما ، خمسة آلاف ألف درهم ، أليس هكذا يا معشر المسلمين ؟ ، واستشهد الحاضرين ، فقالوا : نعم .

فقال : [١٣٨ ط] أيّها القاضي ، إذا كان هذان ، وهما نفسان ، من جميع من قد حضر ، قد ذهب منهما قدر ما حمله أمير المؤمنين ، فالباقون من أين يأخذون ؟

قال : فتحيّر ابن أبي دؤاد ، وقال : ما ترون في هذا ؟

فقالوا : الرأي لك .

قال : فقال أولئك النفسان : أمّا نحن ، فما نريد شيئاً ، ولا نسأل الخلف ، إلاّ من الله عزّ وجل ، ولا نطلبه إلاّ من فضله ، ولكنّا نشير عليك أيّها القاضي ، فقال : افعلا .

قالا : تجعل هذا المال ، مقسوماً بين أهل البضائع [اليسيرة] ، وصغار الناس ، فإن رغب أحد من الأكابر ، في أن يشارك الأصاغر فيه ، فإن ذاك إليه وإليك .

قال : فقام خلق كثير ، فقالوا : أمّا نحن ، فما نريد شيئاً ، اجعله للأصاغر ، وانصرفوا .

فَفَضّ المالَ ، على أرباب البضائع اليسيرة ، ثم لم يكفِ ، واحتيج لهذا إلى أضعاف ما حمل من المال .

فلما نَفِدَ المالُ ، خرج ابن أبي دؤاد ليلاً ، لكثرة الازدحام عليه ، والطلب منه ، ونفاد ما عنده [1] .

---

١ انفردت بها ط .

٥٠

إبراهيم بن الحسن البزاز

يخسر في حريق واحد ما يزيد على أربعمائة ألف درهم

سمعت إبراهيم بن الحسن البزّاز ، يقول :

[خـلَـفُ الحريق سريع][١]، كان حريقٌ بالكرخ[٢] في سنة نيف وأربعين وثلثمائة[٣] فتَـلَـفَ لي متاع في دكّاني وداري بمائتي ألف درهم ، سوى أثمان العـقّار .

فقلت : كم كانت أثمان العـقّار ؟

فقال : أكثر من هذا .

قال : فنمّى[٤] الله ، عزّ وجل ، ما بقي ، وأعدت منه عقاري ، ورأس مالي في دكّاني ، فما أفرّق اليوم بين أمري ، وبين ما كان قبل الحريق .

قلت له : ففي دكانك اليوم متاع بمائتي ألف درهم ؟

فضَحكَ ، وقال : هذا لا يُسْأَلُ عنه التجّار ، ولا يصدقون أيضاً إذا سئلوا ، ولكن ما أفرّق بين حالي الساعة ، وذلك الوقت ، وأنا من الله عزّ وجلّ في خير .

فقال بعض أصدقائه ، ممّن يعرف أمره : في دكّانه متاع بأكثر من هذا .

---

١ الزيادة من ط .

٢ الكرخ : هناك أماكن عدة تسمى الكرخ ، وكرخ بغداد هو المقصود في القصة ، وهو منطقة ضمن القسم الغربي من مدينة بغداد (معجم البلدان ٤/٢٥٢ – ٢٥٧) .أما الآن فإن اسم الكرخ يشمل الجزء الغربي من بغداد بكامله .

٣ في زمن الخليفة المطيع والأمير معز الدولة البويهي ، وقد جاء في الكامل لابن الأثير : ٨/٥٢٧ ، أنه وقعت في السنة ٣٤٨ حرب شديدة بين عامة بغداد واحترق من البلد كثير .

٤ في ط : فثمر .

٥١

أبو القاسم الجهني

يفخر بأنّه قد أجهد نفسه فيما لا يليق بالرجل الحرّ

حدّثني أبو القاسم الجهنيّ[١] ، قال :

جرى بيني وبين محمد [١٠٨ ب] بن خلف ، القاضي وكيع[٢]، ملاحاة في شيء ، بحضرة أبي الحسن بن الفرات ، فولّدت بيننا عداوة، فبَحَثْتُ عن عيوبه .

فبلغني أنّ له أباً ساقطاً في أصحاب الصناديق بباب الطاق، فركبت حتّى جئت إليه ، فرأيته يعمل الصناديق بيده ، وفاتشته ، فإذا هو أسقط رجل ، وأجهله .

وانصرفت فكاتبتُ جماعة من وجوه الشهودِ بالجانبين[٣] ، وأشرافهم من البطنين[٤] ، وأكابر التجّار والكتّاب والتنّاء ، وواعدتّهم بحضور مسجدٍ هناك كبير ، فحضر خلق كثير .

وركبت ، فحين حَصَلْتُ هناك ، قلت : عليّ بخلف الصناديقي ، فجاءوا بالشيخ كما أُقيم من العمل ، وآلته معه ، ويده ملوّثة ، كما كنت وصيّتهم .

---

١ أبو القاسم الجهني : راجع حاشية القصة ١/١٢ من النشوار .

٢ وكيع القاضي : أبو بكر محمد بن خلف بن حيان الضبي ، كان عالماً فاضلا فقيهاً قارئاً نحوياً ، تقلد القضاء بالأهواز ، وله مصنفات منها أخبار القضاة ، توفي سنة ٣٠٦ (المنتظم ٦/١٥٢) .

٣ يعني جانبي بغداد .

٤ يعني العلويين والعباسيين .

فقلت لهم : أعزّكم الله ، إنّي كنت سألتكم الحضور لأخاطب هذا الشيخ بحضرتكم بشيء آخذ خطوطكم به ، فاحفظوا ما يجري .

ثم قلت : يا شيخ ، من أنت ؟

قال : أنا خلف بن فلان .

قلت : وكيع القاضي ، من هو منك [١٣٩ ط] ؟

قال : ابني .

فقلت لمن حضر من شيوخ المحلّة : هو كما قال ؟

فقالوا : نعم .

قلت : أنت بهذه الصورة مع اتّساع حال ابنك ؟

قال : لأنّه عاقّ بي ، فعل الله به وصنع ، ودعا عليه .

فقلت له : يا شيخ ، تحفظ القرآن ؟

قال : أحفظ منه ما أصلّي به .

فقلت : تحسنُ شيئاً من القراءات ؟

قال : لا .

قلت : وكتب الحديث قط ؟

قال : لا .

قلت : رويت من الأخبار، والآثار ، والآداب ، والأشعار شيئاً ؟

قال : لا .

فلم أزل أعدّد عليه العلوم وأصنافها ، وهو يقول لا ، لا .

قلت : فتحسن شيئاً من النحو أو العروض أو المنطق ؟

قال : لا .

فقلت : أعزّكم الله ، إنّ وكيعاً رجل كذّاب ، متعاط للعلم والأدب ، ولم آمنه في الكذبِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والكذب في العلوم،

وأن يجعل ذلك طريقاً متى مات هذا الشيخ ، فيقول : حدّثني أبي، وأخبرني أبي ، ويضع على لسانه كلّ كذب .

فأردت أن تحفظوا على هذا الشيخ ما ذكره من انّه ليس من هذا [الأمر][1] ، ولا إليه ، حتّى لا يمكنه ادّعاء ذلك عليه بعد موته ، وأن تعرفوا أيضاً فسقه بعقوقه والده ، وسقوط مروءته ، بتركه أباه على هذه الحال .

قال : فما فارقتهم حتّى أخذت خطوطهم بما جرى، على أشنع شرح قدرت عليه ، وأجابوا هم إليه .

وصرت بالمحضر معي إلى مجلس الوزير ، وتركته في خفّي ، وأجريت الحديث مع وكيع ، إلى [١٠٩ ب] أن شاغبته في الكلام ، وقلت : لا تسكت يا ابن الصناديقي الجاهل ، فامتعض .

وأخرجت المحضر ، وعرضته على الوزير ، وسألته أن ينفذ ويستدعي أباه ويشاهده .

فضحك الوزير ، وسقط وكيع من عينه .

وقامت قيامته من يدي .

---

[1] الزيادة من ط .

٥٢

أبو القاسم الجهني

يتولى الحِسْبَةَ بالبصرة

وَوَلِيَ أبو القاسم الجهنيّ ، عندنا بالبصرة ، الحِسْبَةَ[١] ، من قبل أبي جعفر الصيمريّ[٢] ، فسمعت إذ ذاك ، شيوخنا ، يقولون :

إنّهم ما شاهدوا ولا سمعوا ، من بلغ مبلغه ، في ضبط العامّة ، ورفع الغشوش ، ومن عرف من أسرار الصنائع ، والأمتعة ، ما عرفه ، حتّى كأنّه لا يُحْسِنُ شيئاً غيرهما ، مثله .

وطالب الناس بمطالبات صعبة ، فانتشر له حديثٌ عظيم جميل ، في البلد بذلك ، وهيبةٌ في نفوس الأكابر ، فضلاً عن الأصاغر .

فاجتاز يوماً وبين يديه رجّالته ، بمؤذّن يؤذّن لبعض الصلوات ، فقالوا : الجهنيّ ، الجهنيّ .

فتطلّع المؤذّن ، فرآه ، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل لك عليّ طريقاً ، فقال للرجّالة : خذوه إلى الدار .

فضجّ من ذلك ، وقام معه الجيران ، وجاءوا ، ونزل الجهنيّ في داره ، فأدخلهم .

فقالوا له : أمرت بإحضار هذا الرجل المؤذّن ، فأيّ طريق لك عليه ؟

فقال : تحتاج أن تحلف لي أن لا تدخل المسجد بالنعل الذي تدخل به

---

١ الحسبة : أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله ، وإصلاح بين الناس . والمحتسب : من نصبه الإمام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم (معالم القربة في أحكام الحسبة لابن الأخوه : ٧) .

٢ أبو جعفر الصيمري ، وزير معز الدولة : ترجمته في حاشية القصة ١/٤٧ من النشوار .

الكنيف ، فإنّ هذا يفسد صلاة الناس ، ولا يحلّ ، ولا تؤذّن وأنت جُنُبٌ .

فسألوه أن يعفيه ، [فأبى] ، وقال : إمّا أن يحلف أو لا يدخل المسجد ، فما زال به حتّى أحلفه على ذلك .

فلما أراد الانصراف ، قال له : يا شيخ ، الآن علمت أنّ لي عليك طريقاً ، وإنّ بيننا معاملة ، أم لا ؟

فقال : أيّدك الله ، أخطأت ، ولم أعلم .

فقال : لا تعاود الكلام فيما لا تحتاج إليه ، فإنّ الفضول ضارّ[1] .

---

[1] الشروط المقتضى توفرها في المحتسب : أن يكون مسلماً ، حراً ، بالغاً ، عاقلا ، عدلا ، قادراً ، وأن يكون ذا رأي ، وصرامة ، وخشونة في الدين ، عارفاً بأحكام الشريعة (معالم القربة في أحكام الحسبة ٧ و ٨) .

٥٣

الكوكبي محتسب الأهواز

والقاضي ابن السراج

حدّثني أبو العباس نصر بن محمد الشاهد [رحمه الله][1] خليفة أبي [رضي الله عنه][1] على فرض الأهواز ، قال :

كان الكوكبيّ محتسباً عنـــدنا من قبل أخي أم موسى القهرمانة ، وكان خَشِناً ، منبسط اليد ، جَلْداً .

فوقعت بينه وبين أبي الحسن[2] بن عليّ السراج القاضي نفرة ، فأمسك عنه أياماً ، ثم صار إلى بابه على غفلة ، وقد كان أخلّ بالجلوس في الجامع مجلسين .

فوقف في رجّالته على الباب ، وقال : قولوا للقاضي ، ليس لك أن تواصل الجلوس في منزلك ، أبرز إلى الجامع ينلك[3] القوي والضعيف ، كما أُمِرْتَ في عهدك .

فدخل إليه الغلمان ، فأخبروه ، فقامت قيامته ، فأخرج من بحضرته من الشهود يدارونه .

فقال : لا أدخل ، ولا أنصرف ، أو يركب إلى الجامع .

فما زالوا به حتى أصلحوا بينهما .

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ط : الحسن .

٣ في الأصل : ينالك ، والتصحيح من الأب الكرملي .

٥٤

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

حدّثني القاضي أبو عمر عبيد الله [١١٠ ب] بن الحسين المعروف بابن السمسار ، قال : حدّثني أبو علي بن إدريس الجمّال الشاهد ، قال : حدّثني أبو عبد الله بن أبي عوف [١] ، قال :

كان سبب اختصاصي بعبيد الله بن سليمان [٢] ، أنّي جزت يوماً في الجامع بالمدينة [٣] ، فوجدته وهو مُلازَمٌ في يد غريم له ، في عقِب النكبة [٤] ، بثلثمائة دينار ، وكنت أعرف محلّه من غير مودّة بيننا .

فقلت له : لأيّ شيء أنت هاهنا أعزّك الله جالس وما مضيت إلى الصلاة ؟

فقال : مُلازَمٌ في يد هذا بثلثمائة دينار عليّ .

فسألت الغريم إنظاره ، فقال : لا أفعل .

قلت : فالمال لك عليّ ، تصير إليّ [٥] بعد أسبوع حتى أعطيك إياه .

فقال : تعطيني خطّك بذلك .

فاستدعيت دواة ورقعة ، وكتبت له ضماناً بالمال إلى شهر ، فرَضِيَ وانصرف .

وقام عبيد الله فأخذ يشكرني .

---

١ أبو عبد الله بن أبي عوف ، ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٢ عبيد الله بن سليمان : وزير المعتمد والمعتضد ، ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٣ المدينة : مدينة المنصور .

٤ نكب الموفق سليمان بن وهب وولده عبيد الله بن سليمان ، في السنة ٢٦٥ (الكامل ٧/٣٢٧) ، راجع القصص ٣/١٧ و ٨/٤٣ و ٨/٤٤ و ٨/٤٥ و ٨/٤٦ و ٨/٤٧ و ٨/٤٨ من النشوار .

٥ في ب ، ط : تصبر إلى .

فقلت : تمّم أيّدك الله سروري ، بأن تصير معي إلى منزلي .

فحملته وأركبته حماري ، ومشيت خلفه ، إلى أن دخل داري ، فأكلنا ما كان أصلح لي في يوم الجمعة ، كما يفعل التجّار [1] ، ونام .

فلمّا انتبه ، أحضرته كيساً ، وقلت : لعلّك على إضاقة ، فأسألك بالله ، إلاّ أخذت منه ما شئت .

قال : فأخذ منه دنانير ، وقام فَخرَجَ .

فأقبلت امرأتي تلومني وتوبّخني ، وقالت : ضمنت عنه ما لا يفي به حالك ، ولم تقنع إلاّ بأن أعطيته شيئاً آخر .

فقلت : جميلاً أسديته ، [ويداً جليلة] [2] ، وهو رجل حرّ كريمٌ ، كبيرٌ جليلٌ ، من بيت وأصل ، فإن نفعني الله به فذاك ، وإن تكن الأخرى فلن يضيع عند الله .

[ومضى على الحديث مدة ، وحلّ الدين ، وجاء الغريم يطالبني ، فأشرفت على بيع عَقاري ، ودفع ثمنه إليه ، ولم أستحسن مطالبة عبيد الله] [2] وَدفَعْتُ الرجل بوعد وعدته إلى أيّام .

فلما كان بعد يومين من هذا الحديث ، جاءتني رقعة عبيد الله يستدعيني ، فجئته .

فقال : قد وردت عليّ غُلَيْلَةٌ من ضيعة لي ، أفلتت من البيع في النكبة ، ومقدار ثمنها [مقدار] [2] ما ضمنت عني ، فتأخذها ، وتبيعها [١٤١ ط]

---

١ تشير هذه الجملة إلى أن التجار كانوا يتناولون غداءهم في محل عملهم في أيا م الأسبوع ، عدا يوم الجمعة ، فيصلح لهم طعام خاص ، يتناولونه في بيوتهم ، وقد أدركت التجار ببغداد سائرين على هذه الطريقة ، يحمل إليهم خدمهم الطعام في كل يوم من بيوتهم ، في أواني متراكبة يسمونها (السفرطاس) .

٢ الزيادة من ط .

وتصحّح ذلك للغريم . فقلت : أفعل ذلك [1] .

فحمل الغلّة إليّ ، فبعتها ، وحملت الثمن بأسره إليه ، وقلت له : أنت مضيق ، وأنا أدفع الغريم ، وأعطيه البعض من عندي [فاتّسع أنت بهذا . فجهد أن آخذ منه شيئاً ، فحلفت أن لا أفعل ، ووفّرت [2] الثمن عليه . وجاء الغريم ، فألحّ عليّ ، فأعطيته من عندي البعض] [3] . ودفعت به مديدة .

فلم يمض على ذلك إلاّ شيء يسير ، حتّى وَلِيَ عبيد الله الوزارة [4] ، فأحضرني من يومه ، وجعلني في السماء ، وقام لي في مجلسه ، وكسبت به الأموال [5] ، وقدر هذه النعمة التي أنا فيها .

---

١ في ب : كذلك .

٢ في ب : وقررت .

٣ هذه الجملة انفردت بها ب .

٤ ولي عبيد الله بن سليمان الوزارة سنة ٢٧٨ (المنتظم ٥/١٠٩) .

٥ راجع القصة ١/ ٣٢ من النشوار .

٥٥

حكاية تدل على مقدار عناية الوزير عبيد الله ابن سليمان بابن أبي عوف

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول [١] ، قال : حدّثني أبي ، قال : [١١١ ب] .

خرجت من حضرة عبيد الله بن سليمان [٢] في وزارته ، أُريد الدهليز ، فخرج ابن أبي عوف [٣] فصاح البوابون ، والحجّاب ، والخلق، هاتم دابّة أبي عبد الله .

فحين قدّمت دابته ليركب ، خرج الوزير ليركب ، فرآه ، فتنحّى أبو عبد الله بن أبي عوف ، وأمر بإبعاد دابّته لتُقَدَّمَ دابّةُ الوزير ، فحلف الوزير إنّه لا يركب ، ولا تُقَدَّم دابّته ، حتى يركب ابن أبي عوف .

قال : فرأيته قائماً ، والناس قيام بقيامه ، حتى قدمت دابّة ابن أبي عوف فركبها ، ثم قدّمت دابّة الوزير ، فركبها ، وسارا جميعاً .

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول : ترجمته في حاشيةالقصة ١ / ١٤ من النشوار .

٢ عبيد الله بن سليمان الوزير : راجع ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٣ ابن أبي عوف : أحمد بن عبد الرحمن المروزي : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٥٦

ابن أبي عوف يحتال في إيصال

كتبه إلى الوزير

وحدّثني أبو الحسن[١] ، قال : حدّثني أبي[٢] ، قال :

لما خرج عبيد الله[٣] إلى الجبل[٤] ، واستخلف القاسم ، لم يكن يعامل ابن أبي عوف[٥] ، مثلما كان أبوه يعامله .

فشقّ ذلك عليه ، وخاف أن ينفذ كتبه بشكايته إلى أبيه ، فتقع في يد القاسم .

فجاءني دفعات ، يسلّم عليّ ، ولا يسألني حاجةً ، حتى جعلني صديقاً ، ثم سألني أن أجعل كتبه إلى الوزير في طيّ كتب حرم صاحبي[٦] إليه ، وكان في جملة القوّاد المجرّدين مع عبيد الله ، فكنت أفعل ذلك دائماً ، فيوصل صاحبي الكتب إلى الوزير سرّاً ، وتنفذ الأجوبة ، فترد كتب عبيد الله على القاسم ، في الخاص ، بالصواعق في أمر ابن أبي عوف .

ويوكّل القاسم بالطرق ، وتؤخذ له كتب أكثر الناس ، فيقف عليها ، ولا يجد لابن أبي عوف كتاباً ، فيتميّز غيظاً ، ولا يدري من أين يؤتى ، إلى أن قدم عبيد الله .

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول .

٢ أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن البهلول .

٣ عبيد الله بن سليمان ، الوزير : ترجمته في القصة ١ / ٣٢ من النشوار .

٤ الجبل : اسم شامل لإقليم عراق العجم ومنه همذان وأصبهان والري وقزوين وما بين ذلك (المشترك وضعاً ٩٥) .

٥ ابن أبي عوف : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٦ صاحبه هو القائد بدر اللاني : راجع القصة ١/٧٣ و ١/٧٨ من النشوار .

٥٧

تصرّف من ابن أبي عوف

يدل على نفس صغيرة

قال[١] :

وسألني في تلك الأيام ، رجل من أهل الثغر[٢] ، أن أشفع له إلى ابن أبي عوف ، في معاونته على أسرى له في بلاد الروم[٣] ، فامتنعت من ذلك ، لعلمي أنّه تاجر على كلّ حال .

فألحّ عليّ ، فكتبت له رقعة إليه ، فجاءني الرجل فشكرني ، وذكر أنّه أعطاه أربعين ديناراً .

ومضت السنون ، فسألني ابن أبي عوف أن أؤجره رقّة[٤] من ضياعي بالأنبار[٥] ، يعمل فيها البطّيخ الذي نسب فيما بعد إلى العبدلاوي[٦] ، وإنّما هو مضاف[٧] إلى أبي عبد الله بن أبي عوف ، فآجرته إيّاها بمال جليل .

وعمل البطّيخ فأنجب ، فلما طالبته بالأجرة ، احتسب عليّ الأربعين ديناراً الّتي برّ بها الثغري ، بشفاعتي .

---

١ يعني أبا الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول .

٢ الثغر : البلد الواقع على الحدود في مواجهة بلاد العدو .

٣ كان فداء الأسرى يتم إما بالمال ، وأما بمبادلة أسرى بأسرى .

٤ الرقة : الأرض التي يغطيها الماء ثم ينحسر عنها ، وتكون عادة من أخصب الأراضي ، وأكثرها رياً ، وتفضل الفواكه والخضر التي تزرع فيها على غيرها ، ولذلك سمي البطيخ في بغداد : الرقي ، يعني أنه من نتاج الرقة .

٥ الأنبار : راجع حاشية القصة ١٢٩/١ من النشوار .

٦ راجع بشأن البطيخ العبدلاوي الموسوعة التيمورية ٨٥ .

٧ في ط منسوب .

٥٨

سبب سقوط محل ابن أبي عوف

وكان سبب سقوط محلّه ، على ما أخبرني به أبو الحسين بن عيّاش القاضي رحمه الله ، قصّة ابنته ، فإنّه ذكر أنّ الخبر استفاض ببغداد : أنّه دخل داره ، فوجد مع ابنته [١٤٢ ط] رجلاً ليس لها بمحرم ، فقبض عليه ، وعمل على ضربه بالسياط ، فأشير عليه أن لا يفعل ، وقيل له إن في ذلك هتكاً لابنتك ولك ، فأطلق الرجل وقيّد المرأة واحفظها ، فلم يقبل ، واستدعى صاحب الشرطة [١١٢ ب] فضرب الرجل بالسياط على باب داره ، وكان الرجل ظريفاً أديباً ، فأنشأ يقول متمثلاً وهو يُضْرَبُ :

لها مثل ذنبي اليوم إن كنت مذنباً ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنب

يا قوم ، أيُحَدُّ أحد الزانيين ، دون الآخر ، أخرجوا صاحبتي ، وإلاّ فأفرجوا عنّي .

قال : فافتضح بذلك ، وانهتك ، وتناوله الشعراء والخطباء والناس [بألسنتهم] حتى سقط محلّه .

وكان من ذلك ، ما قاله ابن بسام[١] ، في قصيدة أوّلها :

يا قومنا إنّ القيامة دانيه زانٍ يحدّ ولا تحدّ الزانيه

[ويكمل[٢] البيتَ الأوّل ، بيت تمام له ، وهو :

فيا بعل ليلى ، ليس يجمع سلمها وحربي وفيما بيننا شبّت[٣] الحرب][٤]

---

١ علي بن محمد بن نصر ، أبو الحسن بن بسام (٢٣٠ – ٣٠٢) : شاعر ، كاتب ، نشأ ببغداد في بيت كتابة ، وتقلد البريد ، وأكثر شعره في الهجاء (الأعلام ٥/١٤١) .

٢ في ب : وعمل . ٣ في ب : سبب . ٤ انفردت ب بهذه الزيادة .

٥٩

الموفق طلحة يراسل أخاه المعتمد

في خلع المفوّض وتقليد العهد لغيره

حدّثني أبو أحمد عبد الله بن عمر السرّاج الواسطي ، المعروف بالحارثي ، قال : حدّثنا أبو بكر [قال : حدّثني][1] يوسف بن يعقوب المقرئ الواسطي[2] ، قال :

لمّا دخل الناصر لدين الله الموفّق[3] ، مدينة واسط بعد صاحب الزنج[4] ، وأقام بها ، [و] المعتمد[5] بفم الصلح[6] ، ووقعت المراسلة بينهما في خلع

---

١ ما بين القوسين زيادة أقحمها الناسخ .

٢ أبو بكر الواسطي المقرىء ، يوسف بن يعقوب بن الحسين بن يعقوب بن خالد بن مهران ، المعروف بالأصم : إمام جليل ثقة ، محقق كبير القدر ، كان إمام جامع واسط ، توفي سنة ٣١٣ بواسط عن ٩٥ سنة (غاية النهاية ٢/٤٠٤) .

٣ الموفق: الناصر أبو أحمد طلحة بن المتوكل: ترجمته في حاشية القصة ١/٧٣ من النشوار.

٤ للزنج بالبصرة ثلاث ثورات : الأولى في السنة ٧١ في آخر أيام مصعب بن الزبير ، وكانوا قلة ، فأخذ بعضهم وقتلوا ، وتفرق الباقون . والثانية في السنة ٧٥ في زمن الحجاج ، وكانوا كثرة ، وتزعمهم رجل اسمه رباح ، ولقبوه شيرزنجي ، يعني أسد الزنج ، وحاربهم صاحب شرطة البصرة ، فهزموه أولا ، ثم هزمهم وفرقهم . والثالثة في السنة ٢٥٥ في أيام المهتدي ، حيث خرج صاحب الزنج ، من فرات البصرة ، وجمع الزنج أولا ، ثم لحق به كل معاد للحكم العباسي ، واتسع نطاق ثورته ، واستولى على الأبلة ، وعبادان والأهواز والبصرة وواسط ورامهرمز ، واستمر يحارب خمس عشرة سنة ، وانتهت الثورة بقتله في السنة ٢٧٠ (الكامل لابن الأثير ٤/٣٨٨ و ٧/٢٠٥) .

٥ المعتمد على الله : الخليفة أحمد بن المتوكل ، ترجمته في حاشية القصة ٢/٨ من النشوار .

٦ فم الصلح : راجع حاشية القصة ١/١٦٢ من النشوار .

المفوّض[1] وتقليد العهد من يختاره الموفّق ، استدعاني الموفق ، وجماعة من شهود واسط ، وخاطبنا في النفوذ إلى المعتمد ، لنشهد عليه بذلك .

فقالت الجماعة : السمع والطاعة ، ونَهَضَتْ ، غيرى ، فإنّي سكتُّ ، وجلستُ .

فقال الموفق : شيء تقوله ؟

فقلت : إن أذن الأمير الناصر أعزّه الله ، قلت .

قال : قل .

قلت : أيّها الأمير إنّك تنفذنا إلى إمام ، ولسنا نأمن أن يشهدنا على غير ما تريد أن يشهدنا عليه ، وإذا وقفنا بحضرته ، فأشهدنا ، لم يجز أن نشهد على غير ما يشهدنا عليه ، فما تأمر ؟

قال : فكأنّي أيقظته من رقدة ، وأعلمته أنّه إن أشهدنا على تثبيت أمر المفوّض ، وخلعه هو ، وتفسيقه ، وقع الأمر موقعه .

فقال : أحسن الله جزاءك ، وأضرب عن إنفاذنا .

قال : ثمّ كان يختصّني بعد ذلك ، ويستدعيني في أوقات ، وكان ذلك أوّل ما بان من محلّي عند أهل بلدي ، وتقدمت به عليهم .

---

١ المفوض : جعفر بن الخليفة المعتمد، كان أبوه نصبه ولياً للعهد، ثم اضطره المعتضد إلى إلغاء ذلك في السنة ٢٧٩ حيث جلس الخليفة للقواد والقضاة والوجوه وأعلن خلع ولده ، ونصب المعتضد ولياً للعهد بدلا منه ، وتوفي جعفر بن المعتمد في السنة ٢٨٠ (الكامل لابن الأثير ٧/٤٥٢ و ٤٦٤) .

٦٠

متى حدّثت ابن مقلة نفسه بالوزارة

حدثني أبو الحسن بن الأزرق التنوخي [١] ، قال : حدّثني بعض أصحابنا ، قال : حدّثني أبو علي بن مقلة [٢] ، قال :

كنت خصيصاً بأبي الحسن بن الفرات [٣] قبل وزارته الأولى ، وكاتباً له .

فلما تقلّد الوزارة ، استدعاني بعد جلوسه ، وقال : أحضر ابن الأخرس [٤] التاجر ، وجماعة من التجّار غيره ، وبايعهم ثلاثين ألف كر من غلاّت السواد ، واستقص السعر معهم ، واستثن في كل كرّ بدينارين ، وطالبهم بحصول الاستثناء [١١٣ب] اليوم ، وحصّله ، وعرّفني .

قال : فاحضرتهم ، وقررّت السعر معهم ، وطالبتهم بالاستثناء عاجلاً ، فقالوا : نصحّحه في مدة ثلاثة أيام ، فعرّفته ، فأجاب .

فقال : إذا حصل الاستثناء فاكتب [١٤٣ ط] لهم إلى العمّال، بتسليم الغلاّت ، وقبض الأثمان .

[فلما كان في اليوم الثالث ، حملوا مال الاستثناء ، وكتبت لهم بالتسليم ، وقطعني شغل عرض عن مطالعة الوزير بذلك] [٥] .

فلما كان بعد يومين ، قلت له : ذلك المال الذي استثني به من غلاّت

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق التنوخي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٢ الوزير أبو علي بن مقلة : ترجمته في حاشية القصة ١/١٧ من النشوار .

٣ الوزير أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٤ في ب : ابن الأحموش .

٥ الزيادة من ط .

السواد ، حاصلٌ منذ أيّام عندي ، فما الذي يأمر الوزير فيه ؟

فقال : يا سبحان الله ، كأنّك قـدّرت أنّي استثنيت به لنفسي ؟ لقد قبّحت فيّ الظن ، وإنّما أردت بذلك الإصلاح لحالك ، وأن أعتقد لك نعمة يبين بها أثر صحبتي عليك ، فأصلح به أمرك .

قال : فقبّلت يده ، وشكرته ، وعدت إلى منزلي ، وما أتمالك فرحاً .

فحين علمت حصول المال لي ، حدّثتني نفسي بالوزارة ، ودعتني نفسي إلى تأهيل[1] نفسي لها ، والسعي في طلبها .

فما زلت من ذلك الوقت أشرع فيها ، حتى تمّت لي[2] .

---

١ في ط : تأميل .

٢ وزر أبو علي محمد بن علي المعروف بابن مقلة ، أول مرة للمقتدر سنة ٣١٦ ، ثم غضب عليه في السنة ٣١٨ فصادره ونفاه إلى فارس ، واستوزره القاهر في السنة ٣٢٠ ثم اتهمه بالتآمر عليه فاستتر ، واستوزره الراضي في السنة ٣٢٢ ثم غضب عليه فسجنه في السنة ٣٢٤ وأطلقه ، وفي السنة ٣٢٦ كتب إلى بجكم يرغبه في دخول بغداد ، مراغمة لابن رائق ، فقبض عليه الراضي ، بطلب من ابن رائق ، وقطع يده ، ثم قطع لسانه (الأعلام ٧/١٥٧ وتجارب الأمم ١/ ٣٨٦ – ٣٩٦) .

٦١

شيخ من الدينارين

يثني ابن مقلة عن طلب الوزارة

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال :

كنت بحضرة أبي عليّ بن مقلة ، وقد أُرْجِفَ له بالوزارة الأولى . فدخل عليه شيخ من الديناريّين [١] ، كان يكرمه أبو علي [٢] ، فأعظمه، وجلسا يتشاوران طويلاً .

ثم زاد الكلام بينهما حتى سمعت بعض كلام الشيخ ، وهو يعاتبه على طلب الوزارة ، ويثنيه عنها ، ويشير عليه أن لا يدخل فيها ، وأبو علي ساكت .

فلمّا انقضى كلامه، قال له أبو علي : بلغني عن معاوية ، وهو ممّن لا يدفع عن عِلْمٍ بالدنيا ، أنّه قال : من طلب عظيماً خاطر بعظيم [٣] .

قال : فقال له الشيخ : أستودع الله الوزير ، وقام .

فما كان إلاّ بعد أسبوع أو أقل ، حتى خُلِعَ على أبي عليّ ، وقلّد الوزارة .

---

١ الديناري : من محلة دار دينار ، ودار دينار محلتان ببغداد الكبرى والصغرى ، واقعتان في الجانب الشرقي قرب سوق الثلاثاء بينه وبين دجلة منسوبة إلى دينار بن عبد الله مولى الرشيد (معجم البلدان ٥١٨/٢) .

٢ كانت زوجة الوزير ابن مقلة دينارية ، راجع المنتظم ٣١١/٦ .

٣ في ط : بعظيمته .

٦٢

من طلب عظيماً خاطر بعظيم

حدّثني أبو الفضل [١] محمد بن عبد الله [بن المرزبان] [٢] ، قال : كنت بسيراف [٣] ، وقت [أن] اجتاز بها أبو عبد الله البريدي [٤] ، يقصد عليّ بن بويه [٥] ، فأعظمه الليث [٦] ، وحمّله ، ولقيه وجـوه سيراف في الجيش والناس كلهم ، وكنت فيهم .

فسمعته ، وهو على دابته ، وهو يقول : من طلب عظيماً خاطر بعظيم .

وما أحسن ما أنشدنا المتنبي [٧] لنفسه ، من قصيدة مشهورة له :

غريب من الخلّان في كل بلدة　　　إذا عظم المطلوب قلّ المساعد

---

١ أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب : نقل عنه التنوخي أخباراً عدة أودعها في نشواره، وكان يجمعهما مجلس الوزير أبي محمد المهلبي ، راجع القصص ٨/١٠٦ و ١٠٧ و١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ من النشوار .

٢ الزيادة من ط .

٣ سيراف : انظر حاشية القصة ١/٥٧ من النشوار .

٤ أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي : انظر حاشية القصة ١/٤ من النشوار .

٥ أبو الحسن علي بن بويه : عماد الدولة شيخ بني بويه ، وأكبر الإخوة الثلاثة الذين أسسوا الدولة البويهية وهم أبو الحسن علي عماد الدولة ، وأبو علي الحسن ركن الدولة ، وأبو الحسين أحمد معز الدولة ، انظر ترجمته في حاشية القصة ١/١٧٤ من النشوار .

٦ يظهر أن الليث اسم عامل سيراف في ذلك الحين .

٧ المتنبي (٣٠٣ – ٣٥٤) : أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي ، الشاعر الحكيم ، أحد مفاخر الأدب العربي ، ولد بالكوفة ، وقتل بدير العاقول (الأعلام ١/١١٠) .

٦٣

وجزاء سيئة سيئة مثلها

حدّثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش ، قال :

لما ولي أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مَخْلد[١] الوزارة ، صارفاً لأبي علي بن مقلة[٢] ، وتضمّنه هو وأبو العبّاس الخصيبي[٣] بالمال الذي [١١٤ ب] ضمناه به ، وتسلّماه ، كنت أختلف إلى أبي القاسم ، على رسمي في ملازمته ، فأرى أبا العبّاس بحضرته يخاطبه في معنى أبي عليّ ، والتشديد في مطالبته ، وربما أحضراه ليوقعا به ، فأقوم لئلا يراني قد رأيت ذلك منه .

فكنت أجلس بحيث أرى واسمع ولا يراني ، فيُطالبُ ، ويُضرَبُ . فإذا أوجعه المكروه ، قال : لي في موضع كذا ، كذا وكذا .

فيُرْفَعُ المكروه عنه ، ويمضون إلى الموضع ، فلا يجدون لما ذكره حقيقة .

فإذا سألوه [١١٤ ط] قال : ما لي حال ، ولا مال ، وإنّما برّدت عن نفسي في الحال ، ودفعت الموت ، ولا يُمكّن أبو القاسم سليمان ، من ردّ المكروه عليه أياماً .

فطالت قصّته ، ولم يستخرج منه شيء ، فجرت بينه وبين أبي العباس مخاصمة بهذا السبب ، وقال : لا بدّ من بسط العذاب عليه ، حتى يروج [بعض][٤] المال من جهته ، وكان سليمان يستحي .

---

١ الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٣ من النشوار .
٢ الوزير أبو علي بن مقلة : راجع ترجمته في حاشية القصة ١/١٧ من النشوار .
٣ أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/١٧٤ من النشوار .
٤ في ب : منه .

فتقرّر الرأي على أن نقل إلى دار ابن الحرث[1]، وكان الحصيبيّ يجيء إليها ، فيعاقبه ، ويستخرج المال منه .

قال : فاتّفق أنّني دخلت يوماً مسلّماً على ابن الحرث ، وعزمنا على الجلوس للأنس ، فدخل الحصيبيّ ، فدخلت بيتاً من الدار لئلاّ يراني .

وخليا ، وأخرجا ابن مقلة ، فأخذ الحصيبيّ يوبّخه ، ويستخفّ به ، على ما ارتكبه منه ، ومن سليمان ، ويشتفي منه بالخطاب بكل لون قبيح ، وقد أقامه بين غلامين ، وأقام خلفه آخر .

إلى أن قال له في جملة كلامه : أقرأني يعقوب البريديّ[2] [بالبصرة][3] جوابك إليه ، لما عُدْتُ من البحر ، في ظهر كتابه إليك ، يقول إنّه قد امتثل أمرك في نفيي وحملي إلى البحر[4] ، فوقّعت بخطّ يدك قطعها الله : يا عاجز ، ألا سملته[5] ، ثم حمَلْتَه ، يا عاضّ كذا وكذا[6] ، أردت أن ينطبق لفظك بانطباق ناظري ؟ يا غلام اصفع .

قال : فصفع ، وأخذ خطّه بالمال[7] .

---

١ هو أبو الحسن بن الحرث صاحب الوزير أبي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ، راجع القصة ١ / ١٥٤ من النشوار .

٢ يعقوب البريدي : هو أبو يوسف يعقوب بن محمد : ترجمته في حاشية القصة ١/١٦٦ .

٣ الزيادة من ط . ٤ في ب : إلى اليمن .

٥ في ب : ألا سلمته ، والتصحيح من ط ، والسمل فقأ العين . ٦ يا عاض بظرأمه .

٧ ورد في المنتظم ٦/٣٠٩ : كان ابن مقلة قد نفى أبا العباس أحمد بن عبيد الله الحصيبي وسليمان بن الحسن، وكلاهما وزر للمقتدر، وتقدم بإنفاذهما في البحر، فخبّ بهما البحر، ويئسا من الحياة ، فقال الحصيبي : اللهم إني أستغفرك من كل ذنب وخطيئة وأتوب إليك من معاودة معاصيك، إلا من مكروه أبي علي بن مقلة،فإنني إن قدرت عليه جازيته عن ليلتي هذه ، وما حل بي منه فيها ، وتناهيت في الإساءة إليه ، فقال سليمان : ويحك في هذا الموضع وأنت معاين للهلاك تقول هذا ؟ فقال : لا أخادع ربي . وأعيدا من عمان ، فلما عزل ابن مقلة في خلافة الراضي ضمنه الحصيبي بألفي ألف دينار وحلت به المكاره من قبله .

٦٤

مشعوذ يدّعي الولاية

ومن الأخبار المفردات، ما أخبرني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق ، قال :

قدم علينا بالأنبار رجلٌ من أهل القصر [١] ، يقال له عمر ، يعظ العامّة ، ويري [٢] نسكاً ، ويقول : من أطاع الله ، أطاعه كلّ شيء ، وإنّه يغمس يده في الزيت الحار المغليّ الشديد الحرارة ، فلا يضرّه .

فافتتن أهل البلد به ، واجتمعوا إلى الجامع ، ليشاهدوا ذلك ، وسألوني الحضور ، فحضَرْتُ ، وإخوتي ، وسلطان البلد ، وقد نصب ديكدان [٣] في صحن الجامع على دكّة ، ووضع فوقه طنجير [٤] ، والرجل قائمٌ يصلّي .

فلما جئنا طلبوا زيتاً ، فأنفذت على يد غلامي ، فجاءوا بخماسيّة [٥] ، فصبّت في الطنجير ، وأوقد عليها وقود جيّد شديد [١١٥ ب] .

فلما أغلي الزيت ونشّ [٦] ، أقبل على أخي ، وقال : يا أبا أحمد ، الله الله ، لا يكون ما أحضرته غير الزيت ، فأهلك .

فحين قال هذا ، انكشف لي أنّها حيلة ، فقلت له : ما هو إلاّ الزيت .

---

١ يعني قصر بن هبيرة : راجع حاشية ترجمة المؤلف في صدر الجزء الأول .

٢ في ب : ويرى ، وفي ط : ويوري .

٣ الديكدان : فارسية : آلة يوضع عليها القدر ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٥ م ٣ .

٤ الطنجير : وعاء يطبخ فيه .

٥ الخماسية : إناء يسع خمسة أرطال .

٦ في ب : شق ، وفي ط : شقق ، والتصحيح من مرجليوث .

فنزع ثيابه ، وعمد إلى[1] بقيّة كانت في الحماسيّة من الزيت [لم تغل][2] ، مقدارها نصف رطل ، فصبّها في الطنجير ، ودعا شارباً[3] ، فغسل يده غسلاً شديداً ، وذراعيه ، وصدره ، ثم أخذ كفّاً من الماء البارد ، فرشّه على الزيت ، فزاد نشيشه .

ثم صَعدَ على الدكّة ، وفي يده صنجاتٌ ، فرمى بها في الطنجير ، ثم أدخل يده بسرعة شديدة، وصاح بأعلى صوته : لا إله إلاّ الله ، وغَرَفَ بكفه الصنجات ، فأخرجها ، ورمى بها بحدّة ، وهو يصيح : يا الله [١٤٥ ط] ، يا ألله ، بأعلى صوته .

ثم تقدّم إلى الزيت ، فاغترف بكفّه منهُ ، فغسل به صدره ، وذراعيه ، وهو يصيح صياحاً شديداً ، يوهم به من حضر أنّه يريد الدعاء ، وكان عندي ، أنّه تألّم وتوجّع وتأوّه .

ثم نَزَل ، فأقبل يدعو ، ويقول للعامّة : أنا أرجو أن أجيئكم بعد أيّام، بسباع الأجمة ، أقودها بآذانها .

فحملناه معنا إلى منزلنا ، واغتسل[4] بماء حار ، وتدلّك ، وبخّرناه ، وأقام عندنا يومه .

فسألناه عن سبب ذلك .

فقال : من أطاع الله ، أطاعه كلّ شيء ، فأمسكنا عنه .

فلما كان بعد أيّام ، جاء جماعة من أهل الأنبار ، فقالوا : نحن نغلي الزيت ، ونعمل كما عمل ، ونغلي القار ، ونأخذه من القدر بأيدينا حاراً .

---

١ في ب : وعمل على ، وفي ط : وعاد إلى .
٢ الزيادة من ط .
٣ الشارب : يطلق على الساقي .
٤ في ب وط : تغسل .

قال فجمعناهم بحضرته ، فعملوا ذلك ، فأبلس ، وقال : هذا ، إنّما لحقتكم بركتي .

وهرب من البلد من غد .

فسألنا الذين عملوا ذلك ، فقالوا جرّبنا على أنفسنا ، وتصبّرنا كما يصبر الواحد منّا على الماء الحار الشديد الحرارة في الحمّام ، ولا يصبر عليه آخرون .

ويشبه هذا ، ما أخبرني به أبو أحمد بن أبي سلمة العسكري ، أحد الشهود بها[1] ، انّه شاهد رَجلاً ، يدخل يده في قدر السكّر الحار ، ويخرج منه ما يطرحه في الظروف .

وأخبرني أبو الطيّب ، انّه رأى الشبلي الصوفي ، يدخل يده في طنجير حار ، فيه فالوذج[2] حار مغليّ ، فيأخذ منه اللقم ، فيأكلها .

قال : وهذا أشدّ ما شاهدته ، وفعل ذلك مراراً .

فقال له في بعضها ، صوفيّ كان حاضراً : ويحك اعمل أنّ في يدك كشتبان[3] ، حلقك مصهرج[4] ؟

---

١ بها : يعني بالعسكر ، وهي عشرة أماكن أشهرها عسكر المعتصم : وهي سامراء ، وعسكر مكرم : في نواحي خوزستان (المشترك وضعاً ٣٠٩) .

٢ الفالوذج : حلوى تصنع من العسل والدقيق والماء ، فارسية : بالوده (الألفاظ الفارسية المعربة ١٢٠) أقول : وهي تسمى الآن في بغداد بالوته ، بالباء الفارسية المثلثة .

٣ الكشتبان : قمع الخياط يضع فيه اصبعه يتقي به وخز الإبر ، فارسية : انكشتانه معناه اصبعي (تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ٦٣) .

٤ المصهرج : المطليّ بالصاروج ، وهو النورة وأخلاطها ، ومنه سمي الحوض الذي يحتبس فيه الماء صهريجاً ، لأنه معمول بالصاروج (الألفاظ الفارسية المعربة ١٠٧) .

٦٥

الشبلي يتواجد

قال : وكان الشبلي[١] ينتف شعر رأسه ، وكانت لهذا الشبلي ، عجائب وحكايات ، منها ، ما سمعته من الوزير أبي محمد المهلبي ، قال :

اجتزت ببغداد ، في بعض طرقها ، فرأيت الناس مجتمعين على رجل طريح .

فقلت : ما هذا ؟

فقالوا : الشبليّ [١١٦ب] جازَ الساعة على هذا الهرّاس[٢] ، ومناديه يقول : إلى كم تغلط ؟ فتَوَاجَدَ[٣] ، وصاح حتى أُغمي عليه .

قال : فمضيت ، وعجبت من جهله[٤] .

فرأيت بعض الصوفية[٥] ، فأخبرته الخبر ، وقلت له : ويحك ، أيش في هذا ، حتى يصيح الشبليّ منه ، ويتَواجدُ ؟

فقال : يعتقد أنّ الله تعالى كلّمه على لسان المنادي .

فقلت : هذا أظرف ، لو كان بحذاء المنادي مناد لهرّاس آخر ، يصيح مِثْلَ صياحه ، إلى كم تغلط ، أيّهما كان كلام الله ؟

فقال : الجواب عليه في هذا .

---

١ أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي : نسب إلى شبلية قرية من قرى أشروسنة من بلاد ما وراء النهر ، وراء سمرقند، صحب الجنيد ، وكان في أول أمره والياً في دنباوند ، ثم تاب في مجلس خير النساج ، وتصوف ، واشتغل بالعبادة ، وكانت مجاهداته فوق الحد ، توفي سنة ٣٣٤ عن سبع وثمانين سنة (وفيات الأعيان ٢/٣٩ ومعجم البلدان ٣ / ٢٥٧) .

٢ الهرّاس : بائع الهريسة ، وهي طعام يصنع من الحنطة المهروسة واللحم .

٣ التواجد : راجع حاشية مقدمة الجزء الأول من النشوار .

٤ في ط : وعجبت منه .

٥ الصوفية : راجع حاشية مقدمة الجزء الأول .

٦٦

إذا عتق الشمع عشرات السنين

ثم استعمل أبطأت النار فيه

ومن الأخبار المفردات أيضاً ، ما أخبرني به أبو الحسين بن عيّاش ، قال :

دعانا أبو الطيّب بن أبي جعفر الطائي مع أبي القاسم سليمان بن الحسن [١] ، وابنه أبي محمد ، دعوة أنفق فيها مائتي دينار ، وأظهر من الآلات ، والنِعَم والمروءة ، كل شيء حسن طريف غريب فاخر .

وكان [١٤٦ ط] أحسن ما شاهدنا له شمعتين موكبيّتين [٢] فيهما ثلاثون أو أربعون منّاً ، في تورين [٣] كبيرين ، نَصَبَهُما في وسط المجلس ، وفرّق الشموع الصغار حواليهما .

فكان الفرّاشون إذا أرادوا قطّ الشمعتين ، تطاولوا شديداً ، حتى يقطّوهما [٤] .

وكان لون الشمعتين غير مليح [٥] يضرِبُ إلى البياض ، ممّا قد عَشّبَ عليهما من التّراب .

---

١ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد : الوزير ، ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٣٣ من النشوار .

٢ الشموع الموكبية : هي الشموع الضخمة التي تحمل في المواكب ، وأصبحت تطلق على كل شمعة ضخمة .

٣ التور : أداة تثبت فيها الشمعة .

٤ في ب يقطعوهما ، والتصحيح من ط .

٥ كذا ورد في ب وفي ط ، ولعل الصحيح : أغبر أملح .

وجلسنا إلى قريب من الغداة [1]، وهما تتّقدان في ليلة شتويّة ، ونمنا ، وانتبهنا ، وهما تتّقدان ، [فنظرت] [2] فإذا الذي اتّقد [3] من كلّ واحدة منهما ، أصابع يسيرة ، وهما بحالهما .

قال : فما تمالكت ، أن سألته ، فيما بيني وبينه ، عن سبب ذلك .

فقال : هما عندي ، وعند أبي [من قبلي] [4] ، منذ خمسين سنة ، ما استعملناهما .

وعندنا شمع كثير هذا سبيله ، تعمّدنا تعتيقه ، لأنّه بلغ أبي أنّ الشمع إذا عتّق عشرات سنين ، ثم استعمل ، كان ما يحترق منه هذا القدر ، ونحوه .

فعتّق شمعاً كثيراً ، ونَسيَهُ ، ومات ، وتشاغلت بعده عن استعماله [سنين] [5] ، فلما احتفلت لهذه الدعوة الآن ، ذكرت الشمع العتيق الذي في خزائننا ، فأخرجت هاتين منه ، وكان من أمرهما ما رأيت ، وصحّت التجربة لنا فيهما .

---

١ الغداة : وجمعها غدوات ، ما بين الفجر وطلوع الشمس .

٢ الزيادة من ط .

٣ في ط : احترق .

٤ الزيادة من ط .

٥ الزيادة من ط .

٦٧

حجام يحجم بالنسيئة إلى الرجعة

أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني [١] ، قال : أخبرنا أبو بكر يموت بن المزرع [٢] ، قال : سمعت أبا عثمان الجاحظ [٣] ، يحدّث :

إنّه رأى حجّاماً [٤] بالكوفة، يحجم بنسيئة إلى الرجعة [٥]، لشدّة إيمانه بها .

---

١ أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني : ترجمته في حاشية القصة ١ / ٣ من النشوار .

٢ يموت بن المزرع : ابن أخت الجاحظ ، أبو بكر يموت بن المزرع بن يموت بن عيسى العبدي البصري، كان أديباً اخبارياً ، وله ملح ونوادر، وكان لا يعود مريضاً خوفاً من أن يتطير باسمه ، ويقول : بليت بهذا الاسم الذي سماني به أبي ، فإني إذا عدت مريضاً ، فاستأذنت عليه ، قلت : أنا ابن المزرع ، وأسقطت اسمي ، توفي يموت في السنة ٣٠٤ بدمشق . (وفيات الأعيان ٦ / ٥٢) .

٣ الجاحظ (١٦٣ – ٢٥٥) : عمرو بن بحر ، أبو عثمان ، كبير أئمة الأدب ، وشيخ الجاحظية من المعتزلة ، ولد وتوفي بالبصرة ، ولقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ، سقطت عليه مجموعة من الكتب فمات ، (الأعلام ٥/٢٣٩) .

٤ الحجامة : استخراج الدم من قفا العنق أسفل القذال بالمحجم ، بأن يشرط الحجام القفا بموساه، ثم يضع المحجم وهو أداة كالكأس ، فيجتذب الدم ، والحجامة من الطب القديم، وكانت شائعة ببغداد حتى نهاية عهد الحكم العثماني، يزاولها الحلاقون ، ويصفها الأطباء القدماء الذين يداوون طبقاً للطب اليوناني .

٥ أول من قال بالرجعة في الإسلام : الكيسانية : قالوا بإمامة محمد بن الحنفية ، بنص من أبيه الإمام علي عليه السلام ، وقالوا إن محمداً لم يمت ، بل غاب في جبل رضوى وإنه سوف يرجع فيملأ الأرض عدلا، كما ملئت جوراً، وكان السيد الحميري ، وكثير عزة، ممن يقول هذه المقالة ، ولزيادة التفصيل راجع الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٨ و ٢/٢٠٠ .

٦٨

أذان رجل من القطيعة

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني [١] . قال :

سمعت رجلاً من القطيعة [٢] ، يؤذّن : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلاّ الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن علياً وَليُّ الله ، محمد وعليّ خير البشر ، فمن أبى فقد كفر ، ومن رضي فقد شكر ، [ضربتْ هند[١١٧ب]على ابن عمر] [٣] ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، حيّ على خير العمل ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلاّ الله .

وهذا عظيمٌ مفرطٌ ، ونستغفر الله منه ، ونستعيذ به من الجهل .

---

١ أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني ، صاحب الأغاني : ترجمته في حاشية القصة ١/٣ من النشوار .

٢ القطيعة : في بغداد عدة قطائع ، أشهرها قطيعة أم جعفر ، وهي محلة ببغداد عند باب التبن وهو الموضع الذي فيه مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قرب الحريم الطاهري بين دار الرقيق وباب خراسان،وكان يسكنها خدام أم جعفر (زبيدة أم الأمين) وحشمها . (معجم البلدان ٤/١٤١) .

٣ هذه الجملة انفردت بها ب .

٦٩

الحنابلة يبنون مسجداً ضراراً

أخبرني جماعةٌ من البغداديين :

إنّ الحنابلة [١] بنوا مسجداً ضِراراً ، وجعلوه سبباً للفتن والبلاء [٢] .

فتظلّم منه إلى عليّ بن عيسى ، فوقّع في ظهر القصّة :

أحقّ بناء بهدمٍ ، وتعفية رسمٍ ، بناء أسّسَ على غير تقوى من الله ، فَلْيُلحَق بقواعده ، إن شاء الله تعالى .

---

١ راجع حاشية القصة ٢/ ١٢٤ من النشوار .

٢ أول مسجد ضرار هدم ، هدمه النبي صلوات الله عليه ، وذلك أن جماعة من المنافقين ، بنوا مسجداً للتفريق بين المسلمين ، فنزلت بشأنه الآية الكريمة « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » ١٠٧ م التوبة ٩ فأمر النبي عند قدومه من تبوك بهدمه فهدم . (مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/٧٠) .

٧٠

أبو عبد الله الكرخي

آية في سرعة الحفظ

حدّثني أبي [رضي الله عنه] [١] ؛ قال : حدّثني أبو عبد الله المفجّع [٢] ، قال :

أنشدت أبا محمد القاسم بن محمد الكرخي [٣] ، قصيدة طويلة مدحته بها ، فلمّا استتممتها ، خرج ابنه أبو عبد الله جعفر بن القاسم [٤] من خَيْشٍ [٥] كان في صدر المجلس الذي كنّا فيه ، فقال : يا شيخ ، ألا تستحي ، تمدحنا بقصيدة ليست لك ، تدّعيها ؟

قال : ولم أكن أعرف خبرَهُ في سرعة الحفظ ، فقلت : أعيذك بالله يا سيّدي ، والله ما قالها غيري .

فقال : سبحان الله ، هذه علّمنيها المعلّم في المكتب من كذا وكذا

---

١ الزيادة من ط .

٢ المفجع : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبيد الله ، الكاتب ، الشاعر ، صاحب ثعلب ، من أهل البصرة ، كان شاعراً مكثراً ، عالماً ، أديباً ، ولقب بالمفجع لبيت قاله ، توفي سنة ٣٢٧ (معجم الأدباء ٦/٣١٤) .

٣ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الكرخي : من كرخ البصرة ، تقلد كور الأهواز ، وتقلد مصر والشام ، وتقلد ديار ربيعة ، وهو وأخوه أبو أحمد ، وولداه أبو عبد الله جعفر ، وأبو جعفر محمد ، تقلدوا الدنيا ، راجع ما كتب عنهم في معجم البلدان ٤/٢٥٣ .

٤ أبو عبد الله جعفر بن أبي محمد القاسم الكرخي : كان على جانب عظيم من كرم النفس ، والذكاء وقوة الحافظة ، تقلد الولايات الكبيرة ، مثل كور الأهواز ، وفارس ، وكرمان ، والثغور ، راجع ما كتب عنهم في معجم البلدان ٤/٢٥٣ .

٥ الخيش : راجع حاشية القصة ١/١٦٢ من النشوار .

سنة ، وابتدأ ينشدها حتى مضى [١٤٧ط] في جميعها ، ما أخلّ ببيت واحد ، [وكانت فوق الخمسين بيتاً .

فأسقط في يدي ، فخجلت][1] ، واندفعت أحلف ، بالطلاق والعتاق ، أنّها لي ، وأنا لا أدري من أين أتيت .

فلمّا رحمني القاسم قال : يا هذا لا تقلق ، فأنا أعلم أنّك صادق ، ولكنّ أبا عبد الله لا يسمع شيئاً ينشد ، طويلاً ولا غيره ، إلاّ حفِظَهُ في دفعة واحدة حين يسمعه ، وانّه حفظها لمّا أنشدتنا إيّاها .

وأجازني ، وانصرفت .

---

١ الزيادة من ب .

٧١

أبو عبد الله الكرخي

يحفظ جماعة تحتوي على ارتفاع فارس

حدّثني أبي [رضي الله عنه][١] :

أنّ جماعة[٢] كان عملها جعفر بن القاسم[٣] ، تحتوي على ارتفاع[٤] فارس ، أو ناحية من فارس ، الشكّ مني ، ومشايخ الناحية[٥] ، ومعاملاتها[٦] ، وخراجها[٧] ، وما أدّي ، وما بقي ، ودخلُ ذلك ، وخَرْجُهُ ، وكان يرفع حسابها إلى الوزير .

فَطُلبتِ الجماعة منه ، فَفُقِدتْ .

فقال جعفر[٨] : لا عليكم ، وأملاها من حفظه في الحال بحضرة الوزير ، ورفع الحساب عليها .

ثم وجدت الجماعة ، فوجدت موافقة لها حرفاً بحرف ، إلاّ في باب واحد ، فإنّه جاء به مقدّماً ومؤخّراً .

---

١ الزيادة من ط .

٢ الجماعة : حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل (مفاتيح العلوم ٣٨) .

٣ جعفر بن القاسم الكرخي : ترجمته في حاشية القصة ٢/٧٠ من النشوار .

٤ الارتفاع : إيراد الكورة أو الناحية — قاله عبد القادر المغربي .

٥ مشايخ الناحية : رؤساؤها ووجهاء أهلها .

٦ معاملات الناحية : قيودها الرسمية ، قاله عبد القادر المغربي .

٧ الخراج : ما يقتضي استيفاؤه لجانب الدولة من مال .

٨ في الأصل : أبو جعفر .

٧٢

نادرة عن شخص آخر

آية في سرعة الحفظ

حدّثني أبو القاسم عبد الله [١] بن محمد بن عشمويه الكاتب ، قال : حدّثني الكرماني كاتب كان لأبي بكر بن الصيرفي ، صاحب الجيش ، قال :

أنفذني صاحبي لأنفق في رجال أبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء [٢] ، فأنفقت فيهم ، واستفضلت أنا وكاتب أبي محمد ، والجهبذ ، والنقيب ، نحو عشرة آلاف درهم .

فقالوا : ندخل في [١١٨ ب] موضع ، ونتحاسب ، ونقسم .

فدخلنا مسجداً حيال دار أبي محمد ، ولم نر فيه إلاّ رجلاً عليلاً نائماً ، كأنّه سائل ، فحقرناه .

وأخذنا نتحاسب ، ونقول : وصل إلينا من رزق فلان الساقط كذا ، وفلان البديل كذا ، ومن الصرف كذا ، ومن فضل الوزن كذا ، ومن كذا كذا ، إلى أن حصّلنا مبلغ الفضل ، وما يخصّ كلّ واحد منا .

فأقبلنا نزن ، فشال العليل رأسه ، وقال : يا أصحابنا ، أخرجوا لي قسطاً .

فقلنا : ومن أنت ؟

قال : أنا رجل من المسلمين ، قد سمعت ما كنتم فيه .

فقلنا : هو ضعيف ، أعطوه خمسة دراهم .

---

١ في ط : عبيد الله .

٢ أبو محمد جعفر بن ورقاء الشيباني : ترجمته في حاشية القصة ١ / ٨ من النشوار .

فقال : لا أُريد إلاّ قسطاً صحيحاً بالسويّة ، مثل ما يأخذه أحدكم .

فاستخففنا به .

فقال : لا عليكم ، إمّا أعطيتموني ما التمست ، وإلاّ جلست الساعة في سميريّة ، ومضيت إلى أبي بكر الصيرفي ، وقلت : إنّكم أخذتم باسم [فلان الساقط كذا ، وباسم] [1] فلان البديل كذا وكذا .

قال : فأعاد جميع ما قلنا وتحاسبنا عليه ، حتى ما أخلّ بحرف واحد منه ، فأقلّ ما يعمل بكم ، إذا لم يصرفكم ويؤذيكم ، أن يرتجع منكم ما سرقتم .

فنظرنا إلى ما قاله فوجدناه صحيحاً ، فرمنا منه أن يقتصر على بعض ما طلبه .

فقال : لا والله إلا بقسط كما يأخذ أحدكم .

فلم نجد من دفع ذلك إليه بدّاً ، فدفعنا إليه قسطاً ، مثل ما أخذه واحدٌ منا . فأخذه وافترقنا [2] [١٤٨ ط] .

---

١ الزيادة من ط .

٢ المفوات النادرة ٢٤٥ .

٧٣

والد المؤلف يحفظ قصيدة

تشتمل على ستمائة بيت في يوم وليلة

حدّثني أبي [رضي الله عنه] [١] ، قال :

سمعت أبي [رحمه الله] [١] ينشد يوماً ، وسنّي إذ ذاك خمس عشرة سنة ، بعض قصيدة دعبل [٢] الطويلة التي يفتخر فيها باليمن ، ويعدّد مناقبهم ، ويردّ على الكميت فخره [٣] بنزار ، أوّلها :

أفيقي من ملامك يا ظعينا ... كفاني اللوم مرّ الأربعينا

وهي نحو ستمائة بيت ، فاشتهيت حفظها ، لما فيها من مفاخرِ اليمن [لأنّهم] [١] أهلي .

فقلت : يا سيّدي ، تخرجها إليّ حتّى أحفظها ، فدافعني ، فألححت عليه .

فقال : كأنّي بك ، تأخذها ، فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيت ، ثم ترمي بالكتاب ، وتخلقه عليّ .

قلت : ادفعها إليّ .

---

١ الزيادة من ط .

٢ أبو علي، دعبل بن علي الخزاعي(١٤٨-٢٤٦) : شاعر مفلق مطبوع ، أصله من الكوفة ، وأكثر مقامه ببغداد ، ودخل دمشق ومصر ، وكان هجاء، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا الوزراء ولا أولادهم ، وكان من مشاهير الشيعة وقصيدته التائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح ، قصد بها الإمام علي بن موسى الرضا بخراسان ، فأعطاه عشرة آلاف درهم وخلع عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم ، فلم يبعها ، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها ، فقال لهم : إنها تراد لله عز وجل ، وهي محرمة عليكم ، فدفعوا له ثلاثين ألف درهم وأعطوه كماً واحداً منها ليكون في كفنه (معجم الأدباء ١٩٣/٤) .

٣ في ب : مناقبه ، والتصحيح من ط .

فأخرجها ، وسلّمها إلي ، وقد كان كلامه أثّر فيّ ، فدخلت حجرة كانت برسمي في داره ، فخلوت فيها ، ولم أتشاغل يومي وليلتي بشيء غير حفظها .

فلما كان في السَحَرِ ، كنت قد فرغتُ من جميعها ، وأتقنتها ، فخرجت إليه غدوة على رسمي ، فجلست بين يديه .

فقال : هَيْ ، كم حفظت من القصيدة ؟

فقلت : قد حفظتها بأسرها .

فغَضِبَ ، وقدّر أنّي قد كذَبْتُهُ ، وقال لي : هاتِها .

فأخرجت الدفتر من كمّي ، فأخذه ، وفتحه ، ونظر فيه ، وأنا أنشد ، إلى أن مضيت في أكثر [١١٩ ب] من مائة بيت .

فصفح منها عدّة أوراق ، وقال : أنشد من هاهنا .

فأنشدت مقدار مائة بيت [أخر ، فصفح إلى أن قارب آخرها بمائة بيت ، فقال أنشدني من هاهنا ، فأنشدته مائة بيت منها] [1] إلى آخرها .

فهاله ما رآه من حسن حفظي ، فضمّني إليه ، وقبّل رأسي وعيني ، وقال : بالله ، يا بنيّ ، لا تخبر بها أحداً ، فإنّي أخاف عليك من العين [2] .

---

١ الزيادة من ط .

٢ قال المؤلف عن والده : إن علم الفقه والفرائض رأس ماله ، وإنه كان يحفظ شيئاً كثيراً من الكلام والمنطق والهندسة وعلم النجوم والأحكام والهيأة والعروض والشعر ، وكان يحفظ ويحدث فوق عشرين ألف حديث (راجع القصة ١٢١/٧ من النشوار) .

٧٤

مقدار ما حفظه والد المؤلف من الشعر

حدّثني أبي[١] [رضي الله عنه][٢] ، قال :

حفّظني أبي ، وحفظت بعده ، من شعر أبي تمام [الطائي][٢] والبحتري ، سوى ما كنت أحفظه لغيرهما من المُحدثين من الشعراء ، مائتي قصيدة .

قال : وكان أبي وشيوخنا بالشام ، يقولون : من حفظ للطائيين[٣] أربعين قصيدة ، ولم يقل الشعر ، فهو حمارٌ في مسلاخِ[٤] إنسان .

فقلت الشِعْرَ وسنّي دون العشرين ، ثم بدأت بعمل مقصورتي التي أولها :

لولا التناهي لم أطع نَهْيَ النُهى　　أيّ مَدى يطلب من جازَ المدى[٥]

---

١ القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم التنوخي القاضي : ولد بأنطاكية سنة ٢٧٨ وقدم بغداد سنة ٣٠٦ وتفقه بها وسمع الحديث وولي القضاء بالأهواز والكوفة وواسط وسقي الفرات والثغور الشامية ، وأرجان وكورة سابور وتوفي سنة ٣٤٢ هـ وله تصانيف في الأدب ، راجع ترجمته في معجم الأدباء ٥ / ٣٣٢ .

٢ الزيادة من ط .

٣ الطائيان : أبو تمام والبحتري .

٤ المسلاخ قشر الحية التي تنسلخ منه ، ويطلق على جلد الحيوان والإنسان .

٥ جاء في مروج الذهب للمسعودي (٢/٥٥٨) عند إيراده أبياتاً من مقصورة ابن دريد ، إن أبا القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم التنوخي الأنطاكي ، عارضه بمقصورته التي يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة وقال فيها :

لولا التناهي لم أطع نهي النهى　　أي مدى يطلب من جاز المدى

إن كنت أقصرت فما أقصر قلـ　　ـب دامياً تدميه الحاظ الدمى

ومقلة إن مقلت أهل الغضا　　أغضت وفي أجفانها جمر الغضا

وكم ظباء رعتها ألحاظها　　أسرع في الأنفس من حد الظبى

أسرع من حرف إلى جر ومـن　　حب إلى حبة قلب وحشى

قضاعة بن مالك بن حمـير　　ما بعده للمرتقين مرتقى

٧٥

حفظ القرآن في ستة أشهر

حدّثني أبو عبد الله بن هارون التُسْتَريّ المقرئ [رحمه الله] [١] ، وكان أقام بمسجدنا بالبصرة ، قال :

أقمت أحفظ القرآن سنين كثيرة ، كلّما بَلَغْتُ إلى موضع ، أنسيت الذي قَبْلَهُ ، حتى كأنّي ما سمعته قط ، فشق ذلك عليّ .

فحججتُ ، وتعلّقْتُ بأستار الكعبة ، ودعوت الله تعالى ، وسألته أن يعينني على حفظه .

ورجعت إلى البصرة ، فَلَزِمْتُ التلقين ، فحفظت القرآن في ستة أشهر على حرف أبي عمرو ، ثم تعاطيت السبعة [٢] .

فما حال الحول عليّ ، إلا وقد أحكمت أكثرها .

---

١ الزيادة من ط .

٢ يعني القراءات السبع ، والقراء السبعة هم أبو عمر زبان بن العلاء المازني ، وأبو رويم نافع بن عبد الرحمن المدني ، وأبو معبد عبد الله بن كثير المكي ، وأبو بكر عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي ، وأبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبي ، وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات ، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (الفهرست ٢٨) فإذا قيل القراء العشرة ، أضيف إلى السبعة الأولين أبا جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي ، وأبا محمد خلف بن هشام الأسدي البزاز ، وأبا محمد يعقوب بن إسحاق البصري .

٧٦

من أقوال الصوفية

بلغني عن بعض الصوفيّة [١] ، إنّه قال :

الاستغفار صابون المعاصي ، والشكر [١٤٩ ط] لله عزّ وجلّ سفتجة [٢] الرزق ، والصلاة جوارشن [٣] المعدة ، والصوم ريباس البدن [٤] ، واليقين الرأس الأكبر .

وعن بعضهم ، من أهل زماننا :

المعرفة بالله ، دليل لا ضيعة معه ، والعمل الصالح ، زادٌ لا يخاف معه طول السفر .

---

١ الصوفية : راجع حاشية مقدمة الجزء الأول من النشوار .

٢ السفتجة : الحوالة ، وهي أن تعطي مالا لرجل ، فيعطيك خطاً يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان آخر ، والكلمة فارسية (المنجد) .

٣ الجوارشن : نوع من الأدوية المركبة يقوي المعدة ويهضم الطعام ، وليست اللفظة عربية (لسان العرب) .

٤ في الأصل : روباس ، والصحيح ما أثبتناه ، والريباس : بقلة كأضلاع السلق لها خشونة وطعم عساليجها حلو بحموضة ، واستعمالها يقوي المعدة ويدبغها (مفردات الأدوية لابن البيطار ٢ / ١٤٧) .

٧٧

ناصر الدولة الحمداني

يتّبع وصية أبيه أبي الهيجاء

حدّثني أبو محمد يحيى بن محمد[١] ، قال : حدّثني أبو إسحاق محمد ابن أحمد القراريطي[٢] قال : حدّثني ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان[٣] ، قال :

كان أبي أبو الهيجاء[٤] شديد الانحراف عنّي أوّل نشوّي ، لما يراه من الفضل فيّ ، وخوفه منّي على أعماله .

فكان يغضّ منّي ، ويتجافاني ، ويمسك يدهُ عنّي ، فأتحمّل ذلك ، وأصبر عليه .

فوَلي طريق خراسان[٥] ، فجلس يعرض دوابّه ، فبقّى منها خمسين

---

١ أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلي .

٢ أبو إسحاق محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسكافي القراريطي .

٣ أبو محمد ، الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الحمداني : من ملوك الدولة الحمدانية . كان صاحب الموصل وما يليها ، لقبه المتقي العباسي بناصر الدولة ، ونصبه أمير الأمراء ، ولما توفي أخوه سيف الدولة ، تغيرت أحواله ، وساءت أخلاقه ، فحجر عليه ولده أبو تغلب ، ونقله إلى قلعة من القلاع ، وتوفي سنة ٣٥٨ (الأعلام ٢/ ٢١٠).

٤ أبو الهيجاء ، عبد الله بن حمدان بن حمدون الحمداني : والد ناصر الدولة ، من القادة المقدمين في العصر العباسي ، ولي الموصل ، ثم ولي طريق خراسان والدينور ، ثم اشترك في خلع المقتدر ونصب القاهر ، وكان مع القاهر لما هاجمه الجند، فقال له : أنا في ذمامك، فاقسم أن لا يتركه ، أو يموت أمامه ، وحارب عنه حتى قتل ، وذلك سنة ٣١٧ (الأعلام ٤ / ٢١٣ والكامل ٨ / ٢٠٤) .

٥ يعني حماية الطريق ، كان ذلك سنة ٣٠٨ (تجارب الأمم ١ / ٧٥) .

دابّة ، ما بين زَمِنٍ وأعجف ، إلى غير ذلك .

ثم قال : يا حسن ، أريد أن أخرج بعد شهرين إلى العمل ، وهذه الدواب مسلّمة إليك ، [فإن صَلَحَتْ ، فقد صَلَحْتَ] [1] وقد رددت أمرها إليك ، لأجرّبك بها في الأمور الكبار ، فإن قمت بها حتى تصحّ وتبرأ وتسمن ، وكان فيك فضلٌ [١٢٠ ب] لذلك ، علمتُ [2] أنّك تصلح لما هو فوقه ، وإن لم تصلح على يدك ، فهو أوّل عملٍ رددته إليك من أمري وآخرُهُ ،

فعجبت من أنّ أوّل عملٍ أهّلني له ، أن أكون سائس دوابّ ، ولم أجد بدّاً من الصبر .

فقلت : السمع والطاعة .

وأخذت الدواب ، وأفردت لها إسطبلاً ، وجعلت لنفسي فيه دكّة ، واستأجرت لها سوّاساً ، وأدررت أرزاقهم ، وطالبتهم بأشدّ الخدمة ، وكنت أحضر أمر الدواب دفعات في اليوم ، حتى توقّح وتعالج وتسمن ، وأفردت بياطرة فُرُهاً [3] لذلك .

فما مضى عليها إلاّ شهر وأيّام ، حتى صحّت وسمنت ، وصارت على غاية الحسن .

وأزف خروجه ، فقال لي : يا حسن ما فعلت بتلك الدوابّ ؟

فقلت : قم إلى الإسطبل حتى تراها .

فقام ، فرآها في غاية الحسن ، فسرّ بذلك ، وأعجبه ، وأثنى عليّ ، وقال : يا حسن ، هوذا أعلّمك بدل قيامك بهذا الأمر شيئاً تنتفع به ، وفيه قضاء لحقّك ، بقدر ما أتعبتك فيه .

فقلت : قل ، يا سيدي .

---

١ الزيادة من ط .　　٢ في ب : قلت .

٣ الفاره : الماهر الحاذق .

قال : إذا رأيت السلطان قد رفع من أهلك رجلاً ، أو الزمان قد نوّه به ورأّسه ، فإيّاك أن تحسده ، وتشغل نفسك بعداوته ، فإنّك تتعب ، ولا تصل إلى فائدة ، وتسقط أنت ، ولا يضرّه هو ، وتغتمّ أنت ، ولا يتأذّى هو ، وتغضّ من نفسك ، بِغَضّكَ من رجل صار كبيراً من أهلك، فإنّه ما ارتفع إلاّ بآلة فيه ، يدفعك بها ، أو إقبال يدفعك عنه ، واجهد أن تخدمه ، وتصافيه الودّ ، ليكون ذلك الفضل الذي فيه ، فضلاً لك ، وذلك الفخر راجعاً إليك ، وتتجمّل بثنائه عليك ، وإطرائه لك ، وتصير أحد أعوانه ، فإنّه أحسن بك من أن تكون من أعوان غيره ممّن ليس من أهلك ، ويراك الناس عنده وجيهاً ، فيكرمونك له ، فإن كان له منزلة من السلطان، جاز أن تصل إليها باستخلافه إيّاك [١٥٠ط] عليها، وانتقاله إلى ما هو أكبر منها ، وكذلك إن كانت منزلته من غير سلطان ، فلا تقل أنا أقعد منه في النسب ، وأنّي خير قرابته ، وهذا أمسِ كان وضيعاً ، وكان دوننا ، فإنّ الناس بأوقاتهم .

فقلت : نعم يا سيدي .

قال : ثم أقبل عليّ ، ونسّني ، وَوَلّد لي في نفسه ، القيامُ على تلك الدواب ، منزلةً .

فقال : اخرج معي إلى العمل .

وخرج ، فخرجت معه ، وكنت أسايره إلى جسر النهروان وأحادثه ، فولّد ذلك الانبساط في نفسي طمعاً فيه ، وأن أسأله شيئاً .

فذكرت بجسر النهروان ، أنّ له ضيعة جليلة عظيمة ، بنواحي الموصل، يقال لها : النهروان ، كنت أشتهيها .

فقلت له : يا سيّدي، قد [١٢١ ب] كثُرَتْ مؤونتي ، وتضاعفت نفقتي ،

فلو وهبت لي النهروان ضيعتك ، لأستعين بغلّتها على خدمتك ، ما كان ذلك منكراً .

قال : فحين سمع هذا ، تغيّظ غيظاً شديداً ، واندفع يشتمني أقبح شتيمة ، وقال : يا كلب ، سمت بك نفسك إلى أن تمتلك النهروان ؟

وقَنَّعَني بالسوط [1] الذي كان في يده ، وهو مفتول كالمقرعة ، فوقع السوط على وجهي ، فشَجّهُ من أوّله إلى آخره ، وأحسست بالنار في وجهي ، وورد ذلك على غفلة، فتداخلني له ألمٌ عظيمٌ ، وغيظٌ مما عاملني به أشدّ من الألم .

وقلت في نفسي ، ما كان هذا جوابي ، وقد كان يقنعه أن يردّني ، ولكن نيّته لي فاسدة بعد .

وقصرّت عن مسايرته ، ولحقني غلماني ، فوقفوا معي ساعة ، حتى صلحت قليلاً ، وسار هو ، ففتلت رأس دابتي ، وأنفذت من ردّ بغلين كانا لي في السواد، عليهما قماشي وثيابي وغلماني ، ورجعت أريد بغداد ، وأنا وقيذ [2] من الألم والغيظ حتى وردت بغداد .

وكان الوزير إذ ذاك عليّ بن عيسى ، وهو في غاية العناية بأبي ، وهو قلّده العمل ، وكان يجتّني ، ويكرمني ، ويختصّني ، ففكرت أن أدخل إليه ، أشكو أبي ، وأريه الأثر الذي بي .

فقصدت دارنا ، فأدخلت البغلين والقماش إلى الدار ، ولم أنزل ، وتوجهت إلى دار الوزير .

فحين نَزَلْتُ عن دابتي ، وصرت في الصحن ، ذكرت وصيّة أبي لي في أمر الأهل ، ونَدمْتُ على دخول دار الوزير ، وقلت : لأن أقبل

---

[1] قنعه بالسوط : غشاه به .

[2] الوقيذ : المحزون القلب أو العليل أو الشديد المرض .

الوصية في أبي، أولى من قبولها في الأهل ، فعملت على أن أُغالط الوزير، ولا أعرّفه .

وجئت ، فسلّمت على الوزير ، ووقفت بين يديه ، ولم تكن عادتي تجري بالجلوس [1] بحضرته .

فحين رآني أعظم الأثر الذي بوجهي ، وقال : ما لحقك ؟ وأنكره ، لأنّه كان قبيحاً جداً .

فقلت : لعبت بالصولجان والكرة ، فأفلتت ، فضربَتْ وجهي .

فقال : أليس كنت قد خرجت مع أبيك ، فلمَ رجعتَ ؟

فقلت : خرجت مشيّعاً ، فلما بَعُدَ ، عدتُ لألزم خدمة الوزير .

قال : فأخذ يسألني عن مسير أبي ، فإذا بأبي قد دخل ، وإذا هو لمّا رجعت من الطريق ، وبلَغَهُ خبر رجوعي [١٥١ ط] قد اغتاظ ، فرجَع ، إمّا ليردّني ، أو ليقبض عليّ ، وجاء إلى داره ، فعرف أنّي لم أنزل ، وأنّي توجهت إلى دار الوزير ، فلم يشكّ في أنّي قد مضيت أشكوه .

فجاء ، فوجدني أخاطبه ، فتحقّق ذلك عنده ، فجلس .

فقال له الوزير : ما ردّك يا أبا الهيجاء ؟

فقال : أيها الوزير ، ما هذا حقّ خدمتي لك ، ومناصحتي إيّاك ، وانقطاعي إليك ، وأخذ يعتب على الوزير أعظم عتب ، وأنا قائم ، ساكت ، أسمع [١٢٢ ب] .

فقال له الوزير : ما [2] هذا العتب عليّ ؟ أيّ شيء عملت ؟

فقال : تُمكّن هذا الكلب من ذكري بحضرتك ، والتبسّط فيّ .

فقال : من تعني ؟

---

١ في ب : جلوسي ، والتصحيح من ط .

٢ في ب وط : فما .

فقال : الحسن ، هذا القائم ، فعل الله به وصنع .

فقال له الوزير : يا هذا، قد وَسْوَسْتَ، أيّ شيء كان أوّل هذا ؟ والله ، ما نطق هذا الفتى في أمرك بحرف، ولا سمعته قط ذكرك بما يوجب عتباً عليه، وكيف عليّ في تمكيني منه ، ولو فعل ذلك ، لغَضّ به عندي من نفسه .

فاستحيا أبي ، وعلم أنّي لم أخاطب الوزير بشيء ، وأمسك .

فقال له الوزير : لا بدّ أن تحدّثني بما بينكما ، فإنّك ما حملت نفسك على الرجوع ، إلاّ لأمر عظيم ، وهو ذا أرى الحسَن أيضاً به أثر قبيح ، وقد سألته ، فقال : إنّ كرة أفلتت من يد غلمانٍ ضرب معهم بالصولجان فأصابت وجهه ، فوقع لي أنّه صادق ، فلمّا جئت الآن ، وقدّرت أنّه قد شكاك ، وَقَعَ لي إنّ هذا شيء من فِعلِك ، ولا بدّ أن تصدقني .

قال : فقصّ عليه أبو الهيجاء القصّة ، كما جرَتْ .

فأقبل عليه عليّ بن عيسى ، وقال : أما تستحي يا أبا الهيجاء ، أن يكون هذا قدر حلمك عن ابنك ، وأكبر ولدك ؟ فإذا كنت بهذا الطيش معه ، فكيف تكون مع الغريب ؟ وأيّ شيء كان في مسألته لك أن تهب له ضيعة؟ ولو فعلت ذلك ، ما كان ذلك بدعاً من برّ[1] الآباء بأولادهم . ولمّا لم تسمح له بذلك ، قد كان يجب أن تردّه ردّاً جميلاً ، أو قبيحاً إذا اغتظت ، وأمّا أن تبلغ به ضرب السياط ، آه ، آه .

قال : وزاد عليه في العتب والتوبيخ ، وهو مطرق مستحيي .

حتّى قال له : وليس العجب من هذا ، حتّى رجعت من عملك ، غيظاً عليه ، وقدّرت أنّه قد شكاك إليّ ، وأنّي أطلق له أن يتنقّصك ، فجئتَ عاتباً عليّ ، لِوَهْمٍ توهمته فيه .

قال : فأخذ أبي يعتذر إليه من ذلك .

---

١ في ب : أمر .

فقال : والله ، ما أقبل عذرك ، ولا تنغسل عن نفسي هذه الآثار ، إلاّ بأن تُشهد لحسن بالضيعة ، وتهبها له ، جزاء عن ظلمك إيّاه .

فقال : السمع والطاعة لأمر الوزير .

فقال لي عليّ بن عيسى : انكبّ على رأس أبيك ويده فقبّلهما .

قال : ففعَلْتُ ذلك .

وجذب عليّ بن عيسى دواته ودَرْجاً ، فأعطاهما أبا الهيجاء ، وقال : اكتب له بالضيعة ، إلى أن تُشْهد ، فكتب أبي بالضيعة لي .

وقال الوزير : خُذْ ، خُذ ، فإذا عاد إلى البيت ، فاكتب عليه العهد [بالوثيقة][1] ، وأشهد عليه جماعة من العدول ، فإن امتنع عرّفني حتى أُطالبه [١٥٢ ط] لك بذلك .

قال : وخرجنا ونحن مصطلحون .

فلما صرنا في الدهليز ، قال أبي : يا [١٢٣ب] حسن أنا علّمتك على نفسي ، بالوصيّة التي وصّيتك بها ، كأنّي بك وقد جئت لتشكوني ، فلما صرت في الدهليز ذكَرْتَ وصيّتي لك ، فقلت : لأن أستعملها مع أبي ، أولى بي ، فلما صرت في مجلس الوزير ، قلت له ما قلت ، ولم تشكني إليه .

قلت : [كذا][1] والله يا سيدي كان .

فقال : إذا كان فيك من الفضل ما قد حفظت معه وصيّتي ، في مثل هذه الحال ، فما ترى بعدها مني ما تكرهه .

فقبّلت يده ، وعدت معه إلى دارنا .

فسلّم إليّ الضيعة ، وأشهد بها لي ، وصلحت نيته بعد ذلك ، واستقامت الحال بيننا .

وكان قبول تلك الوصيّة أبرك شيء عليّ .

---

١ الزيادة من ط .

٧٨

بين ابن أبي البغل عامل أصبهان

وأحد طلاّب التصرّف

حدّثني أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني ، كاتب الأمير أبي حرب ، سند الدولة ، الحبشي بن معز الدولة [١] ، ومحلّه من النبل والجلالة والثقة ، والأدب ، والعلم ، مشهور ، قال :

كان أبو الحسين بن أبي البغل [٢] ، يتقلّد بلدنا ، فأخبرني من حضر مجلسه ، وقد دخل إليه شيخٌ قَدِمَ من بغداد ، بكتبٍ من وزير الوقت ، ومن جماعة من رؤساء الحضرة ، وإخوان أبي الحسين بها ، يخاطبونه بتصريفه [٣] ونفعه .

---

١ أبو حرب ، الأمير سند الدولة ، الحبشي بن معز الدولة بن بويه : كان على البصرة ، لما توفي والده معز الدولة ، فعصى على بختيار ، واستبد بالبصرة ، فحاصره بختيار ، وأسره ، وكان من جملة ما أخذ منه مكتبته وفيها خمسة عشر ألف مجلد ، سوى الأجزاء ، والمسرس ، وما ليس له جلد ، وحبس الحبشي برامهرمز ، فخلصه عمه ركن الدولة ، وأقطعه عضد الدولة إقطاعاً وافراً ، وتوفي سنة ٣٦٩ (تجارب الأمم ٢/٢٤٢ والكامل ٨/٥٨٣) .

٢ أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل : من رجال الدولة العباسية ، كان عاملا على أصبهان ورغب في الوزارة ، وتوسطت له أم موسى القهرمانة ، وأحس الخاقاني الوزير بذلك ، فقبض عليه ، واستنقذته أم موسى ، فأعيد إلى أصبهان ، ولما قبض على أم موسى صرف عن عمله ، وصودر أولا ، وثانياً ، واعتقل ، وكان في خشية القتل لما ورد الخبر بعزل الوزير ابن الفرات ، فكتب في تقويم لديه ، اليوم ولد محمد بن أحمد بن يحيى (يعني نفسه) وله إحدى وثمانون سنة . (تجارب الأمم ١/٢١ و٤٣ و ٨٤ و ١٤٠ ، والوزراء ٥١ – ٣٨٢) .

٣ في ب : بمضرته ، وفي ط : تصرفه ، والتصريف : التعيين في إحدى الوظائف .

فسلّم وجلس ، وأوصل الكتب ، وصادف منه ضجراً وضيقَ صَدرٍ ، وكانت إضبارة عظيمة ، فاستكثرها ابن أبي البغل ، ولم يقرأها جميعها .

فقال له الرجل : إن رأيت أن تقرأها ، وتقف على جميعها .

فصخب[1] ، وتغيّظ ، وقال : أليس كلها في معنى واحد ؟ قد والله بلينا بكم يا بطّالين[2] ، كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرّفاً ، لو كانت خزائن الأرض إليّ ، لكانت قد نَفِدَتْ .

ثم قال للرجل : يا هذا ، ما لك عندي تصرّف ، ولا إليّ عمل شاغر[3] أردّه إليك ، ولا فضل في مالي أبرّك منه [فدبّر أمرك][4] بحسب هذا .

قال : والرجل ساكت جالس ، إلى أن أمسك ابن أبي البغل .

فلما سكت ، ومضت على ذلك [ساعة][4] قام الرجل قائماً ، وقال : أحسن الله جزاءك ، وتولّى مكافأتك عنّي بالحسنى ، وفعل بك وصنع .

قال : وأسرف الرجل في شكره ، والدعاء له ، والثناء عليه ، بأحسن لفظ ، وأجود كلام ، وولى منصرفاً .

فقال ابن أبي البغل : ردّوا من خرج .

وقال له : يا هذا ، هوذا تسخر مني ؟ ، على أيّ شيء تشكرني ؟ على أياسي لك من التصرّف ، أو على قطع رجائك من الصلة ، أو على قبيح ردّي لك عن الأمرين ، أو تريد خداعي بهذا الفعل ؟

قال : لا ، ما أردت خداعك ، وما كان منك من قبيح الردّ ، غير مُنكرٍ ، فإنّك سلطان ، ولحقك ضجر .

---

١ في ط : فضجر .

٢ في ب : يا ظالمين .

٣ في ب : ساعة ، والتصحيح من ط .

٤ الزيادة من ط .

ولعلّ الأمر على ما ذكرته من كثرة الواردين عليك [١٢٤ب] وقد بَعِلْتَ[1] بمن حضر، ونحوسى أن صار هذا الردّ القبيح، والأياس الفظيع، في بابي.

ولم أشكرك إلاّ في موضع الشكر، لأنك صَدَقْتني عمّا لي عندك في أوّل مجلس، فعتقتَ عُنقي من ذلّ الطمع، وأرحتني من التعب بالغدوّ [١٥٣ط] والرواح إليك، وخدمة من أستشفع بهم عليك، وكشفت لي ما أدبّر به أمري، وبقيّة نفقتي معي، ولعلّها تقوم بتجمّلي، الذي أتجمّل به إلى بلد آخر، فإنّما شكرتك على هذا، وعذرتك فيما عاملتني به، لما ذكرته أوّلاً.

قال: فأطرق ابن أبي البغل خجلاً، ومضى الرجل.

فرفع رأسه بعد ساعة، وقال: ردّوا الرّجلَ، فردّوه.

فاعتذر إليه، وأمر له بصلة، وقال: تأخذها إلى أن أقلّدك ما يصلح لك، فإنّي أرى فيك مصطنعاً[2].

فلما كان بعد أيّام قلّده عملاً جليلاً، وصَلحَتْ حال الرجل.

---

١ بعل: تحير فلم يدر ما يصنع.

٢ الصنيع، وجمعه صنع، والصنيعة، وجمعها صنائع: الاحسان. والمصطنع: موضع الصنيعة.

٧٩

ابن أبي البغل يأمر بإشخاص أحد عماله لكي يقطع سحاة كتاب

حدّثني أبو القاسم[١] ، قال :

كانت في أبي الحسين ابن أبي البغل[٢] ، منافرة ومناكدة[٣] .

فورد عليه يوماً ، كتابٌ من عامل له ، من بلد بينه وبينه فراسخ كثيرة ، وقد سحاه بسحاة[٤] غليظة .

واجتهد أبو الحسين في قطع السحاة بيده ، وجهد جهداً شديداً ، فما كان له إلى ذلك طريق ، فترك الكتاب ، ووقّع بإشخاص العامل ، ومضى اليوم .

فلما كان بعد أيّام ، قدم العامل ، فلما جلس بين يديه ، قال لصاحب الدواة :

أين ذلك الكتاب الذي ورد منه بالأسحاة الغليظة ؟ فأحضره .

فقال له : اقطع هذه الأسحاة .

فرامها العامل ، فلم يكن فيها حيلة ، فأخذ سكّيناً من [دواة][٥] بعض الكتّاب بحضرته ، فقَطَعها .

---

١ أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني .

٢ أبو الحسين ابن أبي البغل : ترجمته في حاشية القصة ٢ / ٧٨ من النشوار .

٣ المناكدة : التعسير والتضييق .

٤ السحاة : قطعة مستطيلة من الورق ، يلف الكتاب ، ثم تلف عليه ، ويلصق طرفها . راجع ماكتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٧ م ٣ .

٥ الزيادة من ب .

فقال له : ارجع الآن إلى عملك ، فإنّما دعوتك[1] لتقطع هذه الأسحاة . وأعلمك أنّك في أيّ وقت سحيت كتاباً لك بمثلها ، أنّي أستحضرك لتقطعه .

فردّه في الحال إلى عمله ، وما تركه [أن][2] يقيم [ولا][2] ساعة ، ولا سأله عن شيء من أمره .

---

١ في ط : استدعيتك .

٢ الزيادة من ط .

٨٠

لابن بشر الآمدي يهجو قاضي البصرة

كان قد وَلي القضاء بالبصرة ، في سنة ست [١] وخمسين وثلثمائة [٢]، رجل لم يكن عندهم بمنزلة من صرف به ، لأنه ولي صارفاً لأبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي [٣] ، فقال فيه أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي [٤] ، كاتب القاضيين أبي القاسم جعفر [٥] ، وأبي الحسن محمد بن عبد الواحد :

رأيت قلنسيـة [٦] تستغيث   من فوق رأس تنادي خذوني
وقد قلقت فهي طوراً تميل   من عن يسار ومن عن يمين
فقلت لها أيّ شيء دهاك   فردّت بقول كئيب حزين
دهاني أن لست في قالبي   وأخشى من الناس أن يبصروني
وأن يعبثوا بمزاح معـي   وإن فعلوا ذاك بي قطّعوني
فقلت لها مرّ من تعرفين   من المنكرين لهذي الشؤون[١٢٥ب]
ومن كان يشهق أمّا رآك   ويخرج من جوفه كالرنين
ومن كان يصفع في الله لا   يملّ ويشتدّ في غير لين
ويسلح ملأك كيل التمام   إمّا على صحة أو جنون
ففارقهـا ذلك الانزعاج   وعادت إلى حالها في السكون

---

١ في ط : نيف .   ٢ في عهد بختيار بن معز الدولة البويهي .
٣ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي القاضي : راجع حاشية القصة ٢/٣٠ من النشوار .
٤ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي : ترجمته في حاشية القصة ١ / ٣٨ من النشوار .
٥ القاضي أبو القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي : كان يلي قضاء البصرة قبل أخيه أبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي ، وكان يكتب له على الوقوف أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، راجع حاشية القصة ١/٣٨ من النشوار .
٦ القلنسية والقلنسوة : لباس الرأس للقضاة والفقهاء .

٨١

أبو رياش الشاعر يعاتب الوزير المهلبي

أنشدني أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي [١]– ومحلّه من علم اللغة [١٥٤ط] والشعر ، المحلّ المعروف – لنفسه في أبي محمد المهلّبي [٢] ، وكان امتدحه ، فتأخرّت عنه صلته ، وطال [٣] إليه تردده ، على ما أخبرني به أبو رياش .

قال : فقلت :

وقائلة قد مدحت الوزير ... وهو المؤمّل والمستماح
فماذا أفادك ذاك المديح ... وهذا الغدوّ معاً والرواح
فقلت لها ليس يدري امرؤ ... بأيّ الأمور يكون الصلاح
عليّ التقلّب والاضطراب ... جهدي وليس عليّ النجاح

١ أبو رياش أحمد بن إبراهيم، قال عنه الثعالبي في اليتيمة : كان باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، آية في هذّ دواوينها وسرد أخبارها ، مع فصاحة وبيان ، وإعراب وإتقان ، توفي في السنة ٣٣٩ (معجم الأدباء ١ / ٧٤) .

٢ أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي ، وزير معز الدولة : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١ من النشوار .

٣ في ب : هال ، والتصحيح من ط .

٨٢

بين أبي العباس بن دينار

وأبي يحيى الرامهرمزي

سمعت أبا يحيى زكريا بن محمد بن زكريّا الرامهرمزيّ ، يحدّث أبي [١] ، قال :

كان أبو العباس عبيد الله بن دينار ، صديقي ، [كما علم القاضي] [٢] وكان مقيماً عندنا برامهرمز [٣] .

فلحقَتْهُ إضاقة ، فضيّق على عياله ، فأنفذوا إليّ أساورة ودمالج وخلاخل ذهب ، واقترضوا عليها ثلثمائة دينار ، فأقرضتهم .

ومَضَتْ شهور ، وجاء الديلم يريدون البلد ، وخرج بجْكَمْ إليهم ، فتهارب الناس منهم ، وعملنا على الهرب متى انهزم بجكم ، فما كان بأسرع من أن جاءنا منهزماً [٤] ، فطار الناس على وجوههم .

وقال أبو العباس لحرمه : أخرجوا ، فتباطؤوا بسبب حليهنّ .

فلما زاد عليه الأمر ، دخل ، فقال : ما لكم ؟ إن كنتم قد صادقتم صديقاً ، فأقيموا ، وعرّفوني لأهرب وحدي ، وإن كنتم اتخذتم حبّةً [٥] ،

---

١ القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي .

٢ الزيادة من ط .

٣ رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان يجتمع فيها النخل والجوز والأترج ، ولا يجتمع بغيرها من مدن خوزستان (معجم البلدان ٢ / ٧٣٨) .

٤ كان ذلك سنة ٣٢٦ (تجارب الأمم ١/٣٧٧) .

٥ الحبة هي الحبيبة .

فاحملوها معنا ، وإلاّ فالسيف قد لحق بنا ، فما هذا التباطؤ [1] عن الهرب ، لنُدْرَك .

فحدّثوه بحديث الحلي ورهنه ، فكتب إليّ :

بسم الله الرحمن الرحيم [يا أبا يحيى ، جعلت فداك] [2] ،

سَلَبْتَ الجواري حليهنّ فلم تَدَعْ سواراً ولا طوقاً على النحر مذهبا

فاستحييت منه ، وبعثت بالحلي ، فأخذه ، ورحل بجواريه ، ورحلنا .

ودخل الديلم البلد [3] .

---

١ في ب وط : التباطي .

٢ الزيادة من ط .

٣ تجارب الأمم ١ / ٨٠ والكامل ٨ / ٣٤٠ .

٨٣

حجر خاصّيته طرد الذباب

حدّثني أبو أحمد[1] عبد الله بن عمر الحارثي، قال: حدّثني رجل خراساني[2] من بعض أصحاب الصنعة، ممن كان يعرف الأحجار الخواصيّة، قال:

اجتزت برهداريّ[3] بمصر، فرأيت عنده حجراً أعرفه، يكون وزنه خمسة دراهم، مليح المنظر، وقد جعله بين يديه [في جملة][4] قماشه.

وكنت أعرف أن خاصيته في طرد الذباب، وكنت في طلبه منذ سنين كثيرة.

فحين رأيته ساومته فيه، فاستام عليّ به خمسة دراهم [١٢٦ ب] فلم أماكسه ودفعتها إليه صحاحاً.

فلما حصلت في يده، وحصل الحجر في يدي، أقبل يَطْنز بي[5]، ويَسْخَرُ منّي.

ويقول: يجون[6] هؤلاء الحمير، لا يدرون أيش يعطون، ولا أيش يأخذون، والله، إنّ هذه الحصاة رأيتها منذ أيام مع صبيّ، فوهبت له دانق فضّة، وأخذتها، وقد اشتراها هذا الأحمق مني بخمسة دراهم.

فرجعت إليه، وقلت له: يجب أن أعرّفك أنّك أنْتَ الأحمق، لا أنا.

قال: كيف ؟

---

١ في ب وط: محمد، والصحيح ما أثبتناه.

٢ في ط: خوارزمي.

٣ الرهداري: راجع حاشية القصة ٦١/١ من النشوار.

٤ الزيادة من ط.

٥ الطنز: السخرية.

٦ في ب: تخون، والتصحيح من ط، ويجون: لغة بغدادية في يجيئون.

قلت : قم معي ، حتّى أعرّفك ذلك .

فأقمته ومضينا[1] ، حتّى اجتزنا بكسّار[2] يبيع التمر في قصعة ، والذباب محيط بها .

فنحّيت الرجل بعيداً من [١٥٥ط] القصعة ، وجعلت الحجر عليها ، فحين استقر عليها طار جميع الذباب .

وتركته ساعة ، وهي خالية من ذبابة واحدة فما فوقها ، ثم أخذت الحجر فرجع الذباب ، ثم رددته ، فطار الذباب .

ففعلت ذلك ثلاث مرات ، ثم خبأت الحجر .

وقلت : يا أحمق ، هذا حجر الذباب ، وأنا قدمت في طلبه من خراسان ، يجعله الملوك عندنا على موائدهم ، فلا يقربها الذباب ولا يحتاجون إلى مذبّة ، ولا إلى مروحة ، والله ، لو لم تبعني إيّاه إلاّ بخمسمائة دينار ، لاشتريته منك .

قال : فشهق شهقة ، قدّرت أنّه تَلَفَ ، ثم أفاق منها بعد ساعة ، وافترقنا .

وخرجت بعد أيّام إلى خراسان والحجر معي ، فبعته على نصر بن أحمد أميرها[3] بعشرة آلاف درهم .

---

١ في ط : ومشينا .

٢ الكسار : من صغار الباعة ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٧ م ٣ .

٣ الأمير نصر بن أحمد الساماني (٢٩٣-٣٣١) : أبو الحسن ، الملقب بالسعيد ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، ولد وتوفي ببخارى ، وكان ذكياً مقداماً ، وحكم خراسان ، وجرجان والري ، ونيسابور ، مات بالسل (الأعلام ٨/ ٣٣٨) .

٨٤

يوسف بن وجيه صاحب عمان

يُذْعِنُ لحكم مستشاريه

حدّثني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد العسكري ، قال :

كان عندنا بعسكر مكرم[١] شيخ أصبهاني مشهور يعرف بالكافوري ، يتّجر في الجوهر ، وكان حسن البصيرة بها .

فأخبرني إنّه اشترى فصّين ، وباعهما مالكهما على أنّهما بجاذيان[٢] ، ولم يعرفهما ، قال : فعرفتهما أنا ، وعلمت أنّهما بلخش، وهو جنس يشبه الياقوت الأحمر ، فاشتريتهما منه بثلثمائة درهم[٣] ، وجلوتهما بالبصرة ، فخرج لهما من الماء أمر عظيم .

واتفق أن خرجت إلى عُمان[٤] ، وهما معي ، فعرضتهما على يوسف ابن وجيه ، الأمير[٥] ، وادعيت أنّهما ياقوت أحمر ، فعرضهما[٦] لكل جوهريّ ، فكانوا يصدّقونني .

فابتاعهما مني ، بعد خطوب طويلة ومراوضات ، بخمسين ألف درهم ، وقبضت الثمن .

---

١ عسكر مكرم : راجع حاشية القصة ١٧٦/١ من النشوار .

٢ بجاذي : راجع حاشية القصة ١٢/١ من النشوار .

٣ في ط : بثلثمائة دينار .

٤ عمان : كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، قصبتها صحار (معجم البلدان ٧١٧/٣) .

٥ يوسف بن وجيه : أمير عمان ، هاجم البصرة مرتين ، بينهما عشر سنوات ، الأولى في السنة ٣٣١ وحارب البريدي ، وملك الأبلة ، وقارب أن يملك البصرة ، ثم أحرقت مراكبه ، فرجع ، والثانية في السنة ٣٤١ حيث حاصرها مستعيناً بالقرامطة ، ولم يوفق ، وعاد إلى عمان (الكامل ٣٩٩/٨ – ٥٦٥) .

٦ في ب وط : فوصفهما .

ثم شكّ فيهما ، فأحضرني ، وطالبني بالمال .

فقلت : إن كُنْتَ تريد أخذ المال باليد والقدرة ، فأنت السلطان مالي بك قوّة ، وإن كنت تريد أخذه بحجّة ، فبيني وبينك أهل الصنعة .

فقال : ليس بعمان من أثق بعلمه[1] .

فقلت له : فسرنديب قريبة منك ، وهي المعدن [١٢٧ ب] فأنفذهما إلى هناك ، فإن قيل إنّهما ليسا بياقوت ، رَدَدْتُ المال .

ووضعت في نفسي أن أتّجر في المال ، إلى أن ينكشف الأمر ، فأربح فيه مالاً ، ثم أردّ عليه أصل ماله .

قال : فضمّنني المال على الشرط والمقام[2] ، وأنفذ الفصّين .

فلما كان بعد سنة ، أو قريباً منها ، أحضرني ، وأخرج كتباً إليه من [وكيله][3] هناك ، يذكر فيها أنّه جمع أهل الصنعة بسرنديب كلّهم ، وعرض عليهم الفصّين ، فقالوا : هما ياقوت أحمر ، إلاّ أنّه فيه رخاوة ، ولو كان أصلب من هذا ، ما كان له قيمة ، وانّ هذا ياقوت ليس [هو من][3] هذا المعدن .

فقرأت الكتب .

فقال : ردّ المال .

فقلت : ما يلزمني ، ما بعتك على أنّهما من معدن سرنديب ، أو غيره من المعادن ، ولا على أنّهما صلبان أو رخوان ، وقد شهد أهل المعدن أنّهما ياقوت ، وقد نعتوهما بالرخاوة ، وقالوا إنّه لولا هذا العيب ، ما كان لهما قيمة .

---

١ في ط : إليه ، وفي ب : بعمله . والتصحيح من مرجليوث .

٢ الشرط : قبول الرأي الذي يشتمل عليه الجواب الوارد من سرنديب ، والمقام : أن يبقى مقيماً بعمان حتى يرد الجواب .

٣ الزيادة من ط .

ولولا هذا العيب ، ما بعتك بخمسين ألف دينار ، وأنا [١٥٦ ط] تاجر ، قد قصدت بلدك ، فلا تظلمني .

فقال لمن بحضرته ؛ ما تقولون ؟

فقالوا : نحن معه .

فأفرج عنّي .

٨٥

سلب دنانيره ثم استعادها بدرهمين

وحدّثني أيضاً الحارثيّ ، عمّن حدّثه ، قال :

سافرتُ في بعض الجبال ، وكان معي دنانير خفت عليها ، فأخذت قناة مجوّفة ، وجعلت في أنبوبة منها الدنانير ، حتّى امتلأت بها ، فلم تجلجل [١] ، ولا جاء لها صوت ، ثم صببتُ في رأسها الرصاص [الحار] [٢] ، حتى خَفَيَ أمرها ، والتزَقَتْ ، وجعلت فيها حلقة وسيراً [٣] ، وكنت أمشي وأتوكّأ عليها .

فخرج علينا اللصوص والأكراد ، في عدّة مواضع ، وأخذوا كلّ ما كان في القافلة ، ولم يعرض لي أحد .

إلى أن خرج علينا آخر دفعة ، لصوص رجّالة ، فشلحونا ، فرأى أحدهم عكّازي ، فاستملحها ، وأخذها .

فلحقني من الجزع عليها ، بسبب الدنانير ، أمر عظيم .

---

١ في ط : فلم تتخلخل .

٢ الزيادة من ط .

٣ السير : قدة من الجلد مستطيلة ، والكلمة لم تزل مستعملة في بغداد .

فأخذ أهل القافلة، يتلهّون بي[1] ، ويقولون : معنا من ذهبت منه الأموال والأمتعة ، ما قَلِق[2] قلقك على خَشبة ، وأنا ممسك . لا أصرّح بما كان فيها .

قال : وتمادى السفر بنا ، إلى أن وصلت إلى مقصدي ، فبقيت منقطعاً [بي][3] ، واحتجت إلى أن تصرّفت ببدني[4] في بعض المهن نحو سنة .

فلما كان بعد سنة ، اجتزت برهداري[5] على الطريق ، وإذا بين يديه قناة تشبه قناتي . وتأمّلتها فإذا هي [هي][3] ، ورَطلْتُها فإذا ثقلها بحاله .

فقويت نفسي ، وقلت للرجل : تبيعني إيّاها ؟

فقال : نعم .

فقلت : بكم .

فقال : بدرهمين .

ولم أكن أملك غيرهما ، فقلت : أعطيه إيّاهما على الله تعالى[6] ، فإن كان مالي فيها فقد فُزْتُ ، وإلاّ أبلي عذراً بيني وبين نفسي .

فأعطيته الدرهمين ، وأخذت العكّاز ، وصعدت [١٢٨ ب] إلى مسجد، وطلبت أشفى[7] من بعض الأساكفة ، وأصعدت به معي إلى المسجد ، وشَقَقْتُ العصا ، فإذا بدنانيري قد خرجت عليّ بعينها .

فأخذتها ، ورميت القناة ، وحمدت الله تعالى على حفظ ذلك عليّ .

وانصرفت فتجهزّت ، وخرجت إلى بلدي بتجارة ومَير[8] .

---

١ يتلهون بي : يسخرون مني .

٢ قلق : اضطرب وانزعج .

٣ الزيادة من ط .

٤ في ط : بيدي .

٥ رهداري : راجع حاشية القصة ١ / ٦١ من النشوار .

٦ أعطيه إياهما على الله : تعبير بغدادي لم يزل مستعملا يقوله من يتصرف تصرفاً فيه مجازفة .

٧ الأشفى : المثقب والمخرز .

٨ في ب وط : وخير .

٨٦

امرأة تدعي أن زوجها

كان يعشق السراويلات

حدّثني أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب [١] ، قال :

مات عندنا بالأنبار ، فلان ، وأسماه ، وكان عظيم النعمة ، وافرَ المروءةِ ، كثير الثيابِ ، وكان لكثرتها ، يحصّل كلّ فنّ منها في عدّة صناديق .

وكانت دراريعه الدبيقيّة [٢] مفردة ، والدراريع الديباج مفردة ، وكذلك القُمُصُ ، والسراويلات ، والجِباب ، والطيالسُ ، والعمائمُ .

قال : وكان له بنو عمّ ورثوه ، وأمّ وَلَدٍ قد تزوّجها .

فلما مات ، أخرجت جميع آلاته ، وقماشه ، وثيابه ، إلاّ اليسير ، من الدار ، فخبأته .

وذهب عليها صناديق السراويلات ، فلم تخرجها ، وجاء بنو العمّ ، فختموا على الخزائن .

فلمّا انقضت المصيبة [٣] ، فتحوها ، فوجدوها أخلى من فؤاد أمّ موسى [٤] ،

---

١ أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب : كان يكتب لأبي يوسف البريدي ، ثم التحق بخدمة معز الدولة ، وتحقق بالوزير المهلبي ، وتزوج ابنته ، واستخلفه بالحضرة لما بارحها إلى البصرة (القصة ١/٢٩ ، و٢/١٩٢ من النشوار ، وتجارب الأمم ٢/١٢٤) .

٢ الدبيقية : ثياب منسوبة إلى دبيق ، بلدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر (معجم البلدان ٢ / ٥٤٨) .

٣ المصيبة : أيام العزاء ، وهو ما يسمى في العراق اليوم : مجلس الفاتحة .

٤ تستند هذه الكناية إلى الآية الكريمة « واصبح فؤاد أم موسى فارغاً »١٠ ك القصص ٢٨ .

فخاصموها إلى قاضي البلد ، فلم تنقطع الخصومة .

فدخلوا الحضرة[1] ، وتظلّموا منها فأشخصت ، وحُمِلَتْ [١٥٧ ط] إلى القاضي أبي جعفر بن البهلول ، ووقّع إليه بالنظر فيما بينهم على طريق المظالم .

فحضروا عنده وأخذ يسائلهم عن دعواهم[2] ، وهي منكرة جميعها .

فقالوا له : أيّها القاضي ، فلان أنت أعرف الناس [بعظم][3] مروءته وثيابه ، وما كنت تشاهده له ، وكلّه كان في يدها له .

وساعة مات ختمنا خزائنه ، وهي كانت في الدار ، ولمّا فتحناها لم نجد له فيها إلاّ عدّة صناديق فيها سراويلات ، وقطعاً يسيرة من ثيابه .

فأين مضى هذا ؟ ومن أخذه ؟ وما السبب في عظم السراويلات وقلّة الثياب ؟

قال : فأقبلت الجارية محتدّة ، كأنّها قد اعدّت الجواب ، فقالت : أعزّ الله القاضي ، أما سمعت ما حكاه الجاحظ من أنّ رجلاً كان يعشق الهواوين[4] ، فجمع منها مائتي هاوَن ، هذا كان يعشق السراويلات .

قال : فضحك القاضي أبو جعفر ، وانفضّ[5] المجلس عن غير شيء .

فما انتصفوا منها بعد ذلك .

---

١ الحضرة والحاضرة : المدينة الكبيرة ، وهي هنا تعني دار المملكة .

٢ في ط : يسائلها عن دعواها .

٣ الزيادة من ط .

٤ الهواوين : مفردها هاون : يدق فيها الدواء ، فارسية (الألفاظ الفارسية المعربة ١٥٩) أقول : والكلمة مستعملة في العراق وتطلق على أداة من النحاس أو الشبه يدق فيها ما يحتاج إلى دقه من ملح وحمص وفلفل لتحضير الطعام .

٥ في ط : وانقضى .

٨٧

ينكر الدين ، ويأبى أن يحلف اليمين

تقدم إليّ رجلان، بالأهواز ، فادعى أحدهما على الآخر حقّاً . فأنكره . فسألته[١] ، وقلت : أتحلف ؟

فقال : ليس له عليّ شيء ، فكيف أحلف ؟ لو كان له عليّ شيء ، حلفت له ، وأكرمته .

---

١ في ط : وسأل يمينه .

٨٨

بحث في الرباب

بين القاضي وأحد العدول

سمعت القاضي أبا القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشميّ ، يقول : كنت بحضرة القاضي أبي عمر ، بعد قبوله شهادتي بمدّة ، على خلوة وأنس ، فجرى حديث الملاهي .

فقلت : فلان [١٢٩ ب] يضرب بالرّباب [١] .

قال : فصاح عليّ القاضي أبو عمر ، وقال : هاه ، هوذا تهزأ بنا، هوذا تتمسّس علينا ؟ ما هذا الكلام ؟

فقلت : ما هو أيّد الله القاضي ؟ فوالله ، ما أدري أنّي قلت شيئاً يتعلّق بما قاله القاضي .

فقال : قولك يَضربُ ، كأنّك لا تعلم أنّ الرباب يجرّ حتّى يسمع [٢] صوته ، ولا يضرب به .

فحلفت له بأيمان مغلظة أنّي ما علمت هذا ، ولا رأيت الرباب قط .

فقال : إنّ هذا أقبح، سبيل الصالح أن يعلم طرق الفساد ليجتنبها على بصيرة ، لا على جهل .

فعدت إلى داري ، فقلت لسائس كان معي : ويلك اطلب لي رَبابيّاً [٣] .

فطلبه ، وجاء به ، فجرّه بين يدي ، فرأيته ، فكان ما قاله أبو عمر صحيحاً .

---

١ الرباب آلة موسيقية ذات وتر واحد ، يجر عليه ما يشبه القوس فيحدث أصواتاً تصاحب الغناء ، وفي العراق مثل عامي يضرب لمن لجّ في المطالبة أو في الكلام ، فيقال : سواها ربابه .

٢ في ب : يجيء .

٣ في ب : رباباً ، والربابي : الذي يجر الرباب .

٨٩

القاضي أبو عمر يتردد في قبول شهادة شاهد

تظاهر بالانزعاج من رائحة الخمر

قال :

واجتاز أبو عمر [١] بطريق قد كُسِرَ فيه دنّ خمر ، ومعه بعض الشهود ، فقال الشاهد : شه ، شه ، أفّيه ، أفّيه [٢] ، فأمسك عنه .

فلما جاء في المجلس ليقيم شهادة لزمته ، توقّف عن استماعها ، فقامت قيامة الشاهد ، وطرح عليه من يسأله .

فقال : هذا كذّاب أو جاهل، فلا يسعني قبوله، وذكر حديث الخمر .

وقال : ليس تحريمها يقلب رائحتها من الطيب إلى النتن ، حتى يقول هذا ما قاله ، وما قاله إلاّ وهو يعلم أنّ رائحتها طيبة ، فنمّس وكذب ، أو هو جاهل بهذا القدر ، فلا أقبله .

---

١ أبو عمر : القاضي محمد بن يوسف الأزدي، ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٠ من النشوار.

٢ تغير التعبير البغدادي عن أيام أبي عمر القاضي ، فإن (شه ، شه) الآن ، تعبير عامي بغدادي عن الشعور بالبرد، كما أن (أفيش ، أفيش) بالشين المثلثة ، تعبير عامي عن الرائحة الطيبة . أما التعبير عن الرائحة الكريهة فهو (إف . إف) .

٩٠

قوّاد ابن قوّاد

حدّثني[١] أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد[٢] [١٥٨ط] ، قال : حدّثني بعض الكتّاب ، قال :

سافرت وجماعة من أصدقائي ، نريد مصرّ للتصرّف .

فلما حصلنا بدمشق ، كان معنا عدّة بغال ، عليها ثَقَلٌ وغلمان لنا ، ونحن على دوابّنا ، أقبلنا نخترق الطرق[٣] [لا ندري أين ننزل][٤] .

فاجتزنا برجل شاب ، حسن الوجه والثياب ، جالس على باب دار شاهقة ، وفناء فسيح ، وغلمان بين يديه وقوف .

فقام إلينا ، وقال : أظنّكم على سفر ، ووردتم الآن ؟

فقلنا : نحن كذلك .

فقال : فتنزلون عليّ .

وألحّ علينا ، وسألنا ، فاستحيينا من محله ، وحسن ظاهره ، وهيبته[٥] ، وحططنا على بابه ، ودخلنا .

وأقبل[٦] أولئك الغلمان ، يحملون ثقلنا ، ويدخلونه الدار ، ولا يدعون أحداً من غلماننا يخدمنا، حتّى حملوه بأسره ، في أسرع وقت .

---

١ وردت القصة في ثمرات الأوراق للحموي ، طبعة الحلبي حاشية على المستطرف ، ص ١٦٦ .
٢ هو يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلي .
٣ في ب : الأزقة .
٤ الزيادة من ط .
٥ في الثمرات : وهيئته .
٦ في ب : ودخل .

وجاءُونا بالطساس والأباريق ، فغسلنا وجوهنا ، وأجلسونا في مجالس حسنة ، مفروشة بأنواع الفرش الذي لم نر مثله .

وإذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر ، وفيها دور عدة ، وبستان عظيم ، وصاحب المنزل يخدمنا بنفسه .

وعرض علينا الحمّام ، فقلنا نحن محتاجون إليه ، فأدخلنا إلى حمام في الدار [في نهاية السرو ، ودخل إلينا غلامان أمردان وضيئان ، في نهاية الحسن][1] فخدمانا بدلاً [١٣٠ ب] من القيّم [والمزين][2] ، وأخرجنا من الحمام ، إلى غير ذلك المجلس ، فقدّم إلينا مائدة حسنة جليلة ، عليها من الحيوان ، وفاخر الطبيخ[3] ، والألوان ، ونادر الخبز ، وغريب البوارد ، وكلّ شيء .

وإذا بغلمان مرد ، في نهاية الحسن والزيّ ، قد دخلوا إلينا ، فغمزوا أرجلنا ، فلحقنا من ذلك، مع الغربة وطول العهد بالجماع ، عَنَتٌ، فأمرناهم بالانصراف ، وفينا من لم يستحلّ التعرّض لهم ، وتعفّف[4] عن ذلك ، لنزولنا على صاحبهم .

ثم انتبهنا ، فنقلنا إلى مجلس آخر على صحنين ، في أحدهما بستان حسن ، فأخرج إلينا من آلات النبيذ كل طريف [ظريف][5] ، وأحضر من الأنبذة ، كل شيء طيّب حسن .

وشربنا أقداحاً يسيرة ، ثم ضرب بيده إلى ستارة ممدودة ، فإذا بجوار

---

١ وردت في ط .

٢ الزيادة من ب .

٣ في ط : الطعام .

٤ في ب : ويظلف ، وفي ط : وتطرف ، وفي الثمرات : وتعففنا .

٥ الزيادة من ط .

خلفها، فقال : غنّوا، فغنّى الجواري اللواتي كنّ خلفها، أحسن غناء وأطيبه .

فلما توسّطنا الشرب ، قال : ما هذا الاحتشام لأضيافنا أعزّهم الله ؟ أخرجن ، وهتك الستارة .

قال : فخرج علينا جوار لم نر قط أحسن ، ولا أملح ، ولا أظرف منهنّ، من بين عوّادة ، وطنبوريّة [1] ، وكرّاعة [2] ، وربابيّة ، وصنّاجة [3] ، ورقّاصة ، وزفّانة [4] ، بثياب فاخرة وحَلْيٍ ، فغنّيننا ، واختلطن بنا في المجلس والجلوس ، وكان تجنّبنا أشدّ، وانقباضنا أكثر ، وضبطنا أنفسنا أعظم .

فلما كدنا أن نسكر ، ومضت قطعة من الليل ، أقبل صاحب الدار علينا ، وقال : يا سادة ، إنّ تمام الضيافة ، وحقّها ، الوفاء بشرطها ، وأن يقيم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج إليه ، من طعام ، وشراب [١٥٩ ط] ، وجماع ، وقد أنفذت إليكم نصف النهار [5] بالغلمان، فأخبروني بعفافكم عنهم ، فقلت : لعلّهم أصحاب نساء ، فأخرجت هؤلاء [6] ، فرأيت من انقباضكم عن ممازحتهنّ ، ما لو خلوتم بهنّ ، كانت الصورة واحدة ، فما هذا ؟

---

١ في ثمرات الاوراق بدل طنبورية : زامرة .

٢ الكراعة : المغنية على طبل صغير ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٧ م ٣ .

٣ الصناجة : الضاربة بالصنج ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٧ م ٣ .

٤ الزفن : الرقص مع ضرب الرجل على الأرض ، وهو ما يسمى الآن بالدبكة ، وفي ثمرات الأوراق : دفافة ، أي ضاربة بالدف ، بدل زفانة ، راجع ما كتبه أحمد تيمور ، في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٧ م ٣ .

٥ في ب : نصف الليل ، والتصحيح من ط .

٦ في ب : هذي ، والتصحيح من ط .

قلنا : يا سيّدنا ، أجللناك عن ابتذال[1] من في دارك لهذا ، وفينا من لا يستحلّ الدخول في الحرام .

فقال : هؤلاء مماليكي ، وهنّ أحرار لوجه الله إن كان لا بدّ[2] من أن يأخذ كلّ واحد منكم بيد واحدة منهنّ ، ويتمتّع ليلته بها ، فمن شاء زوّجته بها ، ومن شاء غير ذلك ، فهو أبصر ، لأكون قد قضيت حقّ الضيافة .

فلمّا سمعنا هذا ، وقد انتشينا ، طربنا ، وفرحنا ، وصحنا ، وأخذ كلّ واحد منّا واحدةً ، فأجلسها إلى جانبه ، وأقبل يقبّلها ، ويقرصها ، ويمازحها .

فتزوّجت أنا بواحدة منهنّ ، وغيري ممّن رغب في ذلك ، وبعضنا لم يفعل .

وجلس معنا بعد هذا ساعة ، ثم نهض .

فإذا بخدم قد جاءوا ، فأدخلوا كلّ واحد وصاحبته ، إلى بيت في نهاية الحسن [١٣١ ب] والطيب ، مفروش بفاخر الفرش ، وفيه برذعة وطيّة سريّة[3]، فبخّرونا عليها ، ونوّمونا ، والجواري إلى جنوبنا ، وتركوا معنا شمعة في البيت ، وما نحتاج إليه من آلة المبيت ، وأغلقوا ، وانصرفوا ، فبتنا في أرغد[4] عيش ليلتنا .

---

١ في ب وط وثمرات الأوراق : تبذل .

٢ في ب وط وثمرات الأوراق : بد .

٣ الأصل في البرذعة ، إنها كساء يلقى على ظهر الدابة ، والظاهر أنه استعير للفراش الذي يوضع في الحجرة من أجل الراحة أو الاستمتاع . ووطية : لينة ، وسرية : الفاخرة قماشاً وصناعة .

٤ في ب : أنعم .

فلما كان السحر ، باكرنا الخدم ، فقالوا : ما رأيكم في الحمّام ؟ فقد أصلح ، فقمنا ودخلناه ، ودخل المرد معنا ، فمنّا من أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع عنه بالأمس .

وخرجنا ، فبخّرونا بالند العتيق[1] ، وعطّرونا[2] بماء الورد والمسك والكافور ، وقدمت إلينا المرايا المحلاّة[3] .

وأخبرنا غلماننا ، إنّ صورتهم في ليلتهم ، كانت كصورتنا ، وإنّهم أتوا بجواري الخدمة الروميّات ، فوطئوهن .

فأقبل بعضنا على بعض ، نعجب من قصّتنا ، وبعضنا يخاف أن تكون حيلة ، وبعضنا يقول : هذا في النوم نراه ؟

ونحن في الحديث ، إذ أقبل صاحب الدار ، فقمنا إليه ، وأعظمناه ، فأخذ يسألنا عن ليلتنا ، فوصفناها له ، وساءلنا عن خدمة الجواري لنا ، فحمدناهنّ عنده .

فقال : أيّما أحب إليكم ، الركوب إلى بعض البساتين للتفرّج إلى أن يدرك الطعام ، أو اللعب بالشطرنج ، والنرد ، والنظر في الكتب[4] ؟

فقلنا : أما الركوب فلا نؤثره ، ولكن اللعب بالشطرنج والنرد والدفاتر ، فأحضرنا ذلك ، وتشاغل كلّ منّا بما اختاره .

ولم تكن إلاّ ساعتين أو ثلاثة من النهار ، حتّى أحضرنا مائدة كالمائدة الأمسيّة[5] ، فأكلنا ، وقمنا إلى الفُرُشِ ، وجاء الغلمان المرد ، فغمزونا ، وغمزهم منّا من كان يدخل في ذلك ، وزالت المراقبة .

---

١ في ثمرات الأوراق : الفتيق ، وكلاهما صحيح ، فالند العتيق أذكى رائحة ، والفتيق ما فاحت رائحته .

٢ في ب وط وثمرات الأوراق : و أعطينا .

٣ في ط : المجلاة .

٤ في ط : الدفاتر .

٥ المائدة الأمسية : يعني مائدة الأمس .

وانتبهنا فحملنا إلى الحمّام ، وخرجنا فتبخّرنا ، وأجلسنا في مجلسنا بالأمس .

وجاء أولئك الجواري ، ومعهنّ غيرهنّ ، ممّن هنّ [١٦٠ ط] أحسن منهنّ ، فقصدت كلّ واحدة ، صاحبها بالأمس ، بغير احتشام ، وشربنا إلى نصف الليل ، فحملن معنا إلى الفُرُشِ .

فكانت حالنا هذه أسبوعاً .

فقلت لأصحابي : ويحكم ، أرى الأمر يتّصل ، ومن المحال أن يقول لنا الرجل ارتحلوا عنّي ، وقد استطبتم أنتم مواضعكم ، وانقطعتم عن سفركم ، فما آخر هذا ؟

فقالوا : ما ترى ؟

قلت : أرى أن نفاتش الرجل، فننظر إيش هو ؟ فإن كان ممّن يقبل هديّة أو برّاً، عملنا على تكرمته وارتحلنا ، وإن كان بخلاف ذلك ، كنّا معتقدين له المكافأة في وقتٍ ثانٍ ، وسألناه أن يحضرنا من نكتري منه، ويبذرقنا[1]، ورحلنا .

فتقرّر رأينا على هذا .

فلمّا جلسنا تلك العشيّة على [١٣٢ب] الشرْبِ قلت له : قد طال مقامنا عندك، وما أضاف أحدٌ أحداً أحسن ممّا أضفتنا ، ونريد الرحيلَ إلى مصر لما قصدناه ، من[2] طلب التصرّف ، وأنا فلان بن فلان ، وهذا فلان ، فعرّفت نفسي والجماعة ، وقد حمّلتنا من أياديك ومِنَنِكَ ، ما لا يسعنا معه أن نجهلك[3] ، ويجب أن تعرّفنا نفسك ، فنبث شكرك ، ونقضي حقّك ، ونعمل على الرحيل .

---

١ البذرقة : الخفارة : راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٨ م ٣ .

٢ في ب : في .　　　٣ في ب : نحمد لك ، والتصحيح من ط .

فقال : أنا فلان بن فلان ، أحد أهل دمشق ، فلم نعرفه ، فقلنا : إن رأيت أن تزيدنا في الشرح .

فقال : جعلت فداكم أنا رَجُلٌ قوّادٌ .

فحين قال هذا ، خجلنا ، ونكّسنا رؤوسنا .

فقال : [جعلت فداكم][1] ما لكم ؟ إنّ لقيادتي خبراً ، أظرف ممّا رأيتموه[2] .

فقلنا : إن رأيت أن تخبرنا .

فقال : نعم ، أنا رجل كان آبائي تنّاءً تجاراً ، عظيمي النعمة والأموال ، وانتهت النعمة إلى أبي ، وكان ممسكاً ، مكثراً .

ونشأت له ، وكنت متخرّقاً ، مبذّراً ، محبّاً للفساد ، والنساء ، والمغنّيات ، والشرب ، فأتلفت مالاً عظيماً من مال أبي ، إلاّ أنّه لم يؤثّر في حاله ، لعظمه .

ثمّ اعتلّ ، وأيس من نفسه ، وأوصى ، فدعاني ، وقال :

يا بنيّ ، إنّي قد خلّفت[3] لك نعمة قيمتها مائة ألف دينار وأكثر ، بعد أن أتلفت عليّ خمسين ألف دينار ، وإنّ الإنفاق ، لا آخر له إذا لم يكن بإزائه دَخْلٌ ، ولو أردت تمحيق هذا المال عليك في حياتي ، أو الآن ، حتى لا تصل إلى شيء منه ، لفعَلْتُ ، ولكنّي[4] أتركه عليك ، فاقض حقّي بحاجة تقضيها لي ، لا ضرر عليك فيها .

فقلت : أفعَلُ .

فقال : أنا أعلم أنّك ستُتْلِف جميع هذا المال في مدة يسيرة ، فعرّفني

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ط : شاهدتموه .

٣ في ب : جعلت ، والتصحيح من ط .

٤ في ط وفي ثمرات الأوراق : ولكن هوذا .

إذا افتقرت ، ولم يبق معك شيء ، تَقْتُلُ نَفْسَكَ ، ولا تعيش في الدنيا ؟

فقلت : لا .

قال : فتحمل على رأسك ؟

فقلت : لا .

[قال : فتحسن تتصرّف ، وتكسب المال ؟ .

قلت : لا][1] .

قال : فعرّفني من أين تعيش ؟

قال : ففكّرت ساعة ، فلم يقع لي إلا أن قلت : أصير قوّاداً .

قال : فبكى ساعة ، ثم مسح عينيه ، وقال : لست أعيب عندك هذه الصناعة ، فإنّها ما جرت على لسانك ، إلاّ وقد دارت في فكرك ، ولا دارت في فكرك ، وأنت تنصرف عنها [١٦١ط] أبداً بعدي ، ولكن أخبرني كيف يتمّ لك المعاش فيها ؟

فقلت : قد تدرّبت بكثرة دعواتي القحاب والمغنّيات ، ومعاشرتي لشرّاب النبيذ ، فأجمعهم على الرسم ، فينفقون[2] في بيتي ، ويعملون ما يريدون ، وآخذ منهم الدراهم ، وأعيش .

فقال : إذاً يبلغ السلطان خَبَرُكَ في جمعة[3] ، فيحلقون رأسك ، وذقنك[4] ، ويُنادي عليك ، ويتفرّق جَمْعُك ، ويبطل معاشك ، ويقول

---

١ الزيادة من ب .

٢ في ثمرات الأوراق : فيقيمون .

٣ في ب : جميعه ، والتصحيح من ط ، وقوله في جمعة ، يعني في أسبوع . جاء في المحاسن والمساوىء للبيهقي ١/١١٥ أن المأمون جعل له يوماً في الجمعة لمذاكرة الفقه ، وأنه اختار من أيام الجمعة يوم الثلاثاء .

٤ في ط : لحيتك .

أهل [١٣٣ ب] بلدك[1] أُنظروا إلى فلان ، كيف ينادى عليه ، وقد صار بعد موت أبيه قوّاداً .

ولكن إن أردت هذه الصناعة ، فأنا أعلّمك إيّاها ، وإن كنت لا أحسنها ، فلعلّك تستغني فيها ، ولا تفتقر ، ولا يتطرّق عليك السلطان بشيء .

فقلت : إفْعَلْ .

قال : تحلف لي أنّك تقبل مني .

فَحلَفْتُ .

فقال : إذا متُّ ، فاعمل على أنّك أنفقت جميع مالك ، وافتقرتَ ، وابتدئ فكن قوّاداً ولك ضياع وعقارٌ ، ودور وأثاث ، وآلة وجواري وقماش ، وخدَم وجاه وتجارات ، واعمد[2] لكلّ ما في نفسك أن تعمله إذا افتقرت ، فاعمله وأنت مستظهر على زمانك ، بما معك ، وجيهاً عند إخوانك ، بمالك ، واعمل على أنّك قد أنفقته ، واجعل معيشتك ممّا[3] تريد أن تحصّله[4] إذا افتقرت ، فإنّك تستفيد بذلك أموراً : منها : أنّك تبتدئ [أمرك][5] بهذا ، فلا ينكر عليك في آخره ، ومنها : أنّك تفعل ذلك بجاهٍ وعقارٍ وضياعٍ وأحوال قويّة ، فلا يطمع فيك سلطان ، وإن طمع فيك رشوت ، وبذلت من قدرةٍ وجدةٍ ، فتخلّصت .

فقلت : كيف أعمل ؟

قال : تجلس ، إذا متُّ ، ثلاثة أيّام للعزاء ، إلى أن تنقضي المصيبة ،

---

١ في ب : البلد .
٢ في ب وط وثمرات الأوراق : واعمل .
٣ في ب وط : بما .
٤ في ب و ط ، وثمرات الأوراق : تجعله .
٥ الزيادة من ط .

فإذا انقضت [١] ، نفـّذت وصيـّتي ، وتجمـّلت بذلك عند الناس ، وقضيتَ حقـّي .

ثم تظهر أنـّك قد تركت اللعب ، وأنـّك تريد حفظ مالك ، مع ضرب من اللذة .

ثم تبتدئ فتشتري من الجواري المغنيات والسواذج ، كلّ لون ، ومن الغلمان المرد ، والخـدم البيض والسود ، ما تحتاج إليه وتشتهيه ، ودارك ، وضياعك ، وآلتك ، [كما تحب في السرو والنبل] [٢] ، كما خلـّفته .

فإن احتجت إلى استزادة شيء ، فاستزد ، وتنوّق .

وعاشر من تريد أن تعاشره ، من غير أن تدخل إليك مغنـّية قيان ، ولا من تأخذ جـَذْراً .

وداخل الأمير ، والعاملَ ، وادعهما مرّة في كلّ شهر أو شهرين ، وهادهما أيـّام الأعياد ، بالألطاف الحسنة ، والقهما [في] [٢] كلّ أُسبوع دفعة ، واجتهد أن تعاشرهما على النبيذ في دورهما ، والقهما بالسلام ، وقضاء الحق .

واتـّخذ في كل يوم مائدة حسنة ، وادع القوم ، ومن يتـّفق [٣] معهم ، وليكن ذلك بعقل وترتيب .

فإنّ ذلك أوّلاً ، لا يظهر مدة طويلة ، فإذا ظهر ، صدّق به أعداؤك ، وكذّب به إخوانك، وقالوا : لعلّ هذا على سبيل المجون [٤] والشهوة ، وعلى طريق التخالع ، أو مساحة الإخوان ، وإلاّ فأيّ لذّة له في ذلك وهو ليس

---

١ في ب : نفدت .
٢ الزيادة من ط .
٣ في ب : يكون ، والتصحيح من ط .
٤ في ب : التجوز ، والتصحيح من ط .

مخنّثاً ، ولا مجنوناً ، ولا [١٦٢ط] فقيراً فيحتاج إلى هذا ، فيبقى[١] الخلاف فيك مدّة أُخرى ، وأنت مع هذا ، قد وصَلْتَ [١٣٤ ب] سلطانك[٢] ، ولعَلَّ العشرة بينكما قد وقعت ،فيستدعي مغنياتك ، وتسمعهن في منزله[٣]، فيصير لك بمنادمته رَسْمٌ ، وجاهك مع إخوانك باق ببرّك وملاقاتك لهم ، فهم يحامون عليك[٤] العاقل منهم ، ويحافظ لك الآخر ، فتصير في مراتب ندماء الأمير[٥] ، وفي جملته، وتصير قيادتك كالتشنيع عليك، والعيب لك[٦]، وتخرج عن حدّ القوّاد المحض، الذين يؤذون دائماً[٧] ، وتُكْبَسُ منازلهم .

قال : فاعتقدت في الحال ، أنّ الصوابَ ما قاله .

ومات في علّته ، فجلست ثلاثة أيّام ، ثم نفّذت وصيّته ، وفرّقتها كما أمرني ، ثم بيّضت الدور ، وهي هذه ، وزدت فيها ما اشتهيت ، واستزدت من الآلات ، والفَرْشِ[٨] ، والآنية[٩] ، كما أردت ، وابتعت هؤلاء الجواري والغلمان والخدم ، من بغداد ، ودبّرت أمري على ما قاله أبي ، من غير مخالفة لشيء منه .

فأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة ، ما لحقني فيه ضرر ، ولا خسران[١٠] ،

---

١ في ب : فيكثر .

٢ في ط : اتصلت مع سلطانك .

٣ في ب : منزلك ، والتصحيح من ط .

٤ في ب وط وفي الثمرات : ويحتاجون إليك .

٥ في ب : هذا الأمر ، والتصحيح من ط ، وفي الثمرات : وسيحافظ عليك الأمير ، فتصير في مراتب ندمائه .

٦ في ب : والعتب ، والتصحيح من ط .

٧ في ب : يؤدون قائماً .

٨ في ب : النقوش ، والتصحيح من ط .

٩ في ب : والأبنية ، والتصحيح من ط .

١٠ في ب : ولا خسرت ، والتصحيح من ط .

وما فيه أكثر من إسقاط المروءة ، وقلّة الحفل[1] بالعيب .

وأنا أعيش أطيب عيش وأهنأه، والتذّ أتمّ لذّة [وأحلاها][2] مع هؤلاء الجواري ، والغلمان ، والخدم ، ومن يعاشرني عليهم .

ودخلي بهم ، أكثر من خرْجي ، ونعمتي الموروثة باقية بأسرها ، ما بعت منها شيئاً بحبّة فضّة[3] فما فوقها .

وقد اشتريت من هذه الصناعة عقاراً جليلاً ، وأضفته إلى ما خلّف أبي عليّ ، وأمري يمشي كما ترون .

فقلنا : يا هذا ، فرّجت والله عنّا ، وأوجدتنا طريقاً إلى قضاء حقّك .

وأخذنا نمازحه ، ونقول : فضلك في هذه الصناعة غير مدفوع[4] ، لأنّك قوّاد ابن قوّاد ، وما كان الشيخ ليدبّر لك هذا ، إلاّ وهو بالقيادة أحذق منك .

فضحك ، وضحكنا ، وكان الفتى أديباً ، خفيف الروح .

وبتنا ليلتنا على تلك الحال .

فلما كان من الغد، جمعنا له بيننا ، ثلثمائة دينار من نفقاتنا، وحملناها إليه .

فأخذها ، ورحلنا عنه .

---

١ في الثمرات : الاكترات .

٢ الزيادة من ط .

٣ في ط : بحبة قط .

٤ في ب : مجهول .

٩١

أراد جوامرك فطلب جوانبيرة

أخبرني غير واحد :

أنّ أسد بن جهور [١] العامل ، كان بخيلاً ، وله سؤدد ، يتقلّد كبارَ الأعمال ، وهو عظيم الحال والمال .

قال : وكتب يوماً إلى عامل له، في رستاق: إحمل إليّ مائتي جوانبيرة [٢] .

فقال العامل : وما يصنع بهذه العجائز كلّهنّ ، وهذه العدّة كيف تجتمع لي من قرية ؟

فجمع ما قدر عليه من النساء بين الشباب [٣] والعجائز ، وأنفذهنّ طوعاً وكرهاً .

وكتب إليه : إنّ كتابك وَصَل بجمع مائتي جوانبيرة ، وهذا لا يوجد إلاّ في بلد كبير ، أو عدّة رساتيق، وقد جمعت لك كذا وكذا ، وحملته مع موصل هذا [١٣٥ب] الكتاب .

فلما قرأ كتابه ، قال : ادفعوهم إلى الطبّاخ ، وقولوا له يذبح منهم اليوم [١٦٣ ط] كذا وكذا ، ويُصْلح منهم كذا وكذا .

فقيل له : يذبح لك النساء ؟

قال : ما طلبت نساء .

قالوا : أنت طلبت نساء .

---

١ أسد بن جهور : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤١ من النشوار .

٢ جوانبيرة : الكهلة من النساء ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٨ م ٣ .

٣ يريد : الشابات .

قال : ردّوا الكتاب ، فردّوه .

قال : إنّا لله ، إنّما أردت جوامرك[1] وكتبت جوانبيرة ، إدفعوا إلى النساء شيئاً واصرفوهنّ ، واكتبوا له بجمع الجوامركات .

ففعل ذلك[2] .

---

١ جوامرك : الفتيّ من الطير ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي جـ ٨ م ٣ .

٢ الهفوات النادرة ٢٨٢ .

٩٢

أسد بن جهور وبخله على الطعام

قالوا :

وكان[١] معروفاً بالبخل على الطعام جداً ، وكان ندماؤه يلقون من ذلك جهداً .

وكان يحضرهم ، ويطالبهم بالجلوس ، ويحضر كل شيء لذيذ شهيّ من الطعام ، فإن ذاقه منهم أحد ، ولو دانقاً ، استحلّ دَمَهُ ، وعجّل عقوبته .

وكانت [علامته معهم][٢] إذا شيلت المائدة ، أن يمسحوا أيديهم في لحاهم ليعلم أنّهم ما شعّثوا[٣] شيئاً يزهمها[٤] .

وكان له ابن أخت ، يجترئ عليه ، ولا يفكّر فيه ، ويهتك ستّره إذا واكله .

فَقُدّمَتْ يوماً دجاجةٌ هنديةٌ ، فائقةٌ سريّةٌ ، فحين أهوى ابن أخته إليها ، قبض على يده أشدّ قبض ، وقال : يا غث ، يا بارد ، يا قبيح العشرة ، يا قليل الأدب ، في الدنيا أحد يستحسن إفساد مثل هذه ؟ .

فقال ابن اخته : يا لئيم ، يا بخيل ، يا سيّء الاختيار[٥] ، فلأيّ شيء تصلح ؟ تُجْعَلُ عقدة على وجه التّركة للأعقاب ؟ واسطة للمخانق، في صدور

---

١ يعني أسد بن جهور .

٢ الزيادة من ط .

٣ في الأصل : شبعوا .

٤ الزهم : الشحم والرائحة المنتنة .

٥ في ب : الإحسان .

المجالس ؟ سريّة يتمتع بالنظر إليها ؟ ما أقدر ، شهد الله ، أن أدعها من يدي .

فتصابرا عليها[1] . إلى أن قال له الفتى : فافتدها من يدي .

قال : بما تحبّ .

قال : ببغلتك الفلانية . قال : قد فَعَلْتُ .

[قال : بسرجها ولجامها المحلّى الفلاني . قال : قد فعلت][2] .

قال : ما أرفع يدي عنها ، أو يحضر ذلك .

قال : يا غلام أحضرها .

فأحضرت البغلة والمركب ، فسلّمها الفتى إلى غلامه ، وأخرجها ، ورفع يَدَهُ عن الدجاجة .

وانقضى الطعام ، وشيلت المائدة ، وقام لينام .

فخرج ابن أخته ، فقال للطبّاخ : عليّ بالفائتة الساعة ، وبجميع ما شلتموه من المائدة ، فأحضر إليه ، وردّ الندمان ، وقعدوا ، فأكلوا ذلك وانصرفوا ، وقد أكل الدجاجة والطعام أجمع ، وحصلت له البغلة والمركب .

قال : وإنّما كان لا يطيق أن يرى ذلك يؤكل ، فأمّا إذا نحّي من بين يديه ، لم يسأل عنه ، ولم يطالب به .

أخبرني أبو الحسن[3] بن الأزرق ، قال : حدّثني أبي ، عن الحسن بن مَخْلد[4] بهذا الحديث أنّه حصل مع ابن خالة [الحسن بن مخلد][2] ، قال : رأيت الفتى ، قد غدا إلينا ، إلى ديوان الخراج على بغلة الحسن بن مخلد ، فسألناه عن السبب ، فأخبرنا بذلك .

---

١ في ط : فتضاربا عليها . ٢ الزيادة من ط .

٣ في ب : أبو الحسين ، وفي ط : أبو القاسم ، والصحيح ما أثبتناه .

٤ الحسن بن مخلد : وزير المعتمد ، ترجمته في حاشية القصة ٢ / ٩٤ من النشوار .

٩٣

ناصر الدولة يحاسب على بقية دجاجة

سمعت أبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي [١٣٦ ب] يقول :

كنت بحضرة ناصر الدولة[١] ببغداد ، فاستدعى بشيء يأكله متعجّلاً ، ليتعلّل به .

فجاءُوه بدجاجة مشويّة ، ورغيفٍ واحدٍ ، وسكرجتي ملحٍ وخلّ ، وقليل بقلٍ .

فجعل يأكل ، وأنا أحادثه ، إذ دخل الحاجب فأخبره بحضور قومٍ [١٦٤ ط] لا بدّ من وصولهم ، يحتشمهم .

فأمَرَ برفع الدجاجة ، فرفعت ، ومسح يدَهُ ، ودخل القوم ، فخاطبهم بما أراد ، وانصرفوا .

فقال : ردّوا الطبق ، فأحضر ، فتأمّل الدجاجة ساعة ، ثم حَرِدَ .

وقال : أين تلك الدجاجة ؟

فقالوا : هي هذه .

فقال : لا ، وحَقّ أبي ، عليّ بالطبّاخ ، فحضر .

فقال : هذه هي تلك الدجاجة ؟

فسكت .

فقال : أصدقني ويلك .

قال : لا .

---

١ ناصر الدولة : أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ، ترجمته في حاشية القصة ٢/ ٧٧ من النشوار .

قال : فما عملت بتلك ؟

قال : لمّا شيلت ، لم نعلم أنّها تردّ إليك ، فأخذها بعض الغلمان الصغار وأكلها ، فلما طلبتها ، أخذنا هـذه فكسرنا منها ، وشعّثنا ، مثلما كُنْتَ كسَرْتَ من تلك وشعّثت ، طمعاً في أنّك لا تعلم بذلك ، وقدّمناها .

فقال له : يا حمار ، تلك كنتُ قد كسَرْتُ منها الفخذ الأيمن ، وأكلتُ جانبَ الصدرِ الأيسرِ ، وهذه مأكولة جانب الصدرِ الأيمن ، مكسورة الفخذِ الأيسر ، لا تعاود بعدها لمثل هذا .

[قال : السمع والطاعة .

وانصرف الطباخ .

فجعلت أعجب من تفقّده – وهو مَلِك – لمثل هذا] [1] .

---

١ الزيادة من ط .

٩٤

الحسن بن مخلد وبخله على الطعام

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال : حدّثني جحظة [١] ، قال :

ربحت بأكلة افتديتها [٢] خمسمائة دينار ، وخمسمائة درهم ، وخمسة أثواب فاخرة ، وعَتيدَة طيب سريّة .

قلت : كيف كان ذلك ؟

قال : كان الحسن [٣] بخيلاً على الطعام ، سمحاً بالمال ، وكان يأخذ ندماءه ، [بغتة] [٤] فيسقيهم النبيذ ، ويواكلهم ، فمن أكل ، قتَلَهُ قتلاً ، ومن شرب عنده على الحسف [٥] ، حَظِيَ عنده .

قال : فكنتُ عنده يوماً ، فقال لي : يا أبا الحسن ، قد عملت غداً على الصبوح الجاشريّ [٦] ، فبت عندي .

فقلتُ : لا يمكنني ، ولكنّي أباكرك قبل الوقت ، فعلى أيّ شيء عملت أن تصطبح ؟

---

١ جحظة البرمكي (٢٢٤ – ٣٢٤) : أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، ولقب جحظة لجحوظ عينيه ، حسن الأدب ، كثير الرواية للأخبار ، مليح الشعر ، مغنياً حاذقاً ، طنبورياً بارعاً (معجم الأدباء ١/٣٨٣) .

٢ في ب : أقريتها .

٣ أبو محمد الحسن بن مخلد (٢٠٩ – ٢٦٩) : وزير المعتمد ، أحد كتاب الدنيا ، جمع بين كتبة الموفق ووزارة المعتمد ، ثم عزله المعتمد ، وطلبه أحمد بن طولون إلى مصر ، ثم حبسه بأنطاكية ، ومات هناك (الفخري ٢٥١ والأعلام ٢/٢٣٧) .

٤ الزيادة من ط .

٥ الشرب على الحسف : أي على غير أكل .

٦ الجاشرية : الشرب مع الصبح ، ويوصف به ، فيقال : شربة جاشرية ، واصطبحت الجاشرية (لسان العرب) .

فقال : أعدّ لنا كذا وكذا ، ووَصَفَ ما تقدّم به إلى الطباخ بعمله ، فعقدنا الرأي على أن أباكره .

وقمت ، وجئت إلى بيتي ، فدعوت طبّاخي ، وتقدمت إليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه ، ويفرغ منه وقت العَتَمةِ [1] ، ففعل ، ونمت .

[وقمت] [2] وقد مضى نصف الليل ، فأكلت ما أصلح ، وغسلت يدي وأسرج لي ، وأنا عامل على المضيّ إليه ، إذ طرقتني رسله ، فجئته .

فقال : بحياتي ، أكلت شيئاً ؟

قلت : أعيذك بالله ، انصرفت من عندك قبيل المغرب ، وهذا نصف الليل ، فأيّ وقت أصلح لي شيء ؟ أو أي وقت أكلت شيئاً ؟ سل غلمانك ، على أيّ حال وجدوني ؟

فقالوا : والله، وجدناه يا سيّدنا وقد لبس ثيابه ، وهو ذا ينتظر [١٣٧ب] أن يفرغ له من إسراج بغلته ، ليركبها .

فسرّ بذلك سروراً شديداً ، وقدّم الطعام ، فما كان فيّ فضل أشمّه، فأمسكت عن تشعيثه ضرورة ، وهو يستدعي أكلي ، ولو أكلت أحلّ دمي .

قال : وكذا كانت عادته ، فأقول له : هوذا آكل يا سيّدي ، وفي الدنيا أحد يأكل [١٦٥ ط] أكثر من هذا ؟

وانقضى الأكل ، وجلسنا على الشرب ، فجعلت أشرب بأرطال ، وهو يفرح ، وعنده أنّي أشرب على الريق ، أو على ذلك الأكل الذي خلست معه .

ثم أمرني بالغناء ، فغنّيت ، فاستطاب ذلك ، وطرب ، وشرب أرطالاً .

فلما رأيت النبيذ ، قد عمل فيه ، قلت : يا سيّدي ، أنت تطرب على

---

١ العتمة : الثلث الأول من الليل .

٢ الزيادة من ط .

غنائي ، فأنا على أيّ شيء أطرب ؟

قال : يا غلام ، هات الدواة ، فأحضرت ، فكتب لي رقعة ، ورمى بها إليّ ، وإذا هي إلى صيرفيّ يعامله بخمسمائة دينار ، فأخذتها ، وشكرته .

ثم غنّيت ، فطرب ، وزاد سكره ، فطلبت منه ثياباً ، فخلع عليّ خمسة أثواب .

ثم أمر أن يبخّر من كان بين يديه ، فأحضرت عتيدة حسنة سريّة ، فيها طيب كثير ، فأخذ الغلمان يبخّرون الناس منها ، فلما انتهوا ، قلت :

يا سيّدي وأنا أرضى أن أتبخّر حَسْبُ ؟

فقال : ما تريد ؟

قلت : أريد نصيبي من العتيدة .

فقال : قد وهبتها لك .

وشَرِبَ بعد ذلك رطلاً آخرَ ، واتّكأ على مسورته ، وكذا كانت عادته إذا سكر .

فقام الناس من مجلسه ، وقمت وقد طَلَعَ الفجر وأضاء ، وهو وقت تبكير الناس في حوائجهم .

فخرجت كأنّي لصّ قد خرج من بيت قوم ، على قفا غلامي الثياب والعتيدة كارة .

فصرت إلى منزلي ، ونمت نومة ، ثم ركبت إلى درب عون[1] ، أريد الصيرفي ، حتى لقيته في دكانه ، وأوصلت الرقعة إليه .

فقال : يا سيدي ، أنت الرجل المسمى في التوقيع ؟

قُلْتُ : نعم .

---

١ درب عون : مقر الصيارفة ، راجع القصة ٣ / ٩٠ من النشوار .

قال : أنت تعلم ، أنّ أمثالنا يعامِلون للفائدة .

قلت : نعم .

قال : ورسمنا أن نعطي في مثل هذا ، ما يكسر في كلّ دينارٍ ، درهم .

قلت له : لست أُضايقك في هذا [القدر][1] .

فقال : ما قلت هذا لأربح عليك الكثير ، أيّما أحبّ إليك ، تأخذ كما يأخذ الناس ، وهو ما عرّفتك ، أو تجلس مكانك إلى الظهر حتى أفرغ من شغلي ، ثم تركب معي إلى داري ، فتقيم عندي اليوم والليلة ، ونشرب ، فقد – والله – سمعت بك ، وكنت أتمنّى أن أسمعك ، ووقعت الآن لي رخيصاً ، فإذا فعلت هذا ، دفعت إليك الدنانير بما تساوي ، من غير خسران .

فقلت : أُقيم عندك .

فجعل الرقعة في [١٣٨ ب] كمّه ، وأقبل على شغله .

فلما دنت الظهر[2] ، جاء غلامه ببغلٍ فارهٍ ، فركب ، وركبت معه ، وصرنا إلى دار سريّة حَسَنَةٍ ، بفاخر الفَرْشِ والآلات ، ليس فيها إلاّ جوار روم للخدمة ، من غير فحل .

فتركني في مجلسه ، ودخل ، ثم خرج إليّ بثياب أولاد الخلفاء ، من حمّام داره ، وتبخّر ، وبخّرني بيده ، بندّ عتيق جيّد ، وأكلنا أسرى طعامٍ ، وأنظفه ، وقمنا إلى مجلس للشرب سريّ ، فيه فواكه وآلات بمال . وشربنا ليلتنا ، فكانت ليلتي عنده [١٦٦ط] أطيب من أختها عند الحسن بن مَخْلد .

---

١ الزيادة من ط .

٢ أي صلاة الظهر .

فلما أصبحنا أخرج كيسين ، في أحدهما دنانير ، وفي الآخر دراهم ، فوزن لي خمسمائة [دينار من أحدهما ، ثم فتح الآخر فإذا هو دراهم طريّة[1] ، فوزن لي منها خمسمائة درهم][2] .

وقال : يا سيّدي تلك ما أمرت به ، وهذه الدراهم هديّة مني .

فأخذتها ، وانصرفت .

وصار الصيرفيّ صديقي ، وداره لي .

---

١ الدراهم الطرية : لعله يريد بها الدراهم الجديدة التي لم تتداولها الأيدي ، قال العلامة أحمد تيمور لعل الكلمة محرفة عن الدراهم الطبرية ، وهي دراهم قيمة الواحد منها ثلثا الدرهم (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٨ م ٣) أقول : ورد في كتاب المحاسن والمساوىء للبيهقي ١ / ١٩١ أن جعفر البرمكي أمر لشاعر بجائزة ، فأعطاه الصيرفي دراهم طبرية ، فقال :

ثلاثون ألفاً كلهـا طبريـة دعا لي بها لما رأى الصك صالح
دعا بالزيوف الناقصات وإنما عطاء أبي الفضل الجياد الرواجح

وظاهر الحال في القصة ، يؤيد التفسير الأول ، لأن الصيرفي أراد إكرام جحظة .

٢ انفردت بها ب .

٩٥

إنّ بالحيرة قساً قد مجن

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش[١] ، قال :

كان جَحظة[٢] لما أسنّ ، يفسو في مجالسه ، فيلقى من يعاشره ، من ذلك جهداً .

وكنت أحبّ غناءه ، والكتابة عنه ، لما عنده من الآداب ، وكان يستطيب عشرتي ، وكنت إذا جلَسْتُ ، أخذت عليه الريح ، وجلست فوقها.

فجئته يوماً في مجلس الأدب ، والناس عنده ، وهو يملي ، فلما خفّوا ، قال لي ، ولآخر كان معي ، أسماه لي ، وحدّثني ذلك الرجل بمثل هذا الحديث:

اجلسا عندي ، حتّى أجلسكما على لبود ، وأطعمكما طباهجة[٣] بكبود ، وأسقيكما معتّقة اليهود ، وأبخّركما بعود ، وأغنيكما غناء المسدود[٤] ، أطيب من الندود .

فقلنا : هذا موضع سجدة .

وجلسنا ، وصديقي لا يعرف خلّته[٥] في الفساء ، وأنا قد أخذت الريح ، فوفى لنا بجميع ما شرطه .

وقال لنا ، وقد غنّى ، وشربنا : نحن بالغداة في صورة العلماء ،

---

١ أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحسن بن عياش الجوهري البغدادي : ترجمته في حاشية القصة ٢/٢٢ من النشوار .

٢ جحظة البرمكي : أبو الحسن النديم : ترجمته في حاشية القصة ٢ / ٩٤ من النشوار .

٣ طباهجة : راجع حاشية القصة ٢/١٠٥ من النشوار .

٤ في ب : المدود ، والمسدود أحد المغنين المعروفين ، أخباره في الجزء ٢١ من الأغاني طبعة ليدن (٢١ / ٢٥٧) ، وله قصة مع الخليفة الواثق (كتاب الهفوات النادرة للصابي ١٨) .

٥ في ب و ط : خلقه ، والخلة هي الخصلة ، فضيلة كانت أو رذيلة .

وبالعشيّ في صورة المخنكرين[1] .

فلما أخذ النبيذ منه ، أقبل يفسو ، وصديقي يغمزني ، ويتعجّب ، فأغمزه ، وأقول : إنّ ذلك عادته ، وخلّته ، وإنّ سبيله أن يحتمل .

إلى أن غنّى جحظة ، صوتاً مليحاً ، الشعر والصنعة له فيه ، وكان يجيده جداً ، وهو :

إنّ بالحيرة[2] قسّاً قد مجَنْ فتَنَ الرهبان فيها وافتتنْ
ترك الإنجيل حبّاً للصبا ورأى الدنيا مجوناً فرَكَنْ[3]

وطرب صديقي ذاك ، عليه طرَباً شديداً ، استحساناً له ، وأراد أن يقول أحسنت والله يا أبا الحسن ، فقال : افس عليّ كيف شئت .

فخجل جَحظة[4] .

---

١ المخنكرون : المجان، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٨ م ٣ .

٢ الحيرة : عاصمة المناذرة . كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف وعلى ميل واحد منها شرقاً الخورنق ، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية (معجم البلدان ٢,٣٧٥) . أقول: اسم الحيرة الآن يطلق على قرية صغيرة واقعة في المنطقة التي كانت تحتلها الحيرة القديمة ، ولا شبه بين الحيرتين إلا بالاسم .

٣ في ط : فمجن .

٤ الهفوات النادرة ١٥٧ .

٩٦

بين جحظة وأبي الحسين بن عياش

قال : وأخبرني أنّه كان معه في حديديّ[١] لابن الحواريّ[٢] ، وقد حملهم إلي بلا شكر[٣] ليتفرجوا [١٣٩ ب] ، والحديديّ يمدّه الملاّحون بالقلوس ، وجَحظة بين يدي الرجل ، قد صار في أعلى الريح لأنها كانت شمالاً ، على سطح الحديديّ .

فأقبل جحظة يفسو ، فأنكر الرجل ذلك ، وقال : ما هذا الفساء ؟ من أين هذا ؟

فقال جحظة : هؤلاء المدّادون سفل ، فإذا مدّوا فسوا ، وهم أعلى منّا في الريح ، فهي تحمل فساءهم إلينا .

قال : فاشتبه ذلك على الرجل .

فقلت له : يا أبا الحسن ، لو أن فساء هؤلاء يريد الطرادة[٤] ويجيء على حبلها مستوياً إلى نفس الطرادة ما وصل إلينا بهذه السرعة، والريح من جهتك لا من جهة الملاحين ، وأنا أنبّه عليك .

قال : فأقبل يصانعني ، ويفتدي من يدي ، أن لا أغمز به .

فقلت : على شريطة أن تقطع .

قال : نعم .

---

١ الحديدي : نوع من القوارب .

٢ أبو القاسم علي بن محمد ، ابن الحواري : ترجمته في حاشية القصة ١/٦٣ من النشوار .

٣ بلاشكر : قرية بين البردان وبغداد ، لها ذكر في الشعر والأخبار (معجم البلدان ١/٧٠٨) .

٤ الطرّادة : وجمعها طراريد ، قارب خفيف الحركة ، سريع الانسياب فوق سطح الماء ، يستعمل الآن في الفرات الأوسط في العراق ، في الانتقال في المياه القريبة القعر ، وفي صيد طيور الماء في الأهوار ، ولعل اسمه مشتق من طرد الصيد ، ويتضح من القصة أن الحديدي والطرادة ، اسمان لمسمى واحد .

٩٧

أبو عيشونة الشاطر

حدّثني أبو القاسم الصروي الكاتب ، قال :

كان بمدينة السلام ، شاطر ، يعرف بأبي عيشونة [1] ، فاجتاز به بعض العلماء من أهل الأدب ، في هيج [2] قد وقع ، وقد خرج ليأخذ ثياب المجتازين [١٦٧ ط] فقبض عليه ، وقال : اطرح ثيابك .

فقال : أنا فلان .

فاستحيا منه ، فقال : خذ عليّ ما أنشدك .

قال : هات .

فقال :

خمسون ألف فتى ما منهم أحد   إلا كألف فتى ضرغامة بطل
شدّوا ثيابهم يوماً على أملٍ   فأفرغوها وأدلوها على الأجل

فقال الرجل : أحسنت ، فبالله ، زدني من شعرك ، فقال :

ولقد هيّجَ البلا   حين عضّ السفرجلا
ولقد قام حبكم   في فؤادي بأعلى العلا

فقال : خلطت .

قال : أنا أبو عيشونة ، وحياة أصحابي ، أنج بنفسك .

فمضى الرجل وتركه .

---

١ عيشونة : أصلها عائشة، خففت إلى عيشة ، ثم أضيف إليها الواو والنون للتصغير تحبباً مثل زيدون ، وحفصون ، وفي بغداد يقولون للصغير : زغيرون .

٢ الهيج : الحرب ، وهو هنا يعني اضطراب الحال وفساد الأمن .

٩٨

الحذّاء الماجن بباب الطاق

رأيت حذّاءً ماجناً بباب الطاق[١] ، يعرف بالمدلق[٢] ، ويلقّب بالقاضي ، يسمّي النعال ، بأسماء من جنس الصفعة ، على سبيل الهزل .

فيقول لمن يخاطبه : هذه صلعكية ، وهذه رأسكية ، وهذه قفوية .

فقال له واحد : كم أعطيت بها ؟

فقال : إذا نزلت في حلقك ، عرّفتك ثمنها ، وأخذته منك ، ومتى وقعت في عنقك وكرهتها ، فأنا آخذها منك بالثمن .

---

١ باب الطاق : راجع حاشية القصة ١/٩٣ من النشوار .

٢ في ط : المدلقي .

٩٩

طبيب يتماجن على مريض

ورأيت طبيباً يتماجن على مريض ، وقد شكا إليه شيئاً .

فقال : هذا يدلّ على أنّك ، ثارت بك الصفراء[١] ، وكان الذي شكاه المريض رطوبة .

فقال : يا هذا أنا مرطوب ، فكيف تثور بي الصفراء ؟

قال : فالسوداء[٢] .

قال : لا أعلم .

[قال : الذي عندي ، انّه ثارت بك الململّعة][٣] .

ففطن الرجل لموضع قوله : الصفراء والسوداء ، ثم وصف له ما يصلح له ، مما شكاه إليه ، [من علته][٤] .

---

١ الصفراء : المرّة وهي أحد الأخلاط الأربعة حسب الطب القديم .

٢ السوداء : مرض الماليخوليا وهو فساد الفكر في حزن ، أما فساد الفكر في سرور فاسمه المانيا .

٣ انفردت ب بهذه الجملة ، يقال لمع النسيج : إذا لونه ألواناً مختلفة ، والظاهر أن الحذاء الذي يشتمل على أكثر من لون ، كان يسمى الململع ، وإلى ذلك أشار الطبيب في تماجنه على المريض ، بذكر الصفراء والسوداء والململعة .

٤ الزيادة من ط .

١٠٠

يريد نعلاً وجهه مليح وأسفله وثيق

قال لي أبو طلحة الحذّاء البصري ، وكان مألفاً للأحداث والمتأدبين ، قال لي صديق لي :

أريد نَعْلاً يكون لها وجه [١٤٠ ب] مليح ، وأسفلٌ وثيق .

فقلت : يا حبيبي ، عليك بفلان العلق[١] ، إن وزنت خمسين درهماً في اليوم ، ولست أجد لك بهذه الصفة إلاّ هو .

١٠١

كما تدين تدان

حدّثنا أبو عبد الله بن ورام[٢] الكوفيّ المتكلّم ، قال :

كان عندنا بالكوفة ، رجل ، له ابن عاقّ به ، فلاحاه يوماً في شيء ، فجرّ برجله حتّى أخرجه من بيته ، وسحبه في الطريق شيئاً كثيراً .

فلما بلغ إلى موضعٍ منه ، قال له : يا بنيّ حسبك ، فإلى هاهنا جررت برجل أبي من الدار ، حتّى جررتني منها[٣] .

---

١ العلق : المؤاجر .

٢ في ط : رزام .

٣ علق مرجليوث على هذه الحكاية بأنها أخذت من كتاب الأخلاق لأرسطاطاليس .

١٠٢

طيب الطعام يستخرج لبّ الشكر

حدّثني أبو الحسن[١] بن سهيل الحذّاء، عن بعض الصوفيّة ، أنّه قال : طيّب الطعام يستخرج لُبَّ الشكر .

١٠٣

سعد السعود

أنشدني إسحاق بن إبراهيم بن علي النصيبيّ[٢] المتكلّم لنفسه ، في غلامه سعد :

وفّق الله من دعاك بسعد   فلقد كان فيه عين السعيد[٣]
أبصر السعد غرّة بين عينيك   فسماك باسمه المحمـود
فإذا ما دعاك داعٍ لأمر   كنت فيه يا سعد سعد السعود

---

١ في ب : أبو الحسين ، و التصحيح من ط ، راجع القصة ٢ / ١١٢ من النشوار .
٢ في ب : النصيبيني .
٣ في ب : السعود .

١٠٤

من رسائل أبي محمد المهلبي

وجدت في كتب أبي [١] ، كتاباً من أبي محمد المهلّبي [٢] إليه ، قبل تقلّده الوزارة [٣] ، بسنين ، أوّله :

كتابي أطال الله بقاء سيدنا القاضي ، عن سلامة [١٦٨ ط] لا زالت له إلفاً ، وعليه وقفاً

وحمداً لمولى أستمدّ بحمده   له الرتبة العلياء والعزّ دائما
وأن يسخط الأيام بالجمع بيننا   ويرضي المنى حتى يرينيه سالما

وصل كتابه ، أدام الله عزّه ، فقمت معظّماً له ، وقعدت مشتملاً على السرور به

وفضضته فوجدتـــه   ليلاً على صفحات نور
مثل السوالف والخدو   د البيض زينت بالشعور
بنظام لفظ كالثغو   ر أو اللآلي في النحور
أنزلته في القلب مـــنـ   زلة القلوب من الصدور

---

١ أبو القاسم علي بن محمد التنوخي القاضي .

٢ الوزير المهلبي أبو محمد الحسن بن محمد ، وزير معز الدولة .

٣ استكتب معز الدولة ، أبا محمد المهلبي في السنة ٣٣٩ واستوزره في السنة ٣٤٥ (تجارب الأمم ٢/١٢٣ و ١٦٢) .

١٠٥

أبو طلحة يروي حديثاً غير شريف

سمعت أبا طلحة [الحذّاء][١] ، يقول :

رَوَى فلان ، عن فلان ، بإسناد طويل ، من أصبح في يوم سبت ، وعنده طباهجة[٢] عنبرية ، وبالقرب منه باقلاّني[٣] ، ولم يصطبح ، فلا صبّحه الله بخير ولا عافية[٤] .

---

١ الزيادة من ط .

٢ الطباهجة : طعام من لحم وبيض وبصل ، فارسية : تباهه (الألفاظ الفارسية المعربة ١١١) ، ولزيادة التفصيل راجع كتاب الطبيخ للبغدادي ص ١٦ .

٣ الباقلاني : الذي يبيع الباقلاء (الأنساب للسمعاني ٦٢) ، والباقلاء هي الفول ، إلا أنها أكبر من الفول حجماً ، والفوّال في اللغة : بائع الفول ، أما في بغداد فإن الفوّال هو فتاح الفال الذي ينظر في الطالع ويتحدث عن المستقبل ، راجع الحاشية على مقدمة المؤلف في الجزء الأول من النشوار ص ٣ ف ٨ .

٤ جاء في كتاب الأغاني (١٠ / ١٧٣) : أن علية بنت المهدي ، كانت تقول : من أصبح وعنده طباهجة باردة ولم يصطبح فعليه لعنة الله . وجاء في كتاب مطالع البدور (١ / ١٣٩) أن دنانير جارية البرامكة ، كانت تقول : من أصبح وعنده قنينة ناقصة ، وزبدية طباهجة باردة ، وتفاحة معضوضة ، ولم يصطبح ، فهو أحمق ، فاسد المزاج .

١٠٦

واصل بن عطاء والخوارج

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي[١] :

أنّ أبا حذيفة ، واصل بن عطاء[٢] ، خرج يريد سفراً في رهط من أصحابه ، فاعترضهم جيشٌ من الخوارج .

فقال واصل لأصحابه : لا ينطق منكم أحد ، ودعوني معهم .

فقالوا : نعم .

قال : فقصدهم واصل ، واتّبعه أصحابه .

فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا بهم ، فقال : كيف تستحلّون هذا ، وما تدرون ما نحن ، ولأيّ شيء جئنا ؟

قالوا : نعم ، فما أنتم ؟

قال : قوم من المشركين ، جئناكم مستجيرين لنسمع كلام الله .

قال : فكفّوا عنهم ، وبدأ رجل يقرأ عليهم القرآن .

فلما أمسك ، قال له واصل : قد سمعنا كلام الله ، فأبلغنا مأمننا [١٤١ ب] حتّى ننظر في الدين .

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب التنوخي : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤ من النشوار .

٢ أبو حذيفة ، واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال : كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره ، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ، فكان يتجنب الراء في كلامه ، فلا يفطن لذلك أحد ، لا قتداره على الكلام ، وكان يجلس إلى الحسن البصري ، ثم اختلف معه فاعتزله ، فسمي وأصحابه بالمعتزلة ، ولد واصل بالمدينة سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٣١ . (وفيات الأعيان ٥ / ٦٠) .

فقالوا : هذا واجب ، سيروا .

قال : فسرنا، والخوارج[1] – والله – معنا برماحهم ، يسيّروننا ويحموننا ، عدّة فراسخ ، حتى قربنا من بلد لا سلطان لهم عليه .

فقالوا : ذاك مأمنكم ؟

فقال واصل : نعم ، فارجعوا عنّا .

فانصرفوا .

وذهب أبو حذيفة في[2] ذلك ، إلى قول الله تعالى: ﴿وإن أحد من المُشركين استجارَك فأجِره حتى يَسْمعَ كلامَ اللهِ ثمَّ أبْلِغهُ مَأمَنه﴾[3] .

---

١ الخوارج : كل من خرج على الإمام الذي اتفقت عليه الجماعة ، يسمى خارجياً ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الخلفاء الراشدين ، أو على من بعدهم ، وتتلخص دعوى الخوارج في مخالفتهم نظرية الخلافة ، وفي تحديد الإسلام الصحيح ، وهل يكون بالإيمان وحده ، أو بالإيمان والعمل ، وهم فرق متعددة ليس هذا موضع حصرها ، وقد عاث الخوارج في الدولة الإسلامية فساداً منذ ظهورهم في السنة ٣٧ هجرية ، وكان قاتل الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام منهم ، ومن أراد التفصيل عن الخوارج فليراجع دائرة المعارف الإسلامية ٤٦٩/٨ – ٤٧٧ والكامل للمبرد ١١٩/٢ – ٢٣٧ والملل والنحل للشهرستاني ٥٥/١ – ١٨٥ .

٢ في ب : من ، والتصحيح من ط .

٣ ٦ م التوبة ٩ .

١٠٧

بين معتزلي وأشعري

حدّثني أبو الحسن[١] ، قال :

كان إسماعيل الصفار البصريّ ، أحد شيوخ أصحابنا المعتزلة ، وكان الناس إذ ذاك يتشدّدون على أهل الحق[٢] ، ويباينونهم في الخلاف .

قال : فوقعت ليلة في الدرب الذي كان ينزله إسماعيل بالبصرة ، صاعقة .

فلما أصبح ، قال لغلمانه : أكنسوا لي الباب ، وافرشوا لي عليه ، وإلاّ أرجف بي المخالفون .

ففعلوا ، وجلس على بابه .

فاجتاز بعض جلّة شيوخ البصرة من المخالفين ، فلما رآه ، قال : ألم نُخْبَر أنّ الله رماك بصاعقة من عنده[٣] ؟

قال : ولِمَ ؟ أنا أقول إنّي أرى الله جهرة[٤] ؟

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي .

٢ يريد المؤلف بأهل الحق : المعتزلة .

٣ يعني أنه ينسبه إلى الكفر لأنه معتزلي ، وأن الصاعقة نزلت عليه لكفره .

٤ يعني أنه ينسبه للكفر لأنه مجسم ، وأن عقوبة من يقول ، بأن الله سبحانه وتعالى جسم يراه العباد أن تأخذه الصاعقة ، يشير إلى الآيتين الكريمتين الأولى : (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) ٥٥ م البقرة ٢ . والثانية ، (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) ١٥٣ م النساء ٤ .

١٠٨

خلاف بين المعتزلة

وبين غوغاء من العوام

وقال رجل من أصحاب إسماعيل[١] بالبصرة : أنّ القرآن مخلوق ، بحضرة غوغاء من العوام ، فوثبوا عليه ، وحملوه إلى نزار الضبيّ[٢] ، وكان أميراً على البصرة ، فحبسه .

فطاف إسماعيل على المعتزلة ،فجمع [١٦٩ ط] منهم أكثر من ألف رجل، وبكّر بهم إلى باب الأمير ، فاستأذن عليه ، فأذن له .

فقال : أعزّ الله الأمير ، بلغنا أنّك حبست رجلاً لأنّه قال : أنّ القرآن مخلوقٌ ، وقد جئناك ، ونحن ألف ، وكلّنا يقول : أن القرآن مخلوق ، وخلّفنا من أهل البلد أضعاف عددنا ، يقولون بمقالتنا ، فإمّا حبست جميعنا مع أخينا ، أو أطلقته معنا .

قال : فعلم أنّه متى ردّهم ثارت فتنة لا يأمن عواقبها ، وانّ الرأي يوجب الرفق بهم .

فقال : بل نطلقه لكم .

فأطلقه ، وانصرفوا به عدْواً .

---

١ يعني من المعتزلة أصحاب إسماعيل الصفار ، راجع القصة السابقة ٢/١٠٧ من النشوار .

٢ أبو معد نزار بن محمد الضبي : من عمال الدولة العباسية ، كان في السنة ٢٨٨ عاملا في إحدى جهات الثغر ، وفي السنة ٢٩٢ كان عاملا على البصرة ، وفي السنة ٢٩٤ على الكوفة ، ثم ولي شرطة بغداد ، وعزل عنها سنة ٣٠٦ ، راجع تاريخ الطبري ١٠/٨٥ و ١١٨ و ١٣٥ والكامل لابن الأثير ٧/٥١٠ و ٨/١١٣ .

١٠٩

دفن أبي هاشم الجبائي وأبي بكر بن دريد
في يوم واحد

حدّثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الإيذجيّ القاضي [١] ، قال :
لمّا توفي الشيخ أبو هاشم الجبائي [٢] ، ببغداد ، اجتمعنا لدفنه ، فحملناه إلى مقابر الخيزران [٣] ، في يوم مطير ، ولا يعلم بموته أكثر الناس ، وكنا جماعة في الجنازة .

فبينا نحن ندفنه ، إذ حملت جنازة أُخرى ومعها جُمَيْعَةٌ عرفتهم بالأدب .

فقلت لهم : جنازة من هذه ؟

---

١ أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الإيذجي ، كان أبوه سهل يخلف القاضي أبا القاسم التنوخي – والد المؤلف – على القضاء بإيذج ورامهرمز ، ثم أصبح من ندماء الوزير المهلبي ، وغلب عليه (معجم الأدباء ٥ / ٣٣٤ والقصة ٢ / ١ و ٣ / ١٧٨ من النشوار) .

٢ أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي (٢٧٧ – ٣٢١) هو وأبوه من رؤساء المعتزلة ولكل منهما تصانيف وتلامذة ، وكان يصرح بخلق القرآن كأبيه ، ويقول بخلود الفاسقين في النار ، وإن التوبة لا تصح مع الإصرار عليها ، وكذلك لا تصح مع العجز عن الفعل ، فمن كذب ثم خرس ، ومن زنا ثم جب ذكره ، لا تصح توبتهما ، وكان ينكر كرامات الأولياء (المنتظم ٦/٢٦١ والأعلام ٤/١٣٠ ووفيات الأعيان ٢/٣٥٥) .

٣ مقابر الخيزران هي المدفون بها الإمام أبو حنيفة (مراصد الاطلاع ١/ ٤٩٥) ، أما أبو هاشم الجبائي . فقد دفن في مقابر البستان من الجانب الشرقي (وفيات الأعيان ٢/٣٥٥) وأبو بكر بن دريد دفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم (وفيات الأعيان ٣/٤٥٢) .

فقالوا : جنازة أبي بكر بن دريد[1] .

فذكرت حديث الرشيد ، لمّا دفن محمد بن الحسن[2] والكسائي[3] بالريّ في يوم واحد[4] .

قال : وكان هذا في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة[5] ، فأخبرت أصحابنا بالخبر ، وبكينا على الكلام والعربية طويلاً ، وافترقنا .

---

١ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ – ٣٢١) : ولد بالبصرة ، وبها تأدب ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً ، تذاكروا المنتزهات يوماً وابن دريد حاضر ، فقال بعضهم : أنزه الأماكن غوطة دمشق ، وقال آخرون : بل نهر الأبلة ، وقال آخر : بل سغد سمرقند ، وقال بعضهم : نهروان بغداد ، وقال بعضهم: شعب بوان بأرض فارس ، وقال بعضهم : نوبهار بلخ ، فقال ابن دريد : هذه منتزهات العيون ، فأين أنتم عن منتزهات القلوب ؟ قلنا : وما هي يا أبا بكر ؟ قال : عيون الأخبار للقتيبي ، والزهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن طاهر (معجم الأدباء ٦/٤٨٣) .

٢ محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (١٣١ – ١٨٩) أبو عبد الله ، إمام في الفقه والأصول . ولد بواسط ونشأ بالكوفة ، ودرس على أبي حنيفة ، ولاه الرشيد القضاء ، ثم صحبه معه إلى الري فمات هناك (الأعلام ٦/٣٠٩) .

٣ الكسائي : علي بن حمزة الأسدي ، أبو الحسن ، إمام في اللغة والنحو والقراءة ، كوفي سكن بغداد ، وتوفي بالري عن سبعين عاماً سنة ١٨٩ (الأعلام ٥/٩٣) .

٤ عندما سافر هارون الرشيد إلى خراسان صحبه محمد بن الحسن الشيباني وعلي بن حمزة الكسائي ، فتوفيا في يوم واحد ، ولما دفنا قال هارون : دفنت الفقه والعربية بالري ، وكان ذلك سنة ١٨٩ (وفيات الأعيان ٢/٤٥٨ و٣/٣٢٤) .

٥ الصحيح : إحدى وعشرين وثلثمائة .

١١٠

بين الهبيري وابن أبي خالد الأحول

حدّثني [١٤٢ ب] أبي ، رضي الله عنه ، بإسناد ذكره :

أنّ رجلاً من شيوخ الكتاب يعرف بالهبيريّ ، لزمته العطلة ، وأضرّت به ، فكان يلازم ابن أبي خالد الأحول[١] ، وهو إذ ذاك يدبّر أمر الوزارة . فطالت ملازمته داره ، وكان ابن أبي خالد يستثقله ، فحُجِبَ عن الدار .

فكان يبكّر كل يوم فيقف على دابّته بالباب ، حتى يخرج الوزير ، ثم ينتظر إلى أن يعود ، ويدخل الوزير ، وينصرف هو .

فطال ذلك على الوزير ، حتى بَرِمَ به ، فقال لكاتب له : إلقَ هذا الرجل ، وقل له : إنّه لا تصرّف لك عندي ، ولست أحب أن أراك في كل وقت ، فانصرف عني ، ولا تقرب بابي .

قال الكاتب : فاستحييت أن أؤدّي عن صاحبي مثل هذه الرسالة إلى شيخ من جلّة[٢] الكتاب ، وإن كان الزمان قد حطّه ، وعلمت أنّ ذلك قد صدر عن الوزير ، لسوء رأيه فيه ، ومقته له ، واستثقاله إيّاه .

فصرت إلى منزلي ، وأخذت معي خمسة آلاف درهم ، وصرت إلى الهبيري ، فقلت :

الوزير أعزّه الله ، يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : هوذا تشق عليّ رؤيتك بالباب ، والأشغال تقطعني عنك ، ولا تصرّف عندي أرتضيه لك في هذا الوقت ، وقد حملت إليك خمسة آلاف درهم ، فاستعن بها في نفقتك ،

---

١ أحمد بن أبي خالد الأحول : من عقلاء الرجال ، كان كاتباً سديداً فصيحاً ، استوزره المأمون ، وظل وزيره إلى أن توفي في السنة ٢١٠ (الفخري ٢٢٤) .

٢ في ب : جيل ، والتصحيح من ط .

والزم دارك ، واربح العناء ، فإذا سَنَحَ عندي شغل يصلح لك، استدعيتك.

قال : فاستشاط الشيخ ، وقال : جعلني من الشحاذين[1] والمستميحين ، ينفذ إليّ برفد ، والله لا قبلته .

قال: فاستجهلته ، وداخلني غيظ [١٧٠ ط] من فعله ، فقلت : يا هذا ، والله ، ما هذه الدراهم من مال الوزير ، ولا هي إلاّ من مالي ، ورسالته أقبح مما تذهب إليه ، وإنّي كرهت تلقّيك بها ، وأنت من شيوخ هذه الصناعة ، فتحمّلت لك هذا الغرم من مالي ، من غير علم صاحبي ، صيانة لك وله .

فقال : أمّا أنت ، فأحسن الله جزاءك ، ولا حاجة بي إلى مالك ، ولو مصصت الثماد[2]، ولكن أنشدك الله، إلاّ ما أبلغتني رسالته بعينها ، وحُزْتَ بذلك شكري .

قال : فأدّيتها إليه على حقّها وصدقها .

قال : فقال : أحب أن تتحمّل الجواب .

فقلت : قل .

قال: تقول له: والله ، ما آتيك لك نفسك، وإنّما أنت رجلٌ قد صرت باباً لأرزاقنا ، إذ كنا لا نحسن صناعة غير الكتابة ، ولا تصرّف فيها إلاّ من عندك ، ومن أراد دخول الدار ، يجب أن يأتيها من بابها ، وعلى الإنسان أن يتعرّض للرزق ، ويأتي بابَهُ ، فإن قسم الله له منه شيئاً ، أخذه ، وإلاّ كان قد أدّى [١٤٣ ب] ما عليه .

وليس يمنعني استثقالك لي ، من قصدك ، فإن قسم الله لي شيئاً من

---

١ في ب : الشحاذة ، والتصحيح من ط والشحاذ : المتسول ، وجمعه شحاذون وشحاحذة .

٢ الثماد ، بكسر الثاء : مفردها ثمد ، الماء القليل يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف ، أو الحفرة يجتمع فيها ماء المطر .

جهتك ، أو على يدك ، أخذته على رغمك ، وإلاّ فلا أقلّ من أن أؤذيك برؤيتي ، كما تؤذيني بعطلتي .

قال : فانصرفت متعجّباً منه ، ولم أعد على الوزير ذلك ، لئلا يغتاظ ، وتغافلت يومي .

فلما كان من الغد ، بكّر الوزير خارجاً من داره ، وأنا معه ، فإذا بالشيخ ، فلما رآه ، التفت إليّ ، وقال : ألم أنفذك إليه برسالة ؟

قلت : بلى .

قال : فلِمَ عاد ؟

قلت : الخطب طويل طريف ، وإذا اطمأنّ الوزير في مجلسه حدّثته .

قال : فلمّا نزل في طيّاره ، قال : أخبرني بما جرى .

فقصصت عليه القصّة ، وحملي الدراهم من مالي ، وما جرى بأسره ، وأدّيت إليه رسالته بعينها ، فكاد أن يطير غيظاً .

وانتهى الكلام ، وقد قدّم الطيّار[1] إلى دار الخلافة ، فدخل إليه وفي نفسه حديث الهبيري ، والغيظ منه ، فوقف بحضرة الخليفة، وجرى الكلام .

فقال له الخليفة : قد ألطّ[2] عامل مصر بالمال ، وجنح إلى المدافعة ، فاختر رجلاً شهماً ، ننفذه مشرفاً عليه ، ومطالباً بما مضى .

---

١ قدم الطيار أو القارب : اصطلاح بغدادي بمعنى أرساه على الشاطىء ، وهذه الكلمة مستعملة إلى الآن عند القواربية ، والعامة ببغداد يسمون القارب: بلم، ويجمعونه على : ابلام وبلمات ، ويسمون القواربي: بلام ، واحسب أن لفظة بلم محرفة عن برم ، جمعها برمات ، نوع من القوارب التي كان استعمالها شائعاً ببغداد في القرن الرابع الهجري في العهد العباسي ، راجع حكاية أبي القاسم البغدادي ١٠٧ وللاطلاع على تفصيل أنواع وأسماء المراكب والسفن في ذلك العهد ، راجع معجم المراكب والسفن في الإسلام للعلامة حبيب زيات ، نشر بمجلة المشرق ، آب – كانون الأول ١٩٤٩ السنة ٤٣ .

٢ ألط : امتنع عن أداء ما بذمته من حقوق .

قال : وكان ابن أبي خالد يعتني برجل متصرّف يقال له الزبيريّ، فأراد أن يسمّيه لذلك، فقال : الهبيريّ، لما كان في نفسه منه، وقرب العهد بذكره ، والغيظ من أمره .

فقال الخليفة : أوَيعيش الهبيري ؟

قال : يا أمير المؤمنين لم أرد الهبيري ، وإنّما أردت فلان بن فلان الزبيريّ .

قال: يجوز أن تكون أردت الزبيري، ولكن أخبرني بخبر الهبيريّ، فقد كانت له بي حرمة[1] في حياة أبي ، وبأسبابنا ، وهو واجب الحقّ علينا .

فقال : نعم ، هو يعيش .

قال : فأنفذه إلى مصر .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه لا يصلح .

قال : ولم ؟

قال : قد اختلّ .

قال : أحضرنيه حتى أشاهده ، فإن كان مختلاً ، أمرت له بصلة وجارٍ ، وإن كان ينهض بالعمل أنفذته .

قال : [١٧١ ط] يا أمير المؤمنين ، إنّه متعطّل منذ سنين ، وقد خمل ، وذهب اسمه ، وصوته ، وهذا عمل يحتاج إلى من له نباهة .

قال : إذا أقبلنا عليه ، وندبناه لمثل هذا الأمر العظيم ، تجدّد ذكره ، وتطرّى أمره .

قال : إنّه لا حال له تنهضه .

قال : يطلق له من مالنا مائة ألف درهم ، يصلح بها حاله ، ويحمل إليه

---

١ في ب و ط خدمه ، والتصحيح من مرجليوث .

من البغال والدواب والخيم والآلات .

قال : فأخذ يعتلّ عليه .

قال : أرى فيك تحاملاً عليه ، لتَصْدُقَنّي عن أمره معك .

فلجلج .

فقال : بحياتي أصدقني ، فصدقه عن الخبر .

فقال الخليفة : قد والله أجرى الله عزّ وجل رزقه على يدك بالرغم منك ، كما قال ، ووالله لا [١٤٤ ب] برحت ، أو تكتب عهده ، ويوصل بجميع ما أمرت به .

ثم قال : عليّ بالهبيري .

فأحضر ، وخرج ابن أبي خالد عليه ، فقال :

يا هذا ، قد والله جاء رزقك على يدي بالرغم مني ، وجرى كذا وكذا ، وأخبره الخبر[١] ، وسلّم إليه التوقيعات بما أمر له به الخليفة ، والكتب إلى مصر ، وواقفه[٢] على العمل ، وأخرجه إليه .

---

١ في ب : وأخبره بالخبر .

٢ في ب : واقعه ، وفي ط : وافقه ، والتصحيح من مرجليوث .

١١١

بين ابن أبي الأضخم
وابن أبي خالد الأحول

وحدّثني أيضاً عن ابن أبي خالد هذا ، قال : كان بغيضاً[١] .

قال : فاتّفق أن بكّر إليه يوماً رجلٌ شيخٌ من شيوخ الكتّاب ، يقال له : ابن أبي الأضخم[٢] متعطّلاً ، قد طالت عطلته ، يغتنم أن يراه سحراً خالياً[٣] فيشكو إليه حاله ، ويسأله التصرّف .

فبكّر بكوراً شديداً ، فتلقّاه برد قبيح ، وقال له : أيش هذا المهمّ في مثل هذا الوقت ؟

قال : فاحتدّ عليه الشيخ ، وقال : ما العجب منك ، العجب منّي ، حين ربطت أملي بك ، وأسهرت عيني توقّعاً للفجر في البكور إليك ، وأسهرت عيالي وغلماني وتحمّلت التجشّم إليك ، وأنزلت بك حاجتي ، حتى تتلقّاني بمثل هذا ، وعليّ ، وعليّ ، وحلف بأيمان البيعة، لا دخلت دارك أبداً، ولا سألتك حاجة، ولا طلبت منك تصرّفاً ، أو تجيئني إلى داري معتذراً ممّا تلقّيتني به ، وتقضي حاجتي في منزلي ، ونهض .

فلمّا صار الرجل إلى منزله نَدِمَ ندماً شديداً ، وقال : هذا رجل لئيمُ الطبعِ ، سيء الظَفَرِ ، شرس الخلق ،وأنا مضطرّ إلى لقائه ، ومساءلته في حوائجي ، فلِمَ حَلَفْتُ بهذه اليمين ؟

وما أحد أسوء حالاً منّي ، فإنّ هذا الوزير لا يفكر فيّ ، ولا يجيئني والله أبداً ، ولا يكون لي طريقٌ إلى قصده .

---

١ البغيض : تعبير عباسي يطلق على من كان شديد التزمت أو كان سيء المواجهة عبوساً .

٢ في ب : الأضجم .   ٣ في ب : جالساً .

ويحسّ العمال بذلك ، فيخرّبون ضيعتي ، وتدوم عطلتي ، ويلحقني كيت وكيت .

وأقبل يلوم نفسه ويؤنّبها ، ويفكّر كيف يعمل ، وقد أسفر النهار وتعالى ، إلى أن صار نحو ساعتين .

فدخل إليه غلمانه فقالوا : يا سيّدنا ، الوزير مجتاز في شارعنا .

فقال : وما علينا منه .

فدخل آخر فقال : يا سيدي ، قد والله عَدَلَ من الشارع إلى دربنا .

[ودخل آخر فقال : يا سيّدي ، إنّه يقصد دارنا] [1] .

وتَبادرَ الغلمان ، فقالوا : قد صار بالباب ، يستأذن عليك .

قال : فنهض الشيخ ، وخرج إليه ، وقبّل يده ، وقال : [١٧٢ ط] أبيت ، أيّدك الله ، إلاّ الأخذ بالفضل .

قال : لا تشكرني ، واشكر أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، على ذلك .

ودخل إليه فقال : إنّك انصرفت ، وقد أمضّني خطابك ، وقد كان ما خاطبتك به على ضجر منّي ، وعلى غير اعتقاد .

وركبتُ في الحال إلى الخليفة ، فخاطبني ، وأنا مشغول القلب بما دار بيننا فوجد كلامي مضطرباً ، وأقسم عليّ لأخبرنّه ، فأخبرته ، فأخذ يعذلني ويوبّخني على ما [١٤٥ ب] لقيتك به .

وقال : لا تقف ، إمض إليه الساعة معتذراً ، وأخرجه من يمينه [2] ، واقض حاجته ، وانظر في أموره .

قال : ثم دعا بدواة ، فوقّع لي بما كنت سألته ، وبمال وصلني به ، وتصرّف قلّدنيه ، ونَهَض .

فشكرته ، ودعوت للخليفة ، وحمدت الله تعالى على ما وفّقه لي .

---

١ الزيادة من ط .
٢ في ب : بيته .

١١٢

إذا نزل القضاء لم ينفع الدعاء

حدّثني أبو الحسن بن سهيل الحذّاء، قال : حدّثني أبو الحسن علي بن عبد الله [الحذّاء] [١] ، قال : حدّثني جعفر الخلدي[٢] الصوفي ، قال :

كنّا مع ابن واصل الصوفي في سنة إحدى عشرة بالهبير[٣] .

فلما أُخذَ الناسُ في الوقعة ، وبدأ السيف في أهل القافلة ، اجتمعنا إليه ، فقلنا : تدعو الله لنا أن يخلّصنا .

قال : ليس هذا وقت الدعاء ، هذا وقت الرضا والاستسلام ، إنّه إذا نزل القضاء ، لم ينفع الدعاء .

---

١ الزيادة من ب .

٢ في ب : الخالدي ، والتصحيح من ط ، والنسبة إلى محلة الخلد ببغداد ، أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم الخواص الصوفي ، سافر كثيراً ، وروى علماً جماً ، وحج ستين حجة ، ترجم له السمعاني في الأنساب ٢٠٥ والخطيب في تاريخه ٧/٢٢٨ والمنتظم ٦/٣٩١ ، راجع القصص ٣/٧٣ و ٣/٧٤ و ٣/٧٥ و ٣/٧٦ و ٣/٧٧ و ٦/٣٢ من النشوار .

٣ وقعت وقعة الهبير يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة اثنتي عشرة وثلثمائة واستبيحت فيها قافلة الحجاج بعد أن أكملوا حجهم في ذي الحجة سنة أحدى عشرة وثلثمائة . انظر حاشية القصة ١ / ١٠٨ من النشوار .

١١٣

من شعر ابن الحجاج البغدادي

حضرت أبا عبد الله بن الحجّاج الكاتب البغدادي[١] ، صاحب السفَه في شعره ، ينشد أبا الفضل الوزير لنفسه ، يوم قُبِضَ ببغداد على حرم أبي الفرج محمد بن العباس وأسبابه[٢] وأطلق الوزير أبو الفضل العبّاس بن الحسين[٣] ،

---

١ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد ، المعروف بابن الحجاج البغدادي ، ترجمته في حاشية ترجمة المؤلف في صدر الجزء الأول من النشوار .

٢ كان الوزير أبو الفرج سافر إلى الأهواز لإصلاح أمورها ، فكتب بختيار إلى عامل الأهواز بالقبض عليه ، وقبض ببغداد على حرمه وأسبابه ، حتى إنه قبض على أخيه وهو في مجلس المنادمة (تجارب الأمم ٢/٢٨٤) .

٣ ولي أبو منصور ، بختيار ، عز الدولة ، الحكم بعد وفاة والده معز الدولة ، في السنة ٣٥٦ ، وهو ابن خمس وعشرين سنة (الأعلام ٢ / ١١) ، وكان مثالا في سوء التصرف وقلة الوفاء (تجارب الأمم ٢/٢٥٩ و٣٠٧)، وعندما ولي الحكم، قلد الوزارة في السنة ٣٥٧ أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، زوج زينة ابنة الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي ، (تجارب الأمم ٢ / ٢٤١) ، وعزله في السنة ٣٥٩ واعتقله ، ثم أعاده للوزارة في السنة ٣٦٠ (تجارب الأمم ٢ / ٢٦٩ و ٢٨٣) ، وفي آخر السنة ٣٦٢ عاد فقبض عليه ، وعلى جميع أسبابه ، وصادره على مائة ألف دينار ، فلما صحح أكثرها ، أخرجه إلى الكوفة ، وقتله بالسم على ما يقال (تجارب الأمم ٢/٣١٣) ، وعندما قبض بختيار على الوزير أبي الفضل ، راسل زوجته زينة ، وطلب منها أن تتزوجه ، وتعهد لها أن يضطر زوجها إلى أن يطلقها ، فردت عليه أقبح رد ، وأنكرت عليه هذا الطلب ، فاشتد في البحث عنها ، وبعد اليأس من العثور عليها ، وجدوا بظاهر الخلد ببغداد محملا مغطى فيه جثة امرأة في ثياب خلقة ، وعند رأسها رقعة مكتوب عليها ، إنها زينة ابنة الوزير الحسن بن محمد المهلبي ، فوافى القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي الهاشمي ، فاحتملها إلى داره ، وتولى أمرها ، ودفنها في مقابر قريش (الكاظمين) ، رحمها الله رحمة واسعة ، (كتاب الملح والنوادر للحصري ٢٧٩) ، راجع تاريخ الحكماء لابن القفطي ٤٠٢ بشأن سياسة بختيار ، وحاشية القصة ١ / ١٠٣ من النشوار للمقارنة بين خاتمة جميلة الحمدانية وخاتمة زينة المهلبية .

وتقلّد الوزارة ، وكان محبوساً في دار أبي الفرج ، فجلس فيها أكثر يومه .

وكان ذلك اليوم ، يوم الثلاثاء ، لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ستين وثلثمائة[1] ، وخلِع عليه في الغد ، وهو يوم الأربعاء .

وكان القبض عليه يوم ثلاثاء ، وخُلِعَ على أبي الفرج للوزارة ، صارفاً له ، يوم الأربعاء ، وبين الأمرين أربعمائة يوم ، وجاء أبو الفرج فجلس في دار أبي الفضل ، ونظر في الوزارة :

يا سيّداً طلعته لم تزل أشهى إلى عيني من النوم

لم تظلم الناس وحاشاك أن تحيف بالظلم على القوم

جازيتهم مثل الذي أسلفوا في الدار والمجلس واليوم

ثم خرج عن مجلسه .

فجلس جماعة في دار الوزير أبي الفضل ، فأنشدنا شيخ حضر من الكتاب لابن زريق الكاتب[2] في مثله ، وهو أبو القاسم ابن زنجي[3] ، قال أنشدني ابن

---

١ في تجارب الأمم (٢/٢٨٤) أن ذلك كان يوم الثلاثاء آخر ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٠ ، وبالرجوع إلى كتاب التوفيقات الإلهامية لأحمد مختار : إن أول شعبان سنة ٣٦٠ هو يوم الثلاثاء ، وعلى ذلك فإن ١٧ شعبان يصادف يوم الخميس ، وآخر رجب يصادف يوم الاثنين .

٢ أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب : ذكره الثعالبي في اليتيمة (٢/ ٣٧٧) وأورد هذه القصة مع الشعر .

٣ ابن زنجي : أبو القاسم إسماعيل بن أبي عبد الله محمد الملقب زنجي بن إسماعيل الأنباري الكاتب ، كان أبوه يكتب لا بن الفرات قبل وزارته ، وفي أيامها ، وكتبا له معاً أيام الوزارة ، وهما مصدر الكثير من أخبار ابن الفرات في وزارته وقبلها (الوزراء للصابي ٣٠ – ٣٢٨) .

زريق لنفسه في الكوفيّ[1] ، لما صُرِفَ :

إنّا لقينا حجاباً منك أرمضنا فلا يكن ذلّنا فيه لك الغرضا

فاسمع مقالي ولا تعجل عليّ فما أبغي بنصحك لا مالاً ولا عرضا

في هذه الدار في هذا المكان[2] على هذي الوسادة كان العزّ فانقرضا[3]

---

١ الكوفي : أبو عبد الله أحمد بن علي ، كان يخدم الوزير بن مقلة ، ثم اتصل بالبريدي ، وعاد إلى بغداد فكتب لبجكم ، ومن بعده لابن رائق ، ثم لناصر الدولة ، وكان ظالماً عاتياً (تجارب الأمم ١/ ٢٧١ – ٤١٦ و ٢/ ٢ – ٤٤ والكامل ٨/ ٣٦٤ – ٤٠٤) . راجع القصتين ٨/٦٩ و ٨/٧٠ من النشوار .

٢ في ط : الرواق .

٣ وردت الأبيات في اليتيمة أربعة ، وفيها بعض الاختلاف عما ورد في النشوار ، وهي :

إنا رأينا حجاباً منك قد عرضا فلا يكن ذلنا فيه لك الغرضا

اسمع لنصحي ولا تغضب علي فما ابغي بقولي لا مالا ولا عرضا

الشكر يبقى ويفنى ما سواه وكم سواك قد نال ملكاً فانقضى ومضى

في هذه الدار في هذا الرواق على هذا السرير رأينا الملك فانقرضا

١١٤
عائدة الجهنية تنظم الشعر الحسن

أنشدتني عائدة[١] بنت محمد الجهنيّة لنفسها ، وهذه امرأة فاضلة ، كاتبة [١٧٣ ط] كانت زوجة عم الوزير ابن شيرزاد[٢] ، وخليفته على كتابة بجكم[٣] وسَبَكْتكين[٤] في الديوان الذي كان لأبي جعفر ، وجاءه ابن زريق ، فحجب ، ثم دخل بحيلة على ما أخبرنا .

قال ، فأنشدته [١٤٦ د ب] هذه الأبيات[٥] ، فلما وَلي الوزارة ، نَفَعَهُ ، واستخدمه .

فلما قَبَض على الحسن بن علي المنجّم[٦] ، وحبس ابنته في دار أبي [رضي الله عنه][٧] وكَّل هذه المرأة بها ، وهي إذ ذاك عجوز ، فكانت تناشدنا الأشعار ، وتنشدنا لنفسها كل شيء جيّد .

فأخبرتني أنّها قالت تهجو أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخيّ ، لما وَلي

---

١ في ط : عابده .

٢ أبو جعفر بن شيرزاد : ترجمته في حاشية القصة ٢ / ١٧٧ من النشوار .

٣ كتب أبو جعفر للقائد بجكم في السنة ٣٢٧ إذ جاءه رسولا من ابن رائق ، فاحتبسه عنده ، وتوفي الوزير أبو الفضل ابن الفرات المعروف بابن حنزابة ، فنصب بجكم أبا جعفر وزيراً ، مكانه (تجارب الأمم ١/٤٠٨ و٤٠٩) .

٤ كذا في الأصل ، والصحيح توزون ، فإن أبا جعفر لم يكتب لسبكتكين ، وكانت كتابته لتوزون في السنة ٣٣١ حيث وافى أبو جعفر بغداد هارباً من البريدي ، فتلقاه توزون في دجلة ، وسربه ، وقال له : يا أبا جعفر ، كملت إمارتي بك ، وتمت النعمة عندي لأجلك ، أنت أبي ، وهذا خاتمي ، فدبرني ، وصرفني على رأيك (تجارب الأمم ٢/٤٥) .

٥ هي الأبيات الضادية المنشورة في القصة السابقة .

٦ راجع القصة ١ / ٤ من النشوار .

٧ الزيادة من ط .

الوزارة ، وتعيبه بقصر قامته ، [وهزاله][1] :

شاورني الكرخيّ لما دنا الـ نيروز والسنّ له ضاحكه
فقال ما نهدي لسلطاننا من خير ما الكفّ له مالكه
قلت لـه كل الهدايا سوى مشورتي ضائعة هالـكه[2]
أهد له نفسك حتّى إذا أشعل ناراً كنت دوباركه[3]

أنشدتني ذلك في سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة[4] .

الدوباركه : كلمة أعجمية ، وهي اسم للعب على قدر الصبيان يخلّونها[5] أهل بغداد في سطوحهم ليالي النيروز المعتضدي ، ويلعبون بها ، ويخرجونها في زيّ حسن ، من فاخر الثياب والحلي ، ويحلّونها كما يفعل بالعرائس ، وتخفق بين يديها الطبول والزمور ، وتشعل النيران .

١ الزيادة من ط . أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي : من رجال الدولة العباسية ، ولي الجبل ، وديوان السواد ، وقطعة من المشرق كبيرة ، والبصرة ، والأهواز ، ثم تقلد عدة دواوين كبار جليلة بالحضرة ، ثم تقلد الوزارة للراضي ، وكان قصيراً ، فاحتيج بسبب قصره ، إلى أن ينقص من ارتفاع سرير الملك ، فنقص منه أربع أصابع مفتوحة ، ثم وزر للمتقي ، واختلفت عليه الأحوال في الوزارة ، فاستتر ، بأن قلع رأس مزملة ، واختبأ في بطنها ، وأخرجت على أنها مزملة ، ثم ظهر وصودر ، وكان يخرج إلى عمله ومتاعه على ستمائة بغل ودابة ، وكان له نيف وأربعون طباخاً ، وآلت حاله في آخر عمره إلى الفقر الشديد ومات بمنزله ببغداد سنة ٣٤٠ (معجم البلدان ٤ / ٢٥٣ وتجارب الأمم ١/٣٣٨ والفخري ٢٨١ والقصة ٣ / ١٠٧ من النشوار) .

٢ انفردت ب بهذا البيت .

٣ دوباركه : دمية كانت تتخذ من القماش في النيروز ، وقد فسرها صاحب النشوار .

٤ في زمن الخليفة المطيع والأمير معز الدولة البويهي ، وكان المؤلف في الخامسة عشرة .

٥ في ط : يحملونها، ويخلونها : لغة بغدادية فصيحة بمعنى يضعونها أو يتركونها،أقول : لا وجود للدوباركه الآن في بغداد .

فهجته هذه المرأة بما تحقّق عندي أنّها صادقة فيه ، لأنّه يليق بكلام النساء .

وقد كانت تنشدني لنفسها أفحل من هذا الكلام ، وكتبت ذلك عنها ، وهو ثابت في مواضع من كتبي ، وما تعلّق بحفظي لها غير هذه الأبيات .

١١٥
لو كان هذا المخنث شاعراً
كان أشعر الناس

حدّثني أبي [١] ، قال : كنت أماشي المعوجّ الشاميّ الشاعر ، ببغداد ، وكان دقيقاً ، دقيق الوجه ، أشهل ، معوجّ الوجه .

فلقينا مخنّثٌ ، فولع به المعوجّ .

فقال له المخنّث : لا تسكت ، يا من كأنّه ديك يطّلع في سطل ماء .

فأسرع المعوج من يده ، وقال : لو كان هذا شاعراً كان أشعر الناس ، والله ما شبّهني أحد ، أصحّ من تشبيهه .

---

١ أبو القاسم علي بن محمد التنوخي القاضي .

١١٦
بين مخنث وامرأة

حدّثني أبو الطيّب بن هرثمة ، قال :

كنت مجتازاً ببغداد ، ومُخَنّثٌ يمشي ، فرأته امرأة ، وكان حسن البدن [١] .

فقالت : ليت على ابنتي شحم هذا المخنّث .

قال : فقال لها المخنّث : مع بغائي ، فشتمته .

فقال لها : كيف صار ، تأخذين الجيّد ، وتدعين الرديء .

١١٧
بين مخنث ومغنية

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال :

سمعت مخنّثاً يُهاتِرُ [٢] مغنّية ، فقال لها : لا تسكتين ، وحِرُكِ كأنّه دكّان حجام ، داخله دم ، وخارجه شعر .

---

١ حسن البدن : يعني سميناً .

٢ هتر عرض فلان : مزقه ، والمهاترة هي السباب والشتيمة .

١١٨

بين مخنث وامرأة تولعت به

قال[١] : وبَلَغني أنّ مخنّثاً قال لامرأة تولّعت[٢] به :

اشتغلي بِحِرْكِ الذي قُطِعَ لسانُهُ ، وسوّد وَجْهُهُ ، وجعل إلى جانبه كنيفٌ يَنْجَرُّ إليه .

١١٩

فتى يهاتر مغنية

قال[٣]: وهاتر صديقٌ لنا مغنّيةً ، فقال لها : يا من خِرَقُ حيضها حشو مسورة[٤] .

---

١ أبو الحسين بن عياش .

٢ ولع به وتولع به : عبث به .

٣ أبو الحسين بن عياش .

٤ يعيرها بالسعة ، لأن المسورة وسادة كانت تتخذ متكأ ، وسميت كذلك لعلوها وارتفاعها فكانت تحشى بمقدار وافر من القطن أو الخرق .

١٢٠

الحر العاملي ومكاشفته باللواط

حدّثني أبو الطيّب بن هرثمة ، قال [١٧٤ ط] :

كان الحرّ العامليّ ، مكاشفاً[١] [١٤٧ب] باللّواط ، حتّى أنّه كان يقول لغلامه ، بحضرة الناس : إمض إلى البيت الذي نكتك فيه البارحة ، فجئني منه بكذا .

قال : فقال ليلة لغلام له : أعطني فرداً .

فقال : لا أفعل .

قال : ولِمَ ؟

قال : هي ليلة جمعة .

قال : وأيّ فرقٍ بينها وبين غيرها من اللّيالي ؟

قال : الذنب فيها يكتب ذنبين .

قال : فاحسب أنّ ليلة السبت قد تنايكنا فردين .

---

١ في ط : مشغوفاً باللواط ، مكاشفاً به .

١٢١

أبو عيسى ابن بنت أبي نوح

ومكاشَفَتُهُ بالبغاء

قال[١] : وكان أبو عيسى ابن بنت أبي نوح ، مكاشفاً بالبغاء[٢] .

فقال يوماً رَجُلٌ بحضرته : فلان بغّاء .

فقال : لا ، ولا كرامة ، من ذلك العاميّ السفلة ، حتّى يكون بغّاء ؟ بأيّ أبوة ؟ بأيّ نعمة ؟ بأيّ كتبة ؟ بأيّ صناعة ؟ بأيّ ملوكية ؟ بأيّ عرقٍ ؟ .

---

١ أبو الطيب بن هرثمة .

٢ البغي في اللغة الفساد والاعتداء ، وفي الاصطلاح : المرأة البغي : الزانية ، والرجل البغاء: الذي يؤتى .

١٢٢
الصولي والإسفيذباج بالمباعر المحشوة

قال[١] : وأكلنا يوماً مع الصولي[٢] في داره ، فقدمت إسفيذباج[٣] بمباعر محشوّة[٤] . فأقبل يحثّنا على أكل الحشوات .

حتى قال في جملة الكلام : ومن فضلها ، وطيبها ، إنّها تشبه زباب المراهقين .

قال : فقلت لصديق كان إلى جانبي : كاشف هذا أيضاً بما يرمي به من البغاء .

---

١ أبو الطيب بن هرثمة .

٢ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٦٠ من النشوار .

٣ في ب : اسفاذباج ، والاسفيذباج : طعام مكون من اللحم المعرق بالالية مع الحمص والبصل والكسفرة والكمون ومستحلب اللوز ، راجع كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن البغدادي ط بيروت ص ٣١ .

٤ الإمعاء المحشوة يسميها البغداديون : منبار، ولعلها من النبر ، وهي اللقم الضخام .

١٢٣

لم أمرّضه فأسلو   لا ولا كان مريضا

حدّثني أبي[١] قال :

خرج إلينا يوماً ، أبو الحسن الكاتب[٢] ، فقال : أتعرفون ببغداد رجلاً يقال له : ابن أصدق ؟

قال : فلم يعرفه من أهل المجلس غيري ، فقلت : نعم ، فكيف سألت عنه ؟

فقال : أي شيء يعمل ؟

قلت : ينوح على الحسين عليه السلام .

قال : فبكى أبو الحسن ، وقال : إنّ عندي عجوزاً ربّتني من أهل كرخ جُدّان[٣] عِفطية[٤] اللسان ، الأغلب على لسانها النبطية ، لا يمكنها أن تقيم كلمة عربيّة صحيحة ، فضلاً عن أن تروي شعراً، وهي من صالحات نساء المسلمين ، كثيرة الصيام والتهجّد .

وإنّها انتبهت البارحة في جوف الليل ، ومرقدها قريب من موضعي ، فصاحت بي : يا أبا الحسن .

فقلت : ما لك ؟

فقالت : الحقني .

---

١ والد المؤلف : أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي .

٢ أبو الحسن الكاتب : أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الأهوازي الكاتب : ترجمته في في صدر القصة ٢ / ١٣٠ من النشوار .

٣ كرخ جدّان : بليد في آخر ولاية العراق ، يناوح خانقين عن بعد ، وهو الحد بين ولاية شهرزور والعراق (معجم البلدان ٤/٢٥٥) .

٤ العفطي (بكسر العين) : الألكن .

فجئتها ، فوجدتها تَرْعُدُ ، فقلت : ما أصابك ؟

فقالت : إنّي كنت قد صلّيت وِرْدي[1] فنمت ، فرأيت الساعة في منامي ، كأنّي في دربٍ من دروب الكرخ ، فإذا بحجرة نظيفةٍ بيضاء ، مليحة الساج ، مفتوحة الباب ، ونساء وقوف عليها .

فقلت لهم : من مات ؟ وما الخبر ؟ فأومأوا إلى داخل الدار .

فدخلت، فإذا بحجرة لطيفة ، في نهاية الحسن، وفي صحنها امرأة شابّة لم أر قط أحسن منها، ولا أبهى ولا أجمل،وعليها ثيابٌ حسنةٌ بياض مرويّ[2] ليّن ، وهي مُلْتَحِفَةٌ فوقها بإزار أبيض جدّاً ، وفي حجرها رأس رجل يشخب دماً .

فقلت : من أنت ؟ .

فقالت : لا عليك، أنا فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه، وهذا رأس ابني الحسين ، عليه السلام ، قولي لابن أصدق عنّي أن ينوح :

لم أمرّضه فأسلو لا ولا كان مريضا [١٤٨ ب]

فانتبهت فزعة .

قال : وقالت العجوز : لم أمرّطه ، بالطاء ، لأنّها لا تتمكّن من إقامة الضاد ، فسكّنت منها إلى أن نامت .

ثم قال لي : يا أبا القاسم [١٧٥ ط] مع معرفتك الرجل ، قد حمّلتك الأمانَةَ ، ولَزِمَتْكَ ، إلى أن تبلّغها له .

فقلت : سمعاً وطاعةً ، لأمر سيدة نساء العالمين .

قال : وكان هذا في شعبان ، والناس إذ ذاك يلقون جهداً جهيداً من

---

١ الورد : الجزء من القرآن يقرأه الإنسان كل ليلة .

٢ مروي : من صنع مرو .

الحنابلة ، إذا أرادوا الخروج إلى الحائر [1] .

فلم أزل أتلطّف ، حتّى خرجت ، فكنت في الحائر ، ليلة النصف من شعبان .

فسألت عن ابن أصدق ، حتّى رأيته .

فقلت له : إنّ فاطمة عليها السلام ، تأمرك بأن تنوح بالقصيدة [التي فيها] [2] :

لم امرّضه فأسلو لا ولا كان مريضا

وما كنت أعرف القصيدة قبل ذلك .

قال : فانزعج من ذلك ، فقصصت عليه ، وعلى من حضر ، الحديث ، فأجهشوا بالبكاء ، وما ناح تلك الليلة إلاّ بهذه القصيدة ، وأوّلها :

أيّها العينان فيضا واستهلاّ لا تغيضا

وهي لبعض الشعراء الكوفيّين .

وعدت إلى أبي الحسن ، فأخبرته بما جرى .

---

1 الحائر : قبر الحسين عليه السلام بكربلاء، وكان الناس لا يستطيعون زيارة الحائر إلا متخفين خوفاً من الحنابلة (القصة ٢/١٧ من النشوار) وكانوا لا يتمكنون من النوح على الحسين وقراءة مراثيه إلا سراً ، أو بعز سلطان ، لأجل الحنابلة ، وبلغ رئيسهم البربهاري أن امرأة تنوح على الحسين عليه السلام فأمر أتباعه بقتلها (القصة ٢/ ١٢٤ من النشوار) .

2 الزيادة من ط .

١٢٤

كان الناس لا يستطيعون النياحة على الحسين

عليه السلام خوفاً من الحنابلة

قال أبي ، وابن عيّاش :

كانت ببغداد ، نائحة مجيدة حاذقة ، تعرف بخلب [١] ، تنوح بهذه القصيدة [٢] .

فسمعناها في دور بعض الرؤساء ، لأنّ الناس إذ ذاك كانوا لا يتمكّنون من النياحة إلا بعزّ سلطان ، أو سرّاً ، لأجل الحنابلة .

ولم يكن النوح إلاّ مراثي الحسين وأهل البيت عليهم السلام فقط ، من غير تعريض بالسلف .

قالا : فبلغنا أنّ البربهاري [٣] قال : بلغني أنّ نائحة يقال لها : خِلْب ، تنوح ، اطلبوها فاقتلوها [٤] .

---

١ خلب : حجاب القلب .
٢ يعني القصيدة المذكورة في القصة السابقة .

٣ البربهاري : الحسن بن علي بن خلف ، كان رئيس الحنابلة ، وكان يدفعهم إلى كثير من أعمال العنف ، فأخذوا يكبسون الدور ، ويعترضون البيع والشراء ، وأرهبوا كل من لا يرى رأيهم ، حتى إن الإمام الطبري رضي الله عنه ، صاحب التفسير والتاريخ ، ظل حبيس داره مدة ، ولما توفي حالوا دون تشييعه ودفنه ، وزاد شرهم وفتنتهم ، واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون إلى المساجد، فإذا مر بهم شافعي المذهب، أغروا به العميان فضربوه بعصيهم ، حتى يكاد يموت ، الأمر الذي اضطر الخليفة الراضي أن يصدر بشأنهم منشوراً ، قال فيه : إن من نافق بإظهار الدين ، وتوثب على المسلمين ، وأكل به أموال المعاهدين ، كان قريباً من سخط رب العالمين ، وغضب الله ، وهو من الضالين . مات البربهاري سنة ٣٢٩ وهو ابن ٩٦ سنة (تجارب الأمم ١/٣٢٢ والكامل ٨/٣٠٧ ومعجم الأدباء ٦/٤٣٦) راجع القصة ٢/١٥٤ من النشوار .

٤ راجع القصة ٢/١٧ و ٢/١٢٣ من النشوار .

العرج عالله

١٢٥
عناية رسول الله صلوات الله عليه
بأبي حسان الزيادي

حدّثني أبي ، رضي الله عنه ، بإسناد ذكره :

أنّ أبا حسان الزياديّ[١] ، كان من وجوه فقهاء أصحابنا ، ومن غلمان أبي يوسف ، وكان من أصحاب الحديث .

وكان تقلّد القضاء قديماً ، ثم تعطّل ، فأضاق ، فلزم مسجداً حيال داره ، يفتي ، ويدرّس الفقه ، ويؤمّ ، ويحدّث ، وإضاقته كل يوم تزداد ، وهو يطلب التصرّف ، أو الرزق ، ولا يظفر به ، وقد نفد ما عنده ، وباع كلّ ما يملكه ، وركِبَهُ دين عظيم .

إذ جاءه يوماً رجل خراسانيّ ، وقد حضر وقت خروج الناس من بغداد إلى مكّة .

فقال له : إنّي أُريد الخروج إلى الحجّ ، وهذه عشرة آلاف درهم معي ، تقبلها وديعة لي ، فإن رجعت من الحجّ رددتها عليّ ، وإن رجع الناس ولم

---

١ أبو حسان الزيادي : الحسن بن عثمان القاضي ، قال عنه التنوخي مؤلف النشوار ، إنه كان من غلمان أبي يوسف القاضي ، وتقلد القضاء قديماً ، ثم تعطل ، وقال عنه الخطيب في تاريخ بغداد إنه كان من خاصة القاضي أحمد ابن ابي دؤاد ، ثم قال : إن المتوكل عينه قاضياً في السنة ٢٤١ ، أي بعد وفاة ابن أبي دؤاد بسنة ، ومما يستلفت النظر أن القصص التي يوردها أبو حسان الزيادي ، تشتمل على الثناء عليه ، والاطراء له ، وهو المخبر بها وحده ، فإن هذه القصة وتتلخص في اهتمام النبي صلوات الله عليه بأبي حسان ، وتشدده على الخليفة في العناية به ، هي من روايته هو ، ولم يكتف أبو حسان بذلك ، فادعى من بعد ، أنه رأى الله سبحانه وتعالى ، ولما طولب بالإيضاح ، قال : إنه رأى في منامه نوراً (تاريخ بغداد للخطيب ٧/٣٥٧) .

أرجع ، فاعلم أنّي هلكت ، وهي لك هبة حلالاً .

قال أبو حسان : فأخذتها إلى منزلي ، وقصصت على زوجتي الخبر .

فقالت : نحن في ضرّ شديدٍ ، فلو تصرفّت فيها من الآن ، وقضيت دينك ، واتّسعت ، فلعل [١٤٩ ب] الله يجعلها لك ، فتكون قد تعجّلت العيش .

فقلت : لا أفعل .

فما زالت في يومي وليلتي ، تحملني على ذلك ، حتى أجبتها إليه من غدٍ ، ففضضت الختم عن الكيس ، وقضيت منه ديني ، وتأثّثت [1] ، وتوسّعْتُ في منزلي ، واشتريت ثياباً لي ، ولها ، ولبناتي ، وأصلحت جميع [١٧٦ط] أمري بنحو خمسة آلاف درهم من ذلك .

ومضى على هذا الحديث ثلاثة أيّام ، أو أربعة ، فانفتلت [2] يوماً عن الصلاة ، فإذا بالخراسانيّ ورائي .

فلما رأيته قامت قيامتي ، وقلت : ما لك ؟

فقال : قد انصرفت [3] عن السفر إلى مكّة ، وأُريد المقام ببغداد ، فتردّ إليّ تلك الوديعة .

فقلت له : لست أتمكّن من ذلك الساعة ، فتجيئني غداً غدوة .

فنهض ، ونهضت إلى منزلي ، وما بي طاقة للمشي ، فيما بين المسجد وبيتي .

فدخلت ، وسقطت مغشياً عليّ ، واجتمع أهلي .

فلما أفقت ، قالوا : ما دهاك ؟

قلت : أنتم حملتموني على التصرّف في مال الخراسانيّ ، وقد جاءني

١ تأثث : أصاب خيراً .

٢ في ب وط : التفتّ .

٣ في ط : اضربت .

الساعة يطلبه ، فكيف أعمل ؟ الآن أفتضح ، ويذهب جاهي ، وأهلك بين الناس ، وأحبس ، فأموت ضرّاً وغمّاً .

فبكوا ، وبكيت .

وجاءت المغرب [١] ، فلم أقدر على الخروج إلى المسجد ، وكذلك العشاء ، ثم قمت ، فصليت في البيت .

فقلت : هذا أمر لا يكشفه إلاّ الله ، وليس لي إلاّ التضرع [٢] إليه ، فجدّدت طهوراً ، وصففت قدميّ في المحراب ، أصلّي ، وأبكي ، وأدعو حتى ختمت القرآن ، وقد كاد أن يطلع الفجر ، وما اكتحلت غمضاً .

فقلت لأهلي : الساعة يجيء الرجل إلى المسجد ، فكيف أعمل ؟

فقالوا : لا ندري .

فقلت : أسرجوا لي ، وكانت لي بغلة أركبها .

وقلت لهم : أنا ، هوذا ، أركب ، لا أدري إلى أين أمضي ، ولست أرجع إليكم وإن تَلَفْتُ ، ولا وجه لي يقوى على كلام الخراسانيّ ، فإن طالبكم وخرج بكم إلى مكروه، فسلّموا إليه بقيّة المال ، وأصدقوه الحديث، وإن أمكنكم مدافعته ، فدعوني مستوراً ، فلعلّي أرجع بفرج ، أو رأي في أمره .

وركبت ، لا أدري أين أقصد ، وليس معي ضياء ، ولا غلام ، وتركت عِنانَ البغلة على عُرْفِها [٣] .

وجاءت إلى الجسر ، وعبرَتْهُ إلى الجانب الشرقيّ ، وأنا عليها ، وصارت

---

١ أي صلاة المغرب .

٢ في ب : الفزع .

٣ عرف الفرس : الشعر النابت في محدب رقبة الفرس ، وعرف الديك : اللحمة المستطيلة في أعلى رأسه .

بي إلى باب الطاق ، وعطفت بي في الشارع الكبير ، المنفذ إلى دار الخليفة .

فلمّا توسطته ، إذا بموكب عظيم ، وضياء ، وقوم يجيئون[1] من ناحية دار الخليفة .

فقلت : أتنكّب الطريق ، حتى لا يزحموني بدوابّهم .

فجذبت العِنانَ لأدخل درباً ، فإذا بهم يصيحون بي ، فوقفت .

فقالوا : من أنت ؟ ومن تكون ؟

قلت رجل من [١٥٠ب] الفقهاء ، فمسكوني ، فجاذبتهم ، وجاء رئيسهم .

فقال : من أنت رحمك الله ؟ لا بأس عليك إن صدقت .

قلت : رجل من الفقهاء والقضاة .

قال : بمن تعرف ؟

قلت : بأبي حسان الزياديّ .

فصاح : الله أكبر ، الله أكبر ، أجب أمير المؤمنين ، فسرت معه ، حتّى أُدخلت على المأمون .

فقال لي : من أنت ؟

قلت : رجل من الفقهاء والقضاة ، أعرف بالزياديّ ، ولست منهم ، إنّما سكنت في محلة لهم ، فنسبت إليهم .

فقال : بأي شيء تكنى ؟

قلت : بأبي حسّان .

قال : ويحك ما دهاك ؟ وما قصّتك ؟ فإن [١٧٧ ط] رسول الله ، صلى الله عليه ، ما تركني البارحة أنام بسببك ، أتاني دفعة في أول الليل ، وفي

---

١ في ط : يجون ، لغة بغدادية في يجيئون .

وسطه ، وهو يقول : أغث أبا حسان الزياديّ ، فأنتبه ، ولا أعرفك ، وأنسيت السؤال عنك ، فلما كان الساعة ، أتاني ، فقال : أغث أبا حسان الزياديّ ، فما تجاسرت على النوم ، وأنا ساهر من ذلك الوقت ، وقد بثثتُ الناسَ في جانبي البلد ، أطلبك ، فما قصّتك ؟

قال : فصدقته عن الخبر ، حتى لم أكتمه منه حرفاً .

وقلت : أنا رجل كنت أتقلّد للرشيد من أبي يوسف القضاء بناحية، فلما مات ، صُرِفْتُ ، وانقطعت أرزاقي ، ولزمتني العطلة والإضاقة ، فكان من خبري مع رجل خراسانيّ كيت وكيت .

فبكيت ، وبكى وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، هاتوا خمسة آلاف درهم ، فجاءوا بها .

فقال : خذ هذه فارددها مكان ما تصرّفت به .

ثم قال : هاتم عشرة آلاف درهم ، فجاءوا بها ، [فقال : خذ هذه فأصلح بها أمرك ، وتوسّع بها في نفسك .

ثم قال : هاتم ثلاثين ألفاً ، فجاءوا بها] [1] ، فقال : خذ هذه ، فأصلح بها أمر بناتك ، وزوّجهن ، وإذا كان يوم الموكب ، فصر إلينا بسواد [2] لنقلّدك عملاً ، ونرزقك رزقاً .

فحمدت الله ، وشكرته ، وصليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوت لأمير المؤمنين ، وانصرفت والمال معي ، وصرت إلى منزلي ، وما طلعت الشمس، وأهل المسجد يتوقّعون خروجي للصلاة، وقد أنكروا تأخّري عنهم ، فنزلت ، فصلّيت بهم ، وسلّمت ، وإذا بالخراسانيّ ، فأدخلته منزلي ، وأخرجت إليه بقيّة ماله ، فرأى ختمه غير صحيح .

---

١ هذه الجملة انفردت بها ب .

٢ في أيام المواكب لا يدخل أحد على الخليفة العباسي إلا بسواد .

وقلت : خذ هذا ، فهو بقيّة مالك ، فقد صرفته ، وأومأت إلى المال الذي كان معي ، وقلت خذ تمام مالك .

فقال : ما قصتك ؟

فأخبرته الخبر ، فبكى ، وحلَف لا يأخذ شيئاً .

وحلفت عليه ، فقال : والله ، لا أخذته ، ولا أدخلت في مالي شيئاً من مال هؤلاء .

وبدأت بالنظر في أمر بناتي ، وتزويجهن ، وتجهيزهن ، وتقدمت بابتياع سواد ، ودابّة ، وغلام .

وصرت إلى المأمون ، يوم الموكب ، [١٥١ب] فأُدخلت ، فسلّمت ، فأُوقفت مع القضاة ، وأخرج إليّ عهداً من تحت مصلاه ، وسلّمه إليّ .

وقال : قد قلّدتك القضاء [بالمدينة الشرقية من][1] الجانب الغربي ، وهذا عهدي إليك عليها ، فاتّق الله ، وقد أجريت لك كذا وكذا ، في كلّ شهر ، رزقاً .

فما زال أبو حسّان يتقلّدها في أيام المأمون .

---

١ الزيادة من ط .

١٢٦

العلويون وآل طاهر

حدّثني أبي [١] ، قال : حدّثني الصولي [٢] ، أنّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر [٣] حدّثه ، قال :

لما عاد محمد بن عبد الله ، أخي ، من مقتل يحيى بن عمر العلويّ [٤] ، رضي الله عنه ، بعد مديدة ، دخلت إليه بعد ذلك يوماً سحراً ، وهو كئيب مطاطئ الراس ، في أمر عظيم ، كأنّه قد عُرِض على السيف [٥] ، وبعض جواريه قيامٌ لا يتجاسرن على مسألته ، وأُخته واقفة .

فلم أقدم على خطابه ، فأومأت إليها ، ما له ؟

قالت : رأى رؤيا هالته .

فتَقدمْتُ إليه ، وقلت : أيّها الأمير ، رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه ، إنّه قال [١٧٨ ط] : إذا رأى أحدكم في منامه ما يكره ، فليتحوّل من جانبه إلى الآخر ، وليقل ثلاثاً ، أستغفر الله ، ويلعن إبليس ، ويستعيذ بالله ، ثم ينام .

---

١ أبو القاسم علي بن محمد التنوخي القاضي .

٢ الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى الصولي .

٣ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ترجمته في حاشية القصة ١/٦٥ من النشوار .

٤ يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين الشهيد عليه السلام : ظهر بالكوفة سنة ٢٥٠ واجتمع عليه الناس ، وتولاه العامة ، وقتل في آخر معركة ، فجلس أمير بغداد محمد ابن عبد الله بن طاهر ، للتهنئة ، فدخل عليه أبو هاشم الجعفري ، فقال : أيها الأمير ، إنك لتهنأ بقتل رجل ، لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً ، لعزي به (الكامل ٧/١٢٦) .

٥ عرض على السيف : يعني هيىء ليقتل صبراً .

فرفع رأسه ، وقال : يا أخي ، فكيف إذا كانت الطامّة من جهة رسول الله صلى الله عليه .

[فقلت : أعوذ بالله] [1] .

فقال لي : ألست ذاكراً رؤيا طاهر بن الحسين ؟

فقلت : بلى .

قال عبيد الله : وكان طاهر ، وهو صغير الحال رأى النبي صلى الله عليه في منامه ، فقال له : يا طاهر ، إنّك ستبلغ من الدنيا أمراً عظيماً ، فاتّقِ الله ، واحفظني في وُلْدي ، فإنّك لا تزال محفوظاً ما حفظتني في وُلْدي .

فقال : ما تعرّض طاهر لقتال علويّ قط ، ونُدِبَ إلى ذلك غير دفعة فامتنع منه .

ثم قال لي أخي محمد بن عبد الله [2] : إنّي رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه في منامي ، كأنّه يقول لي : يا محمد ، نكثتم ؟

فانتبهت فَزِعاً ، وتحوّلت ، واستغفرت الله تعالى ، وتعوّذت من إبليس ، ولعنته ، واستغفرت الله تعالى ، ونمت .

فرأيته صلّى الله عليه ثانية ، وهو يقول : يا محمد ، نكثتم ؟

[ففعلت كما فعلت في الأوّلة .

---

١ الزيادة من ط .

٢ الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر : أبو العباس ، أمير حازم ، من الشجعان ، من بيت مجد ورياسة ، ولي نيابة بغداد أيام المتوكل ، وكان له في فتنة المعتز والمستعين أخبار كثيرة ، توفي ببغداد في السنة ٢٥٣ (الأعلام ٧/٩٤) .

فرأيته صلى الله عليه وهو يقول : نكثتم][1] وقتلتم أولادي ؟ والله ، لا تفلحون بعدها أبداً .

فانتبهت ، وأنا على هذه الحال ، وهذه الصورة، منذ نصف الليل ما نمت .

قال : واندفع يبكي ، وبكيت معه .

فما مضت على ذلك إلاّ مديدة ، حتّى مات محمد[2] ، ونُكِبْنا بأسْرِنا أقبح نكبة ، وصرفنا عن ولاياتنا ، ولم يزل أمرنا يخمل ، حتّى لم يبق لنا اسم على مِنْبرٍ ، ولا عَلَمٌ في جيش ، ولا إمارة .

وحصلنا إلى الآن تحت المحن .

---

١ الزيادة من ب .

٢ توفي محمد بن عبد الله بن طاهر ليلة ١٤ ذي الحجة سنة ٢٥٣ ونصب مكانه أخاه عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر ، فنازعه الإمارة طاهر بن أخيه محمد ، وكادت الفتنة أن تقع ، ثم وصلت الخلع للأمير عبيد الله (الكامل ٧/١٨٠) .

١٢٧

بين الوزير علي بن عيسى
والعطّار الكرخي

حدّثني جماعة من أهل الحضرة :

أنّ رجلاً عطاراً [١٥٢ ب] من أهل الكرخ [١] ، كان مشهوراً بالستر [٢] ، ارتكبه دين ، فقام [٣] من دكانه [ولزم منزله وأقبل على الدعاء والصلاة ليالي كثيرة .

فلما كان] [٤] ليلة جمعة ، وصلّى صلاته ، ودعا ونام .

قال : فرأيت النبي صلى الله عليه في منامي ، وهو يقول لي : اقصد عليّ ابن عيسى الوزير [٥] ، فقد أمرته لك بأربعمائة دينار ، فخذها ، وأصلح بها أمرك .

قال : وكان عليّ قيمة ستمائة دينار .

فلمّا كان من غد ، قلت : قد قال رسول الله صلى الله عليه ، من رآني

---

١ الكرخ في وقتنا هذا يطلق على الجزء الغربي من بغداد ، ويفصله عن الجزء الشرقي نهر دجلة ، أما في القديم فقد ذكر معجم البلدان (٤/٢٥٤) أن الكرخ محلة من محلات الجانب الغربي مفردة وحدها ، وكانت وقت عمران بغداد في وسط البلد ثم خرب ما حولها ، وبقيت مفردة وسط الخراب ، وحولها محال إلا أنها غير مختلطة بها ، فبين شرقيها والقبلة محلة باب البصرة ، وفي جنوبها محلة نهر القلائين ، وعن يسار قبلتها محلة باب المحول ، وفي قبلتها نهر الصراة .

٢ في ب : التستر ، والتصحيح من ط .

٣ قام : اصطلاح بغدادي ، لم يزل مستعملا ، يقال : قام التاجر ، إذا أغلق دكانه ، وتأخر عن سداد ديونه .

٤ الزيادة من ط .

٥ الوزير علي بن عيسى : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤ من النشوار .

في المنام ، فقد رآني ، لأنّ الشيطان لا يتمثّل بي ، فلم لا أقصد الوزير ؟

قال : فقصدته ، فلما جئت إلى الباب ، منعت من الوصول إليه ، فجلست إلى أن ضاق صدري ، وهممت بالانصراف ، فخرج الشافعيّ[1] صاحبه ، وكان يعرفني معرفة ضعيفة ، فأخبرته الخبر .

فقال : يا هذا ، إنّ الوزير ، والله، في طلبك منذ السَّحَرِ، وإلى الآن ، وقد سُئلت عنك ، فما عرفتك ، وما عرّفنيك أحد ، والرسل مبثوثة في طلبك ، فكن مكانك .

قال : ومضى ، فدخل ، فما كان بأسرع من أن دعوني ، فدخلت إلى أبي الحسن عليّ بن عيسى .

فقال : ما اسمك ؟

قلت : فلان ابن فلان العطّار .

قال : من أهل الكرخ ؟

قلت : نعم .

قال : يا هذا أحسن الله جزاءك في قصدك إيّاي [١٧٩ ط] ، فوالله ما تهنّيت بعيش منذ البارحة ، جاءني رسول الله صلى الله عليه ، في منامي ، فقال : أعط فلان بن فلان العطّار في الكرخ أربعمائة دينار ، يصلح بها شأنه ، وكنت اليوم ، طول نهاري ، في طلبك ، وما عرّفنيك أحد .

ثم قال : هاتم ألف دينار ، فجاءوا بها عيناً .

فقال : خذ منها أربعمائة دينار، امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه، وستمائة دينار ، هبة مني لك .

فقلت : أيّها الوزير ما أحبّ أن أزاد[2] على عطية رسول الله صلى الله

---

١ الشافعي : أبو بكر محمد بن عبد الله : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٥ من النشوار .

٢ في ب وط : ازداد .

عليه شيئاً ، فإنّي أرجو البركة فيها ، لا فيما عداها .

فبكى عليّ بن عيسى ، وقال : هذا هو اليقين ، خذ ما بدا لك .

فأخذت أربعمائة دينار ، وانصرفت .

فَقَصَصْتُ قصّتي على صديق لي ، وأريته الدنانير ، وسألته أن يحضر غرمائي ، ويتوسّط بيني وبينهم ، فَفَعَل .

وقالوا : نحن نؤخّره ثلاث سنين بالمال ، فليفتح دكّانه .

فقلت : لا ، بل يأخذون مني الثلث من أموالهم ، وكانت ستمائة .

فأعطيت كل من له شيء ، ثُلُثَ ماله ، وكان الذي فرّقْتُهُ مائتي دينار .

وفتحت دكاني[1] ، وأدرت المائتين الباقية في الدكان ، فما حال الحول عليّ ، إلاّ ومعي ألف دينار .

فقضيت ديني كلّه ، وما زال مالي يزيد ، وحالي تصلح .

---

[1] الدكان : فارسية ، دكة كالمصطبة يقعد عليها ، ثم استعملت الكلمة للحانوت الصغير ، لأن صاحبه يجلس في صدره على دكة ، والبغداديون يسمون الحانوت الصغير : دكاناً ، فإن كبر ، سموه : مغازة ، والكلمة محرفة عن الإفرنجية : Magasine المنقولة عن الكلمة العربية : مخزن .

١٢٨

يحفظ شعراً في منامه

حدّثني أبو أحمد الحارثيّ عبد الله بن عمر ، قال :

رأيت في منامي كأنّي مجتاز بالبصرة في بني نُمير على مجلس الشرطة . والناس مجتمعون [١٥٣ ب] .

فقلت : ما هذا ؟

قالوا : فتى يضرب عنقه .

فاطّلعت في الحلقة ، فإذا بفتى حسن الوجه ، قد أجلس وشُدّ ليضرب عنقه .

فقال لهم : دعوني أتكلّم بكلمتين ، ثم اعملوا ما شئتم .

فقالوا له : تكلّم .

فقال : هل هاهنا رجل من أهل الأدب ، يحفظ عنّي ما أقوله ؟

قلت : نعم ، فقال :

أيا شاهديْ قتل المشوق تحمّلا ... زكيّ سلام طيّبته مقاصده

إلى الظبية اللعساء في سند الحمى ... بحيث تحدّى باب عثمان قاصده

فقولا لها[١] إنّ المشوق الذي اعتدت ... عليه لريب الدهر أيدٍ تراصده

مضى وبأحناء الضلوع هواكم ... إلى أن يرى إنشاءه بعدُ حاصده

ثم قال لي : احفظها يا أخي[٢] عليّ ، فإنّه لا خامس لقافيتها ، بشرط أن لا تغيّر الصاد والدال ، ثم ضربت عنقه .

---

١ في الأصل : له .

٢ في ب : يا ابن أخي .

وانتبهت ، وأنا أنشد الأبيات في الحال ، فعلقتها .

وطلبت – فيما أعرفه وأذكره – قافية خامسة للأبيات ، فلم أجد .

قلت أنا : وطلبت لها قافية ، فوجدت ما يصلح أن يضاف إليها ، فاصده من الفصد ، وعاصده ، ولا أدري كيف ذهب ذلك عن أبي أحمد .

ولعلّ غيري إن فتّش، وجد قوافي أخر، إلاّ أنّها قافية عزيزة على هذا الشرط ، كيف تصرّفت الحال .

١٢٩

المعتضد يهدم سور أنطاكية

حدّثني أبي ، قال :

لما خرج المعتضد إلى قتال [١٨٠ ط] وصيف الخادم[١] ، إلى طرسوس[٢] ، وأخذه ، عاد إلى أنطاكية[٣] ، فنزل خارجها ، وطاف بالبلد بجيشه ، وكنت صبيّاً إذ ذاك في المكتب .

قال : فخرجت في جملة الناس ، فرأيته وعليه قباءٌ أصفر بلا سواد ، وسمعت رجلاً يقول : الخليفة بقباء أصفر بلا سواد ؟

قال : فقال له أحد الجيش : هذا كان عليه وهو جالس في داره ببغداد ، فجاءه الخبر بعصيان وصيف ، فخرج في الحال من داره إلى باب الشماسية ، فَعَسْكَر ، وحلف أن لا يغيّر هذا القباء ، أو يفرغ من أمر وصيف ، فأقام بباب الشماسيّة ، أياماً ، حتى لحقه الجيش ، ثم خرج ، فهو عليه إلى الآن ما غيّره .

قال : فحدّث أبي بعد ذلك : وأنفذ المعتضد إلى سور أنطاكية بِفَعَلَة يهدمونه ، فماج الناسُ ، ولجّت[٤] العامّة ، وتشاور شيوخ المدينة في هذا ،

---

١ وصيف الخادم : غلام الأمير ابن أبي الساج ، وأحد قواده ، كان على رأس قسم من جيشه ، فعاث في واسط ، وفي السوس ، والطيب ، ثم هرب إلى ملطية ، فخرج إليه المعتضد بنفسه ، وحاربه ، فأسره ، وعاد به إلى بغداد ، فقتله في السنة ٢٨٨ (الكامل ٧/٤٩٧ – ٥١٠) .

٢ طرسوس : من الثغور الشامية ، بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وبها قبر المأمون ، جاءها غازياً ، فأدركه أجله (معجم البلدان ١/٥٢٦) .

٣ أنطاكية : قصبة العواصم من الثغور الشامية ، من أعيان البلاد وامهاتها ، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير (معجم البلدان ١/٣٨٢) .

٤ في ب : ولاط ، وفي ط : ئلحت ، واللجة : الجلبة وكثرة الأصوات .

فأجمع رأيهم أن كفّوا العامّة ، ومضوا إلى مضرب الخليفة ، وسألوا الوصول .

فأنفذ إليهم أن اختاروا عشرة منكم ، يدخلون إليّ ، ويخاطبونني .

فاختاروا عشرة كنت منهم .

فحدّثني قال : دخلنا عليه ، فسلّمنا ، ووقفنا ، فأمر بإجلاسنا ، فجلسنا .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن في وجه عدو كَلِبٍ ، وجهادٍ متصلٍ [ونفير دائم][1] ، والعدوّ يطرقنا ونطرقه ، فإن هدمت هذا السور ، كان ذلك أقوى عدّة للعدوّ [١٥٤ ب] علينا ، وكان البلد له عند أيسر ضعف يلحقنا ، وحادثة تطرقنا ، فإن رأيت أن ترحم ضعفنا ، وتستر ذرارينا ، بهذا السور .

فقال : قد كثرت الحوادث علينا في هذه الثغور ، واعتصام كل مخالف ، بحصن منها ، وقد علمتم ما لحقنا بالأمس من ابن الشيخ[2] ، واليوم من هذا الخادم[3]، وقد سبق منّي القول، أن لا أدع حصناً إلاّ هدمته، وأنا أهدم هذا السور ، وأحصّنكم من العدو ، بإضعاف عدد الشحنة ، وإدرار الأرزاق ، وإطلاق مال للمطوّعة ، يقوون به على جهاد العدو ، فتكون قوّتهم مانعة للعدو ، وكأنّ السور لم يزل ، ولا يطمع أحد في التحصّن به على العصيان .

قال : فلم يكن عند أصحابي حجّة ، وضعف كلامهم ، ورأيت المجلس كالمنفضّ[4] على هذا .

فقمت ، واستأذنت في الكلام ، فأذن لي .

---

١ الزيادة من ط .

٢ ابن الشيخ ، عيسى بن الشيخ بن الشليل: استولى على دمشق، وقطع الحمل عن بغداد، وأظهر الخلاف في السنة ٢٥٥ فحاربه عسكر المعتضد فهزموه، وقتلوا ولده ، وصلبوا وزيره ، وهرب عيسى ، ثم استولى على آمد وديار بكر مدة ، توفي في السنة ٢٦٩ (شذرات الذهب ٢/ ١٥٥) .

٣ يعني وصيف الخادم .

٤ في ب ، وط : كالمنقوض .

فقلت : [يا أمير المؤمنين ، على أن أقول ما عندي ، وأنا آمن ؟

قال : نعم .

قلت] [1] : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله لو خلّد أحداً [2] في الأرض ، لخلّد محمداً صلى الله عليه ، وإنّ هذه الحصون والأسوار لم توضع لسنةٍ بعينها ، ولا لأيّام خليفةٍ بعينه ، وإنّما جعلت لتبقى على الدهور ، وتدفع عن أهلها في أيّام كل ملكٍ ، سائساً كان أو متوانياً .

ولو كنّا نثق بحياة أمير المؤمنين أبداً ، ما سألناه خلاف ما يراه ، ولو كنّا نثق أنّ من يلي أمور المسلمين بعده يكون لهم ، باهتمامه بمصالحهم ، [١٨١ ط] وسياسته لخاصّتهم وعامّتهم ، مثله ، لسَهّل ذلك علينا المصيبة بفقدان السور الذي لا عوض عنه ، ولو كان من يتقلّد بعده ، مثله ، لما كان لنا في ذلك عزاء عن السور ، فإنّا لا نأمن من إهمال من يجيء بعد ذلك الخليفة أيضاً ، أن تشغله حادثة عنّا ، تمنعه من مصالحنا ، فنكون نحن دريّة [3] لسيوف الروم ، ورماحهم .

وإنّك يا أمير المؤمنين إن هدمت هذا السور ، بقي بلدنا ما دمت حياً ، ثم خرج عن أيدي المسلمين بعدك ، وقتلتنا الروم ، وسَبَتْ ذرارينا ، وصليت بإثمنا في القيامة ، وعارِنا في الدنيا ، فالله ، الله ، فينا ، فقد صَدَقْتكَ يا أمير المؤمنين ، والأمر إليك بعد ذلك .

قال : فنكّس المعتضد رأسه ساعة ، ثم رفعه ، وقد بكى .

وقال : فكيف أعمل ، وقد سبق قولي بأنّي أهدمه ؟

فقلت له : تعمل الفَعَلَةُ في هذا اليوم فقط ، فيكون في ذلك إبرار

---

١ الزيادة من : ط .

٢ في ط : بشراً .

٣ درية ودريئة : حلقة يتعلم عليها الطعن ، يريد أن سيوف الروم تكون أول ما يصيبهم .

لقول أمير المؤمنين ، ثم إذا رحل هو عنّا ، أذن لنا في إعادة ما هدم اليوم فقط .

فقال : أنفذوا غداً من يردّ الفعلَة ، ويمنعهم من هدم السور بعد اليوم ، وقد أذنت لكم في إعادة ما انهدم [١٥٥ ب] .

فشكرناه ، ودعونا له ، وارتفعت الصيحة[١] بالدعاء له .

وعدنا ، فوجدنا الفَعَلَة ، قد هدموا ذلك اليوم قطعة منه ، فأعدناها بعد خروج المعتضد ، من أموالنا .

فهي معروفة إلى الآن في السور ، لتغيّر بنائها عن البناء الأول .

---

١ في ط : الضجة .

١٣٠

بحث في شكوى الزمان

وفساد الإخوان

جرى بيني وبين أبي الحسن [أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين] [١] ، الكاتب الأهوازي ، وهذا الرجل من معقلي الناس وفضلائهم ، عقلاً ، ونبلاً ، وبراعةً في صناعته ، وتقدّماً ، وقد وَلِيَ كبار الأعمال للسلطان ، وخلَفَ أبا عبد الله البريديّ على الأهواز [٢] ، وتولاّها لمعزّ الدولة [٣] مكان أبي عبد الله البريديّ ، عقيب هربه من معزّ الدولة [٤] ، ثم استخلفه بعد ذلك ، أبو القاسم البريديّ على البصرة [٥] ، ثم خلف أبا عليّ الطبريّ [٦] ، وأبا محمد المهلّبيّ [٧]

---

١ الزيادة من ط ، راجع القصة ٢/١٢٣ من النشوار .

٢ قلد أبو عبد الله البريدي أعمال الأهواز سنة ٣١٥ ، وضمن أعمال الخراج والضياع في الأهواز سنة ٣٢٣ (تجارب الأمم ١/١٥٨ و ٣٢٠) .

٣ حكم الأمير معز الدولة العراق ٢٢ سنة من ٣٣٣ إلى ٣٥٦ .

٤ هرب البريدي من معز الدولة سنة ٣٢٦ ، التفصيل في تجارب الأمم ٢/٣٨٠ .

٥ استولى أبو القاسم البريدي على البصرة سنة ٣٣٢ بعد وفاة أبيه ، التفصيل في تجارب الأمم ٢/٥٨ .

٦ أبو علي الحسن بن محمد الطبري، من رجال الدولة البويهية ، كان عامل الأهواز عند وفاة أبي جعفر الصيمري وزير معز الدولة، فرشح الطبري نفسه للوزارة ، وتوسل بزوجة معز الدولة ، أم بختيار، وبذل مائتي ألف درهم، حمل منها مائة وثمانين ألفاً، ثم وزر أبو محمد المهلبي، راجع القصة ٣/٥٨ والقصة ٧/٩٤ من النشوار، وتجارب الأمم ٢/١٢٣ و ١٢٤ ومعجم الأدباء ٣/١٨٥ .

٧ أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي ، وزير معز الدولة : ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار .

[وكان إذ ذاك على كور الأهواز ، ثم تقلّد عمالة البصرة لسباشي الحاجب الخوارزميّ التركيّ [1] ، ثم لمعزّ الدولة ، رئاسة في أيام وزارة أبي محمد المهلّبيّ] [2] ، وحلب الدهر أشطره ، وجرّب الأمور ، وسبر الزمان ، ذِكْر الزمان وتصرّفه ، وفساد الإخوان فيه ، وقلّة المودّات ، وما بلغني عن أبي الحسن ابن الفرات [3] ، أنّه قال : جزى الله عنّا من لا نعرفه ولا يعرفنا خيراً ، وأنّه قال : أحصيت ما أنا فيه من المكاره ، فما وجدت منه شيئاً لحقني ، إلا ممّن أحسنت إليه .

فقال لي أبو الحسن : هذا صحيح ، ولكن حدث عند فساد الزمان ، وإلاّ فالأكثر من عُدد الناس ، كان قديماً ، على تصرّف زمانهم ، ما يعتقدونه من مودّات إخوانهم ، فلمّا فسَدَتِ الطباعُ ، وتسمّح الناسُ في شروط مودّاتهم [4] ، صار الإنسانُ ساكناً [5] ممّن لا يعرفه ، لا يلحق به شره ، ولا يناله ضرّه ، وإنّما يلحق الآن الضرر من المعارف ، ومن يقع عليه اسم الإخوان ، وذلك إنّهم يطالبون في المودّة بما لا يفعلون مثله ، فإن أسدى إليهم إحساناً [عرف طبعه فهي العداوة القليلة] [6] ، وإن حفظ الإنسان ما يضيّعونه أبداً حصل تحت الرقّ ، وإن قارضهم الإفعال ثارت العداوة ، وتواترت عليه المكاره ، هذا إذا سَلِم من أن يبدأك من تظنّه صديقاً بالشرّ والتجنّي ، والمعاملة [١٨٢ ط] القبيحة بالتوهّم والتظنّي ، من غير تثبّت ولا استصلاح ،

---

١ سباشي الحاجب : القائد الخوارزمي التركي ، من قواد معز الدولة ، اعتقله بختيار لما اعتقل كافة رجال المملكة بالأهواز ، ثم أطلقه لما هاج عليه الأتراك ، ويتضح من القصة أنه تقلد عمالة البصرة ثم قلدها أبا الحسن الأهوازي (تجارب الأمم ٢/٣٢٥ و ٣٢٩) .

٢ انفردت بها ب .

٣ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٤ في ط : المودات .

٥ في ط : شاكاً ، والتصحيح من ب .

٦ في ب : عرف طعمه ، ولم أفهم معنى الجملة ولم أستطع ردها إلى أصلها .

فأمّا إذا كان ليس بينكما أكثر من المعرفة فالضرر معها بالثقة ، لأن كل مكروه يلحقك، إذا حصّلته، كان ممن يعرفك ويقصدك به على علم بك، فأمّا الضرر ممن لا تعرفه ، فبعيد جداً ، مثل لصوص يقطعون عليك الطريق، غرضهم [١٥٦ ب] أخذ المال منك ، أو من غيرك ، وما يجري هذا المجرى ، وعلى أنّ أشد الضرر من اللصوص ، ما وقع عن تعيين ، وعلى معرفة بالإنسان .

فمهما أمكن للعاقل أن يقلّ من المعارف ، واجتلاب من يسمى أخاً في هذا الزمان ، فليفعل ، وليعلم أنّه قد أقلّ من الأعداء ، وكلما استكثر منهم ، فقد استكثر من الأعداء .

وكأنّ ابن الرومي[١] جمع هذا [المعنى][٢] ، فقال :

عدوّك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرنّ من الصحاب

فإنّ الداء أقتل ما تراه ... يكون[٣] من الطعام أو الشراب

---

١ في ب : ابن الوي ، والتصحيح من ط ، وابن الرومي : أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (٢٢١ – ٢٨٣) قال عنه ابن خلكان ، في وفيات الأعيان (٣/٤٢) صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، كان مرهف الحسن ، شديد التطير ، وله القصائد المطولة ، والمقاطيع البديعة ، وله في الهجاء والمديح كل شيء طريف .

٢ الزيادة من ط .

٣ في ط : يحول .

١٣١

من شعر أبي فراس الحمداني

هذا شعر أبي فراس بن أبي العلاء بن حمدان بن حمدون العَدويّ التغلبيّ [١] :

أشدّ عدوّيك الذي لا تحارب ... وخير خليليك الذي لا تناسب
لقد زدت بالأيّام والناس خبرة ... وجرّبت حتى هذّبتني التجارب
فأقصاهم أقصاهم عن إساءتي ... وأقربهم مما كرهت الأقارب
وأعظم أعداء الرجال ثقاتها ... وأهون من عاديته من تحارب
وما أُنس دار ليس فيها مؤانسٌ ... وما قرْبُ أهل ليس منهم مقارب
نسيبك من ناسبت بالودّ قلبه ... وجارك من صافيته لا المصاقب [٢]

وله :

إذا كان فضلي لا أسوّغ نفعه ... فأفضل عندي أن أرى غير فاضل
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل ... يجور [٣] على حوبائها حكم جاهل [٤]

وله :

لمن أعاتبُ ؟ مالي ؟ أين يذهب بي؟ ... قد صرّح الدهر لي بالمنع والياس
أبغي الوفاء بدهرٍ لا وفاء بـه ... كأنّني جاهل بالدهر والناس [٥]

---

١ أبو فراس الحارث بن حمدان : ترجمته في حاشية القصة ١/١٢١ من النشوار .

٢ ديوان أبي فراس ص ٢٣ .

٣ في الديوان : يجوز .

٤ ديوان أبي فراس ص ٢٤٦ .

٥ ديوان أبي فراس ص ١٧٥ .

وله :

وأخ أطعت فما رأى لي طاعتي   حتّى خرجت بأمره عن أمره
وتركت حلو العيش لم أحفل به   لما رأيت أعزّه في مرّه
والمرء ليس ببالغٍ في أهله   كالصقر ليس بصائدٍ في وكره[1]

وله :

في الناس إن فتّشتهم   من لا يعزّك أو تذلّه
فاترك مجالسة[2] اللئيم   فإنّ فيها العجز كلّه[3]

وله : [١٨٣ ط]

غنى النفس لمن يعقل   خير من غنى المال
وفضل الناس في الأنفس   ليس الفضل في الحال[4]

وله :

ندلّ على موالينا ونجفو   ونعتبهم وإنّ لنا الذنوبا
بأقوال يجانبن المعاني   وألسِنَةٍ يخالفن القلوبا[5]

وله:

ولقد علمتُ كما علمْـ   ـتَ وإن أقمتُ على صدوده
إنّ الغزالة والغزا   لة في ترائبه وجيده[6]

---

١ ديوان أبي فراس ص ١٤٣ .
٢ في الديوان : مجاملة .
٣ ديوان أبي فراس ص ٢٤٨ .
٤ ديوان أبي فراس ص ٢٤٧ .
٥ ديوان أبي فراس ص ٤٦ .
٦ الغزالة الأولى هي الشمس والثانية هي الظبية . وقد ورد البيت في ديوان أبي فراس ص ٩١ كما يلي :

ان الغزالة والغزا ل لفي ترائبه وجيده

وله :

قد كان لي فيك حسنُ صبرٍ   خَلَوْتُ يوم الفراق منه
لم يبق لي في الجفونِ إلاّ   ما استنزلتني الخدود عنه[1]

وله :

لي صديق على الزمان صديقي   ورفيق مع الخطوب رفيقي
لو رآني إذا استهلّت دموعي   في صبوح ذكرته أو غبوق
أسرق الدمع من نديمي بكأسي[2]   فأحلّي عقيانها بالعقيق

وله :

هل تحسّان لي صديقاً صدوقاً   يحفظ العهد أو رفيقاً رفيقا [١٥٧ب]
لا رعى الله يا حبيبيّ دهراً   فرّقتنا صروفه تفريقا[3]

وله[4] : من السلوان في عينيك   آيات وآثار
أراها منك في القلب   وفي القلوب أبصار

---

١ ديوان أبي فراس ص ٣١١ وقد وردت بأبيات ثلاثة هي :

قد كان لي فيك حسن صبر   خلوت يوم الفراق منه
ما تركت لي الجفون إلا   ما استنزلتني الخدود عنه
قد طال يا قلب ما تلاقي   إن مات ذو صبوة فكنه

٢ في ديوان أبي فراس ص ١٩٩ :

اشرب الدمع مع نديمي بكأسي

٣ في ط : مزقتنا صروفه تمزيقاً ، ديوان أبي فراس ص ٢٠٠ .

٤ المقطوعة في ديوانه كما يلي :

أتتني عنك أخبار   وبانت منك أسرار
ولاحت لي من السلو   ة آيات وآثار
أراها منك بالقلب   وللأحشاء أبصار
إذا ما برد الحب   فما تسخنه النار

إذا ما برد الحبّ فمـا تسخنـه النـار

وله :

الحزن مجتمع والصبر مفـترق والحبّ مختلف عندي ومتّفق [1]

ولي إذا كلّ عين نام صاحبهـا عين تـحالـف فيها الدمع والأرق

لولاك يا ظبية الأنس التي نظرت لما وصلن إلى مكروهي الحدق

لكن نظرْت وقد سار الخليط ضحًى بناظر كل حسن منه مُسْتَرَقُ

وله :

يا من يـلوم على هـواه جهالة انظر إلى تلك السوالف تعذر

حسنت وطاب نسيمها فكأنها مسك تساقط فوق ورد أحمر [2]

وله :

ومرتـــد بطرّة مسدلـة [3] الرفارف

كأنّـهـا مسبلة [4] من زرد مضاعف[5]

وله : [١٨٤ط]

يا ليلة لست أنسى طيبهـا أبداً قد كان كلّ سرور حاضراً فيها

باتت وبتّ وبات الزق ثالثنا حتّى الصباح فتسقيني وأسقيها

---

١ في ب : ومفترق ، والتصحيح من ديوان أبي فراس ص ٢٠١ .

٢ في ديوان أبي فراس ص ١٤٩ ورد البيتان التاليان :

من أين للرشأ الغرير الأحور في الخد مثل عذاره المتحدر

قمر كأن بعارضيه كليهما مسكاً تساقط فوق ورد أحمر

٣ في الديوان : مسبلة .

٤ في الديوان : مرسلة .

٥ ديوان أبي فراس ص ١٩٣ .

كأنّ سود عناقيد بلمّتهـا أهدت سلافتها صرفاً إلى فيها [1]

وله :

بتنا نعلّل من ساقٍ أغدّ [2] لنا بخمرتين من الصهباء والخدّ
كأنّه حين أذكى نار وجنته سكراً وأسبل فضل الفاحم الجعد
يعلّ مـاء عناقيد بطرّتـه بماء ما حملت خدّاه من ورد [3]

وله :

وظبي غرير في فؤادي كِناسُهُ إذا اكتنفت [4] غور الفلاة وقورها
فمن خلقه لبّاتها ونحورهـا ومن خُلقهِ عصيانهـا ونفورها

وله :

وجَناتُهُ تجني على عشّاقه ببديع ما فيها من اللألاء
بيضٌ علتها [5] حمرة فتورّدت فعل المدام مزجتها بالماء
فكأنما برزت لنا بغلالة بيضاء تحت غلالة حمراء [6]

---

١ ديوان أبي فراس ص ٣١٢ .
٢ في الديوان : أغن .
٣ ديوان أبي فراس ص ١٠١ .
٤ في ب : التسبت ، وفي الديوان وردت الأبيات كما يلي :

وظبي غرير في فؤادي كناسه إذا اكتنس العين الفلاة وحورها
تقر له بيض الظباء وأدمهـا ويحكيه في بعض الأمور غريرها
فمن خلقه لباتهـا ونحورها ومن خلقه عصيانهـا ونفورها

٥ في ب وط : عليها ، والتصحيح من الديوان .
٦ لم يرد هذا البيت في ط . والمقطوعة في ديوان أبي فراس ص ١١ .

وله :

كأنّما تساقط الثـ ... لج لعيني من يرى[1]
أوراق ورد[2] أبيض ... والناس في شاذكلى[3]

وله :

كأنّما الماء عليه الجسر ... درج بياض خط فيه سطر
كأنّنا حين استتب العَبْرُ ... أسرة موسى حين شُقّ البحر[4]

---

١ في الديوان : بعيني من رأى .
٢ في ب : برد ، والتصحيح من ط ومن الديوان .
٣ شاذكلى : راجع حاشية القصة ١/ ١٦٤ من النشوار . والبيتان في ديوان أبي فراس ص ٩ .
٤ ديوان أبي فراس ص ١٧١ .

١٣٢

نسخة كتاب من أبي محمد يحيى الأزدي

إلى الأمير أبي تغلب بن ناصر الدولة

كان الحسين وإبراهيم ابنا ناصر الدولة ، خالفا على أخيهما أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة ، عقيب قبضه على أخيهم محمد بن ناصر الدولة ، وإصعاده به إلى القلعة مقيّداً ، وقبضه نعمته ، وخرجا إلى أعماله محاربين له ، ومواطئين حمدان بن ناصر الدولة ، على محاربة أبي تغلب ، واجتمعا معه ، فخرج أبو تغلب بالجيوش إليهم ، فَلَقيهُمْ ، وانهزم حمدان ، ودخل الحسين إلى أبي تغلب ، وانحدر إبراهيم إلى باب السلطان ببغداد ، ليدخل في الأمان ، وكان ابتداء ذلك في شعبان سنة ستين ، والصلح في شوال [1] .

فكتب أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد ، إلى أبي تغلب بالتهنئة [١٥٨ب] على ذلك كتاباً نسخته :

لم تزل عادة الله عند مولانا الأمير السيّد ، أطال الله بقاءه ، وأدام تأييده [١٨٥ط] ، وكبت أعداءه ، جارية بالمواهب النبيلة ، والنِّعَمِ المتصلة الجليلة ، [متّسقَةً] [2] على التوفيق والسداد ، مطّردة بمنّة [3] الله أجمل اطّراد ، لما خصّه الله تعالى به من حسن النية وجميل الاعتقاد ، وأفرده من تغمّد الحق في الإصدار والإيراد ، وألهمه إيّاه من التوفّر على شكره وحمده ، واجتلاب

---

١ للاستزادة راجع تجارب الأمم (٢ / ٢٨٩ – ٢٩٢) والكامل (٨/٥٩٣) .
٢ الزيادة من ط .
٣ في ط : بمشيئة .

المزيد لذلك من عنده ، فابتداءاته — أدام الله تأييده — دالّةٌ على حُسْنِ عواقبها ، ومُبَشّرةٌ بنيل البغية في أوائل الأمور وأواخرها ، وأفعاله مقترنة أبداً بالرشاد ، وآراؤه بحمد الله مُصاحِبَةٌ للصواب والسداد ، وراياته موصولة بالعزّ والنصر ، ونِعَمُ الله عنده محفوظة بالحمد والشكر ، وبحَسْبِ ذلك تكون دواعي المزيد، على قدر تضاعف التمكين والتأييد، ولهذه الشيم السنية ، والفضائل الجليلة العلية ، والطوية الحميدة المرضية ، ما يجدّد الله منحه لديه ، ويديم دفاعه عنه وإحسانه إليه ، ويسبغ آلاءه ونعمه عليه ، ويجعل كلمته العليا، وكلمة أعدائه بسهم الله السفلى، وينوّه باسمه — ثبّته الله — في سائر البلاد، ويجعل زناده — أناره الله — أضوأ زناد ، ويشرّف الدعاء — على التنائي — بذكره ، ويصل ألْسِنَة من قَرُب وبَعُد بشكره ، والحمد لله على ما خوّله وأولاه ، وإليه الرغبة في زيادته فيما نوّله وأعطاه ، وحراسته في بدء كلّ أمر وعقباه ، وإعلائه على كل من حسده وناواه ، وقصّر عن شأوه فعاداه ، والحمد لله الذي جعل سفرته ظاهرة البركة ، سعيدة السكون والحركة ، ميمونة الأحوال ، محمودة الحلّ والترحال ، مؤذنة بحسن الانقلاب ، على أحسن الوجوه وأجمل الأسباب ، عائدة بشكر الرعية ودعائهم ، جامعة لنيّاتهم على اختلاف آرائهم ، وهو المرجوّ الإعانة على ما قرّب إليه ، والمسؤول حُسْن التوفيق لما يزلف لديه ، إنّه وليّ حميد ، فعّال لما يريد ، ولقد صدق الله ، وله الحمد ، في مولانا — أدام الله عزّه — ظُنون أوليائه وأهل طاعته ، وحقّق بما تفضّل به من ظهوره على أعدائه، تقديرات خدَمِهِ وعبيد نِعَمِهِ ، فَشُكْرُهُمْ لله تعالى على ما منحه من التوفيق والنعمة في ذلك بحسب موقعها ، ومقدارها وموضعها ، وما يخصّهم ويعمّ غيرهم منها ، ويصل إلى القاصي والداني الحظّ بها ، ولن يرتفع لغادر علَم إلا وضعَهُ الله سبحانه [١٥٩ ب] وتعالى بمثله — أيّده الله — من كرام المخلصين لديه ، ولا يبسط لمبطل أمل

إلاّ قطعه الله تعالى بأقرب الطائعين إليه ، فعال الله جلّ ذكره في عباده ، ليجعل جنده المنصورين ، وأعداءه المقهورين ، وليُظْهِر حقّه على يد مستحقّه ، ويهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيي من حيّ عن بيّنة ، وإنّ الله لسميع عليم ، وردّ الله الذين كفروا نعمة مولانا بغيظهم إليه أيده الله ، لم ينالوا خيراً ، إلاّ منه [١٨٦ ط] حرسه الله ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويّاً عزيزاً ، وهنّأ الله مولانا الأمير نعمه عليه ، وضاعف قسمه ومنحه إليه ، وأصلح به وعلى يديه، وجعل الخير والسعادة واصلين إليه ، وكبت عداته وحسدته ، وبلّغه في الدين والدنيا أمنيته ، ولا ابتزّه ثوب نعمته ، وحرس الأمّة بحراسة مهجته ، وصرف عين السوء عن دولته ، وشدّ قواها بقدرته ، فالسعيد من وفّق لخدمته، وحظي بجميل رأيه ، والشقيّ من نفر عن حوزته ، وخرج عن ظلّه وجملته ، والله وليّه والدافع عنه ، والذابّ عن الإسلام وأهله ببقائه ، والمحسن إليهم بالمدافعة عن حوبائه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

١٣٣

رسالة إلى رجل تزوجت أمه

حدّثني أبو الفرج البـبغاء[١] ، قال :

جرى بحضرة الأمير سيف الدولة[٢] ، ذكر رجلٍ تزوجت أمّه من أصحابه، وحديث الترسّل والكتابة ، فقال لي : اكتب الساعة على البريد ، رُقعَةً عن نفسك إلى هذا الرجل ، تعزّيه بتزويج أمّه .

فكتبت رقعة بين يديه ارتجالاً وحفظتها :

من سلَك سبيل الانبساط ، لم يستوعر مسلكاً في المخاطبة فيما يَحْسُنُ الانقباض في ذكر مثله ، واتصل بي ما كان من أمر الواجبة الحق عليك ، المنسوبة بعد نسبتك إليها ، إليك ، ومن الله صيانتها في اختيارها ما لولا أن الأنفس تتناكره ، وشرع المروءة يحظره ، لكنت في مثله بالرضا أولى ، وبالاعتداد بما جدّده الله من صيانتها أحرى .

فلا يسخطنك من ذلك ، ما رضيه موجب الشرع ، وحسّنه أدب الديانة[٣] فمباح الله أحقّ أن يتّبع .

وإيّاك أن تكون ممّن إذا عدم اختياره سخط اختيار القدر له ، والسلام .

---

١ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي : ترجمته في حاشية القصة ١/٥٢ من النشوار.

٢ الأمير سيف الدولة علي بن عبد الله الحمداني : ترجمته في حاشية القصة ١/٤٤ من النشوار .

٣ في ب : الرسالة .

١٣٤

حديث العلوية الزمنة

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد ، قال :

كانت في شارع دار الرقيق[١] ، صبيّة علويّة ، زمنت[٢] نحو خمس عشرة سنة ، وكان أبي يتفقّدها .

وكانت مسجّاة[٣] لا يمكنها أن تنقلب من جنب إلى جنب ، أو يقلبها غيرها ، ولا تَقْعُد ، أو تُقْعَد ، وكان لها من يخدمها في ذلك ، وفي الإنجاء والأكل .

وكانت فقيرة ، وإنما قوتها مما يبرّها الناس ، فلما مات أبي اختلّ أمرها ، فبلغ تجنّي ، جارية أبي محمد المهلّبي أمرها ، فكانت تقيم بأكثر أمرها [١٦٠ب].

وإنّها أصبحت في يوم من الأيام ، وقد باتت في ليلته زمنةً على تلك الصورة ، فأصبحت من غدٍ ، وقد مَشَتْ ، وبرئت ، وقامت ، وقعدت .

وكنا مجاورين لها ، وكنت أرى الناس ينتابون بابها ، كالموسم ، فأنفذتُ امرأة من داري ، صدوقة ، ممّن شاهدتها زمنة على طول السنين ، فسألتها عن الخبر .

فقالت : إنّي ضجرت من نفسي ، فدعوت الله تعالى طويلاً بالفرج أو الموت ، وبِتُّ وأنا على غاية الألم والصياح والقلق ، وضجرت المرأة التي

---

١ شارع دار الرقيق : محلة ببغداد باقية إلى الآن وكان الخراب قد شملها وكان يباع الرقيق فيها قديماً ، وهي على دجلة بالجانب الغربي متصلة بالحريم الطاهري وفيها سوق (معجم البلدان ٣ / ٢٣١) .

٢ زمنت : إصابتها الزمانة وهي العاهة أو عدم بعض الأعضاء بحيث تتعطل القوى .

٣ مسجاة : يعني ملازمة الفراش .

كانت تخدمني [١٨٧ ط]، فلما استثقلت في النوم، رأيت كأنّ رجلاً قد دخل عليّ، فارتعت منه.

فقال: لا تراعي، فأنا أبوك، فظننته عليّ بن أبي طالب، عليه السلام.

فقلت: يا أمير المؤمنين، ما ترى ما أنا فيه؟ لو دعوت الله تعالى أن يهب لي العافية.

فقال لي الرجل: أنا أبوك محمد رسول الله.

فقلت: يا رسول الله، ادع الله لي.

قالت: فحرّك شفتيه، ثم قال لي: [هاتي يديك، فأعطيته يديّ، فأخذهما، وأجلسني.

ثم قال لي][1]: قومي على اسم الله.

فقلت: يا رسول الله، كيف أقوم؟

فقال: هاتي يديك، فأخذهما، فأقامني.

ثم قال: امشي على اسم الله.

فقلت: كيف أمشي؟

فقال: هاتي يديك، فمشّاني، ثم جلست، ففعل بي ذلك، ثلاث مرات.

ثم قال لي: قد وهب الله لك العافية، فاحمديه، وتركني، ومضى.

فانتبهت، وأنا لا أشكّ أنّي أراه، لسرعة انتباهي.

فصحت، فَظَنَّتْ خادمتي أنّي أُريد البول، أو شيئاً مما يثقل عليها، فتثاقلت.

---

١ انفردت بها ب.

فقلت لها : ويحك ائتيني ، فقد رأيت رسول الله ، صلى الله عليه ، في النوم ، فانتبهت ، وأنا مسجّاة .

فاستشرحتني .

فقلت لها : إنّي رأيت رسول الله ، صلى الله عليه ، فدعا لي في النوم ، وقال : قد وهب الله لك العافية .

فقالت لي العجوز : ويحك ، فإنّي أرجو أن تكوني قد برئت من العلّة ، هاتي يديك ، فأقامتني ، والله ، كما أقامني [1] النبيّ صلى الله عليه ، في النوم ، ولم أكن عرّفتها ذلك .

فأعطيتها يدي ، فأجلستني ، وقالت لي : قومي ، فقمت ، فتعبت ، ثم جلست ، ففعلت بي ذلك ثلاث مرّات .

ثم قمت، فمشيت [وحدي .

فصاحت الخادمة سروراً بالحال ، وإعظاماً لها ، فقدّر الجيران أنّي قد متّ ، فجاءوا] [2] ، فقمت فمشيت بحضرتهم متوكئة، فكثروا عليّ في الليل ، وفي غدٍ ، حتى كدت أتلف ، وما زالت قوّتي ترجع إليّ ، إلى أن مشيت كما أمشي الآن، ولا قلبة بي .

قال : وقد رأيتها بعد ذلك ، أنا ، تمشي وتجيء إلى عيالنا ماشية ، وهي الآن باقية صحيحة ، وهي أصلح وأورع وأزهد امرأة سمعت بخبرها في هذا الزمان ، لا تعرف غير الصلاة والصيام ، وطلب الرزق على أجمل الوجوه ، عاتق [3] إلى الآن ، ديّنة جداً .

---

١ في ب وط : كما قال .

٢ الزيادة من الفرج بعد الشدة .

٣ العاتق : التي لم تتزوج برغم إدراكها وبلوغها .

ولا تعرف إلى الآن في المشاهد ، وعند [١٦١ ب] أهلها ، إلا بالعلويّة الزمنة [١] .

١ زاد القاضي التنوخي رحمه الله في هذه القصة عندما دونها في كتاب الفرج بعد الشدة :
قال أبو محمد : وما زالت قوتها تزيد إلى أن رأيتها قد جاءت إلى والدتي في خف وإزار بعد أيام ، ولا قلبة بها ، فبررتها ، وهي باقية ، وهي من أصلح النساء ، وأورعهن من أهل زماننا ، وقد زوجت من رجل علوي موسر ، وصلحت حالها ، ولا تعرف الآن إلا بالعلوية الزمنة .

ومضى على هذا الحديث شهور كثيرة ، فجرى بيني وبين أبي بكر محمد بن عبد الرحمن ابن قريعة مذاكرة بالمنامات ، فحدثني بحديث منام هذه العلوية ، وقصتها ، وعلتها ، على ما حدثني به أبو محمد بن فهد .

قال : قال لي أبو بكر : أنا كنت أحمل إليها جرايتها من عند تجني جارية الوزير أبي محمد المهلبي ، وكسوتها على طول السنين ، وسمعت منها هذا المنام ، ورأيتها تمشي بعد ذلك ، صحيحة بلا قلبة ، وتجيء إلى تجني ، وتجني زوجتها من العلوي ، وأعطتني مالا قمت منه بتجهيزها ، وأمرها ، حتى أعرس بها زوجها ، وهي الآن من خيار النساء .

قال مؤلف هذا الكتاب (يعني الفرج بعد الشدة) وحدثني بهذا الحديث جماعة أسكن إليهم من أهل شارع دار الرقيق بخبر هذه العلوية ، على مثل هذا ، وهي باقية إلى الآن ، وآخر معرفتي بخبرها في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ، ولا تعرف الآن إلا بالعلوية الزمنة .

أقول : لما كتب المؤلف النشوار كانت العلوية عاتقاً ، ولما كتب كتاب الفرج بعد الشدة ، كانت قد تزوجت ، وهذا يعني أن المؤلف كتب النشوار أولا (بدأ به في السنة ٣٦٠ على ما ذكره في مقدمة الجزء الأول) ، ثم اقتطع منه بعض ما أودعه في كتاب الفرج بعد الشدة ، وأنه ألف كتاب الفرج في السنة ٣٧٣ أو بعدها .

١٣٥

إذا لم تكن في الشاهد ثلاث خلال

من خلال أهل النار صار هو من أهل النار

سمعت قاضي القضاة أبا السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى [١] ، يقول : الشاهد ، إذا لم تكن فيه ثلاث خلال ، من خلال أهل النار ، صار هو من أهل النار .

فقلت له : ما هي ؟

قال : قلّة الحياء ، لأنّ الشاهد ، إذا كان مستحياً ، أجاب إلى كل محال يُسألُهُ ، فيذهب دينه ، ويصير من أهل النار ، والحياء في الأصل من الإيمان ، وأهل الإيمان في الجنّة ، كما روى في الخبر ، فقلّة الحياء من خصال أهل النار ، [فهذه [١٨٨ ط] واحدة] [٢] .

والثانية : إنّه يحتاج أن يكون فيه سوء الظنّ ، لأنّه متى أحسن ظنّه تمّت عليه الحيلة والتزويرات ، فيشهد بالمحال ، فيدخل النار ، وإذا كان سيء الظنّ سلم ، وسوء الظن في الأصل إثم ، كما قال الله تعالى ، والإثم من خصال أهل النار .

وذكر الأخرى : وقد أنسيتها أنا .

ثم قال : ما ظنّكم ببلد فيه عشرات ألوف ناس ، ليس فيهم شهود إلاّ عشرة أنفس أو أقل أو أكثر ، وأهل ذلك المصر كلهم يريدون الحيلة على هؤلاء العشرة ، كيف يسلمون إن لم يكونوا شياطين الإنس في التيقّظ والذكاء والتحرّز والفهم .

---

١ القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله : سبقت ترجمته في حاشية القصة ١/١١٧ من النشوار .

٢ الزيادة من ط .

١٣٦

شطرنجي يتحدث عن فضائل الشطرنج

حدّثني أبي ، قال :

كان لي صاحب يخدم أبي ، ويخدمني بعده ، من أهل أنطاكية ، يقال له : أبو إبراهيم ، وكان مستهتراً بلعب الشطرنج[١]، وكان له فيها عجائب ، منها :

إنّ غلماني كانوا يلاعبونه بها ، وكان إذا لعب بها برك على الأرض ، واتّكأ على ذراعيه كالنائم ، فيجيء أحدهم من ورائه ، فيعبّي على ظهره عدّة مخاد ، فلا يشعر بها ، فإذا انقضى الدست ، أحسّ بذلك ، فنحّاها عن ظهره ، وشتمهم[٢] .

قال : فحدّثني هو ، قال :

دخلت ليلة إلى صديق لي مستهتر بالشطرنج أيضاً ، وكانت المغرب قد وجبت .

فقال لي : بت عندي الليلة حتّى نلعب بالشطرنج ونتحدّث ، فما بتُّ .

فقال : نصلّي ، ونلعب دستاً أو دستين إلى وقت العَتَمةِ ، وتنصرف .

فصلّينا ، وجعل السراج عندنا ، ولعبنا ، وطاب لي اللعب ، فواصلناه ،

---

١ الشطرنج : لعبة مشهورة ، معرب شطرنك بالفارسية أي ستة ألوان ، لأن القطع في اللعبة ست ، وهي : الشاه، الفرزان (ويسمى ببغداد الوزير أو الفرز) الفيل ، الفرس، الرخ ، البيدق .

٢ في ط : وسبهم .

والليل يمضي ونحن لا نشعر به ، إلى أن أحسسنا في أنفسنا بتعب شديد وضجر ، ووافق ذلك سماعنا الأذان .

فقلت له : قد أذّنت العتمة ، وتعبت ، ولا بدّ من قيامي .

فصاح بغلمانه ، فلم يجيبوه ، فقام معي ، فأنبههم [1] ، وقال : أمضوا بين يديه .

فلما خرجنا نظرنا ، فإذا الأذان ، هو أذان الغداة [2] ، وإذا الليلة كلّها قد مضت ، ونحن لا نعقل .

قال [أبي] [3] : وكذا كان على الاستهتار بها ، فإذا لمته ، قال :

ليس أنا مستهتر بها ، المستهتر بها هو مثل من قيل له [١٦٢ ب] وقد احتُضِر : قل لا إله إلاّ الله ، فقال : شاهك ، ودع الرخ .

قال : فقلت له : لا أعرف مثلك ، كأنّك لست ترضى من نفسك ، إلاّ بهذا القدر ؟

قال : وكان يصف من فضائل الشطرنج أشياء ، فيقول : هي تعلّم الحرب وتشحذ اللّبّ ، وتدرّب الإنسان على الفكر ، وتعلّمه شدّة البصيرة .

فلو لم يكن فيها شيء من المعوزِ في غيرها إلاّ أن أهل الأرض يلعبون بها منذ ألوف سنين ، ما وقع فيها دست معاد قط من أوله إلى آخره [لكفى] [3] .

---

١ في ط : فانتهرهم .

٢ أذان الغداة : أذان الفجر .

٣ الزيادة من ط .

١٣٧

يخاف على غلبته في النرد من العين

وبلغني عن بعض لعّاب النرد[١] :

إنّ لعباً توجه عليه لرسيله[٢] ، فقال له المتوجه عليه اللعب : غلبتك ، صلّ على النبي .

فقال : لِـم أفعل ذا ؟

فقال : حتى لا [١٨٩ ط] تصيب غلبتي العين .

١٣٨

مقامر بالنرد يكفر إذا خسر

وإنّ آخر منهم[٣] ، كان إذا غُـلِـب ، يكفر ، ويعرّض بأنّ غلبه من فعل الله عزّ وجل .

فامتنع رسيله عن ملاعبته ، وقال : هوذا تكفر ، ولا ألعب معك .

فشارطه أن يلاعبه على أن لا يكفر ، فلعب معه ، فغلبه دفعات .

فقال لرسيله : يا هذا ، لست أنقض الشرط[٤] بأن أكفر ، ولكن قل أنت : أليس هذا قصد قبيح ؟

---

١ لعبة النرد : انظر وصفها في حاشية القصة ٢ / ١٥١ من النشوار .

٢ الرسيل : الموافق لك في النضال ونحوه ، والمعنى هنا : المقابل لك في اللعب .

٣ يعني من لاعبي النرد .

٤ في ط : العهد .

١٣٩

بحث في عبارة الرؤيا

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي ، قال :

حدّثني أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب [١] ، قال : وكان أبو هاشم إذا ذكر أبا عليّ [٢] ، قال : قال أبو عليّ ، وفعل أبو عليّ ، وكان من أمر أبي عليّ ، وما سمعناه قط قال : الشيخ ، ولا شيخنا ، إلاّ مرة واحدة ، فإنّه حكى شيئاً من الكلام ، فقال فيه : شيخنا أبو عليّ، قال: وكذا كانت عادته .

قال [قال أبو عليّ] : رأى رجل مناماً ، فجاء يفسره عليّ ، فمجمج [٣] .

فقلت له : اصدقْ ، فإن المنام لا يكذب فيه .

قال : فقال لي : رأيت ذكرك قد طال حتّى بلغ إلى عنقك ، ثم تطوّق عليه دفعات .

فقال له أبو عليّ : أنا رجل يطول ذكري على ذكر الناس مقدار ما رأيت من طول ذكَرِي .

قال لي أبو الحسن: ومضى على هذا سنون، فحدّثني أبو عبد الله بن نافع البزّاز جارنا ، وكان هذا موسراً ، يملك نحو سبعين ألف دينار ، وله أولاد ذكور وإناث .

---

١ أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي : ترجمته في حاشية القصة ١٠٩/٢ من النشوار .

٢ هو والده أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، ترجمته في حاشية القصة ١ / ٨٨ من النشوار .

٣ مجمج في حديثه : لم يبينه .

فقال لي : رأيت في المنام ذكَرِي قد تفرّك[1] فلم يبق منه شيء .

فذكرت في الحال ، تفسير أبي عليّ الرؤيا في أمر ذكره ، فقلت في نفسي : إن صحّ القياس فهذا رجل ينقرض ذكره من الدنيا .

فما مضت إلاّ أيّام ، حتى مات أحد أولاده ، ثم تتابعت في سنين يسيرة عليه المصائب ، فلم يبق له ولد ، ثم مات هو بعد ذلك بمدّة فانمحى ذكره على الحقيقة .

---

١ تفرّك : تفتت .

١٤٠
ضيق أحوال الناس
أبعدهم عن ممارسة البرّ والإحسان

تجارينا ذكر شدّة زماننا، وفقر الناس [١٦٣ب] فيه، وضيق أحوالهم، واستحبابهم البخل، حتى إنّ بعضهم يسمّيه احتياطاً، وبعضهم إصلاحاً، وتوصية الناس بعضهم بعضاً به، وتحذّر التجّار من معاملات الناس، ومسك الناس أيديهم عن الإحسان إلى أحد، أو برّه، أو إغاثة ملهوف، أو التنفيس عن مكروب، وإنّ ذلك في الأكثر لضيق أحوالهم.

فقال لي أبو الحسن أحمد بن يوسف[١]: لقد كان يجيء الرجل من أهل العلم، فيجبي[٢] له من أصحابنا[٣] الألف الدرهم، والأقلّ، والأكثر، في يوم، لا يحتاج إلى أحد يخاطبه في ذلك، مع قلّة عدد أصحابنا إذ ذاك.

ولقد قدم رجل أردنا أن نرتبطه ليتعلّم، لجودة قريحته، وكان يحتاج إلى مائة درهم في كل شهر، فكلّمت إبراهيم بن [١٩٠ ط] خفيف الكاتب، صاحب ديوان النفقات، وكان من أصحابنا، ورجلاً آخر من أصحابنا، فأجريا عليه مائة درهم في كل شهر، كلّ واحد منهما خمسين درهماً، وكان الرجل يأخذها، إلى أن خرج من بغداد، سنين.

ولقد قال لي يوماً بعض من حضر إلى مجلس أبي الحسن الكرخي[٤] [رضي

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي: ترجمته في حاشية القصة ١/ ١٤ من النشوار.
٢ في ب: فيجيء.
٣ أصحابنا: يعني المعتزلة.
٤ أبو الحسن الكرخي (٢٦٠ – ٣٤٠): عبيد الله بن الحسين بن دلال، من كرخ جدان، إليه انتهت رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وكان عابداً زاهداً، رأساً في الاعتزال، ترجمته في المنتظم ٦/٣٦٩.

الله عنه][1] من الفقهاء : يحتاج أهل المجلس إلى أكسية ، فقد قرص[2] الهواء .

فقمت أفكر فيمن أخاطبه في ذلك ، فاجتزت في طريقي بدار ، فقال لي بعض من كان معي : هذه دار تاجر موسر من أهل الخير ، فلو خاطبته ، ولم أكن أعرفه ، فدخلت إليه ، فعرفني ولم أعرفه ، فقام ، وأكرم .

وقال لي : حاجتك ؟ فذكرت له حال الأكسية .

فقال : كم تريدون ؟

فقلت : خمسين كساء ، فحملها معي في الحال ، ففرّقها فيهم .

ولقد جاءني منذ أيّام رجلٌ من أهل البيوتات فشكا من خلّته ما أبكاني ، وذكر أنّ صلاح أمره في نيف وثلاثين درهماً ، فما طمعت له فيها من أحد ، ولا عرفت من أعلم أنّني إن خاطبته فيها أجاب .

وورد لنا في هذه السنة صاحب لأبي هاشم[3] ، فخاطبنا له جماعة ، واجتهدنا في تحصيل شيء له ، نغيّر به حاله ، فما حصل له من ذلك قليل ولا كثير .

ولقد كان في الدرب الذي أنزله هذا ، وهو درب مهرويه ، خلق من أمراء ، وكتّاب ، [وتنّاء][4] ، وتجّار ، حسبت ما كانوا يملكون ، فكان أربعة آلاف ألف دينار ، وما في هذا الدرب اليوم من يحتوي ملكه على أربعة آلاف درهم ، غير أبي العريان ، أخي عمران بن شاهين[5] .

---

١ الزيادة من ط .

٢ قرص الهواء : عامية بغدادية لم تزل مستعملة وتعني : قرس الهواء ، أي برد .

٣ يعني أبا هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي المعتزلي .　　٤ الزيادة من ب .

٥ في السنة ٣٤٩ استأمن أبو الفتح المعروف بأبي العريان أخو عمران بن شاهين وصار إلى واسط بحرمه وعياله وولده ، لأنه خاف أخاه ، ودخل بغداد في ذي القعدة ولقي معز الدولة (تجارب الأمم ١٨١/٢ الكامل ٥٣٢/٨) .

١٤١

قردة على جانب عظيم من الذكاء

حدّثني أبو الحسن بن سهيل الحذّاء ، قال : حدّثني أبو العباس الفرغاني الصوفيّ ، وكان من أصحاب الحديث ، ومن الصوفيّة ، وممّن يعرف بصدق اللهجة والنسك ، قال :

رأيت بمكّة قِرَدةً عند رجل يريد بيعها ، خَفيفَة الروح ، فساومت فيها ، فتباعد عليّ في الثمن .

فألححت عليه ، وقلت له : يا هذا ، أخبرني شراءها ، واربح ما شئت عليّ .

قال : لا أخبرك .

فما زلت أداريه ، إلى أن قال لي : شراؤها خمسة دراهم .

قال : فأومأت القردة إليّ بيدها ثلاثة ، أي إنّه اشتراني بثلاثة دراهم .

فقلت له : كذبت ، شراؤها عليك ثلاثة دراهم .

قال : فقام ليضرب القِرَدة ، وقال : هذا من عملها .

فمنعته ، وأعطيته خمسة دراهم ، وأخذتها[1] .

---

١ انفردت بها ط .

١٤٢

مخنث حاضر الجواب

حدّثني أبو الحسن[١] بن سهيل [الحذّاء] ، قال :

حدّثني أبو العباس الفرغاني الصوفي[٢] وكان ممّن يختم القرآن في ركعة ، وكثير الصلاة ، وأخفّ الناس روحاً ، وأشدّهم مجوناً ، وأطيبهم قولاً[٣] ورقصاً ، قال :

اجتزت في الطريق بمخنّث يتغوّطُ ، وهو جالس [١٦٣ ب] ويده على جبهته[٤] ، كأنّه إنسانٌ مغموم [١٩١ ط] .

فوقع لي أن أولع به ، فقلت : يا أختي ، لِم أنتِ مغمومةٌ ؟ تخافين ألاّ يجيئكِ بدَلُهُ ؟ خَلَفُهُ سريع ، الله يخلف عليكِ .

فقال لي بالعجلة : ليس غمّي لهذا ، ولكن غمّي أنّكم جماعة ، وهو قليل ، ولا يكفي غداءكم اليوم .

---

١ في ب : أبو الحسين، والتصحيح من ط، راجع القصص ٢/١٠٢ و ١١٢ و ١٤١ من النشوار.

٢ في ط : حدثني عثمان الرقيق الصوفي .

٣ القوّال : المنشد .

٤ في ط : فخذيه .

١٤٣

الشاعر أبو نصر البنص

وجارية بغدادية

حدّث أبو حامد القاضي الخراساني[١] ، قال : قال لي أبو نصر البنص[٢] :

جزت في أيّام زيادة الماء على دار في دجلة ، فإذا روشن[٣] حسن ، وعليه جوار يلعبن ، فأخذن يولعن بي[٤] .

فأنعظتُ ، وكشفت أيري ، ونمت ، فقام منتصباً ، فصحت : الهليون الرطب[٥] .

---

١ القاضي أبو حامد أحمد بن عامر بن بشر المروروزي الخراساني : كان إماماً لا يشق له غبار ، توفي في السنة ٣٦٢ ، ترجمته في وفيات الأعيان ١/٥٢ وفي الوافي بالوفيات ٧ / ١٠ وفي شذرات الذهب ٣ / ٤٠ وفي الأنساب للسمعاني ٥٢٣ وفي الأعلام ١ / ١٣٩ وأثبت التوحيدي في البصائر والذخائر كثيراً من أقواله ، وورد ذكره في النشوار (١ / ٩٧) بأنه أحمد بن بشر بن عامر ، والصحيح ما أثبتناه .

٢ أبو نصر البنص النيسابوري : من ندماء سيف الدولة ، ترجم له التنوخي في القصة ١/٤٤ وذكر أنه من أصحابه في المذهبين ، يعني في الفقه مذهب أبي حنيفة، وفي الكلام مذهب أهل العدل والتوحيد أي مذهب الاعتزال ، وكان أبو نصر مرحاً مطايباً ، القصص ١/٤٤ و ١/٤٥ و ١/٤٦ من النشوار .

٣ الروشن : البلكون ، راجع حاشية القصة ١/٢٨ من النشوار .

٤ يولعن : يعبثن .

٥ الهليون : نبات معمر تمتد جذوره تحت الأرض وتؤكل سوقه مسلوقة ، وهو المسمى Asparagus .

فكشفتْ إحداهنّ عن حرِها ، وصاحت : الفرانيّ السميذ [1] .
فعطعط [2] الملاّحون بنا .

١٤٤
فص حجر خاصيته طرد الذباب

حدّثني أبو الخطّاب محمد بن عليّ بن إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخيّ [3] ، قال :

كان لأبي فصّ حجر خمريّ اللون ، عليه صورة ذبابة ، وقد شاهدته غير دفعة ، يأخذه [4] ، فيجعله في دكان اللبّان ، وهو مملوء ذباباً ، فيتطاير الذباب كلّه عنه ، فلا تبقى واحدة ، فإذا نحّاه رجع الذباب ، فإذا عاد تنحّوا .

وقد شاهدت ذلك غير دفعة [5] .

---

١ الفراني : نسبة إلى الفرن ، خبز ثخين مستدير ، وإذا كان الخبز من الدقيق الأبيض سمي سميذاً . قال الخليل : الفراني خبزة غليظة مشكلة مصعنبة تشوى ثم تروى لبناً وسمناً وسكراً (مفاتيح العلوم ٩٩) . والصعنبة ضم جوانب الخبزة ورفع رأسها (لسان العرب) .
٢ العطعطة : أصوات المجان إذا صاحوا بأحد : عيط ، عيط .
٣ أبو الخطاب محمد بن علي بن إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول بن حسان التنوخي : ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٣/٩٠ .
٤ في ب : واحده .
٥ راجع القصة ٢/٨٣ من النشوار

١٤٥

أسد بن جهور وكثرة نسيانه

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخيّ[١] قال : حدّثني أبي[٢] [رضي الله عنه][٣] ، قال :

كان أسد بن جهور[٤] ، كثير النسيان ، فحضرته يوماً في مجلس عبيد الله ابن سليمان[٥] ،وهو يخاطبه في أمر من الأمور، فيقول له أسد : سمعاً[٦] لأمر القاضي أعزّه الله ، وقد نسي أنّه الوزير .

قال : وكان إلى جانبه أبو العباس بن الفرات[٧] ، فغمزه أبو العباس ، وقال : قل الوزير .

فقال : نعم ، أعزّ الله القاضي .

فضحك ابن الفرات وقال : لستُ القاضي ، فارجع إلى صاحبك فقضّه[٨] .

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٢ هو أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب التنوخي .

٣ الزيادة من ط .

٤ أسد بن جهور : سبقت ترجمته في حاشية القصة ١/١٤١ من النشوار .

٥ الوزير عبيد الله بن سليمان : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٦ في ط : السمع والطاعة .

٧ أبو العباس أحمد بن محمد الفرات : أخو الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر المشهور ،وكان أبو العباس اكتب أهل زمانه وأصبطهم للعلوم والآداب ، وللبحتري فيه القصيدة المشهورة التي أولها :

بت أبدي وجداً وأكتم وجدا لخيال قد بات لي منك يهدي

توفي أبو العباس سنة ٢٩١ (وفيات الأعيان ٣/١٠٠) .

٨ الهفوات النادرة ١٥٨ .

١٤٦

أسد بن جهور يطلب الماء للدواة
مراراً ثم يشربه

قال[١] : وكنت يوماً عند أسد ، فجفّت دواته وهو يكتب منها .

فقال : يا غلام كوز ماء للدواة .

فجاء الغلام بالكوز ليصبّه فيها ، فأخذه وشربه ، ومضى الغلام .

فقال : ويلك ، هات الماء للدواة .

فجاءه به ثانية، فشربه أيضاً ، ومضى الغلام ، واستمدّ من الدواة فكانت أجفّ .

فقال : ويلكم ، كم أطلب ماء للدواة ولا يجيئني[٢] .

فجاؤوه بكوز ثالث ، فأخذه ليشربه[٣] .

فقال الغلام : يا سيّدي ، تصبّ في الدواة أولاً .

فقال : نعم ، نعم ، فصبّه في الدواة[٤] .

---

١ أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي .

٢ في ط : ولا يحضر .

٣ في ب : وشربه والتصحيح من ط .

٤ المفوات النادرة ١٥٩ .

١٤٧

بين أبي بكر الأزرق التنوخي

وأسد بن جهور

قال [١] :

وأخرجني ابن الفرات في سنة تسع وتسعين [٢] ، أنظر في أمر إصلاح الطريق ونفقات الموسم [٣] ، وسبّب لذلك مالاً على الكوفة ، وأسد بن جهور عاملها [٤] .

فلما جئتها ، وكان لي صديقاً ، تأخّر عن قصدي ، فتأخّرت عنه أيضاً ، فولّد بيننا ذلك وحشة ، فاستقصيت عليه في المطالبة بالمال ، وتقاعد بي ، فصارت مكاشفة .

فكتبت إلى الوزير أحرّضه عليه ، وكتب يتشكّاني [١٦٥ ب]، فوردت [١٩٢ ط] الكتب إلى شاكر الإسحاقي ، وهو أمير الكوفة [٥] ، أن يجمع بيننا في المسجد ، ولا يبرح ، ولا ينفصل ، أو يرضيني بالمال .

فركبت ، وجئت إلى باب الإسحاقي ، ولم أدخل ، وعرّفته ما ورد ، وانّني متوجه إلى الجامع .

فركب ولحقني ، وقال : ورد عليّ مثل هذا .

فقلت : تحضر أسد ، فركب إليه ، فأحضره .

---

١ أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي .

٢ في ب : سبع وسبعين ، والصحيح ما أثبتناه عن ط .

٣ يعني طريق الحج إلى مكة ونفقات موسم الحج .

٤ عامل الخراج : المسؤول عن الجباية وعن صرف ما يسبب عليه .

٥ الأمير : يقوم مقامه الآن المحافظ وهو المسؤول عن الإدارة والأمن .

فحين اجتمعنا تخارجنا في الكلام ، إلى أن قلت له : أتظنّ أنّي لا أعرف أباك ، وأنّه كان راجلاً[1] على باب ديوان الضياع ، برزق دينارين في الشهر .

قال : وكان اجتماعنا في أوّل يوم من شهر رمضان ، فلم ينته الكلام إلى فصل ، وجاءت المغرب[2] ، فقام شاكر ليركب ، وأسد معه ، فجلست أنا .

فقالا : لِم تجلس ؟

فقلت : أنا لا أخالف أمر الوزير ، ولا أبرح إلاّ بفصل ، أو بالمال .

فقال شاكر لأسد : اجلس معه ولا تبرح .

وقال لي : لولا أنّ قعودي معكما لا فائدة فيه ، ويضرّني ، لقَعَدْتُ ، واعتذر إليّ ، فعذرته ، وانصرف .

وقمت أنا إلى موضع من الجامع ، يقال له قبّة خالد ، فجلست عنده أصلّي ، وجلس أسد مكانه ، وأنفذ إلى داره يستدعي الإفطار ، وأنفذت إلى داري ، فجاء طعامه وطعامي معاً .

فقام إليّ ، وسألني أن أجعل إفطاري معه ، [وفرغ الجامع إلا من أصحابنا][3] ، وبسطت سفرته ، وأصلحت مائدته .

وأقبل أسد يسألني المجيء إليه ، وأنا أمتنع ، إلى أن حلف ، وكنت أعرف بخله .

فقلت لغلماني : أخرجوا طعامنا فصدّقوا[4] به ، على من حوالي الجامع ، ففعلوا .

---

١ الراجل وجمعه رجالة : من الجند ويستخدمون في جباية الضرائب وتنفيذ أوامر المستحثين والمستخرجين في استحصال الديون الأميرية ، راجع القصة ١ / ١٢٠ من النشوار وقد ورد فيها « يخرج المستخرج فيبث الفرسان والرجالة والمستحثين . . . الخ » .

٢ يعني صلاة المغرب .

٣ الزيادة من ط .

٤ في ط فتصدقوا ، وصدق : ترد في كتب التنوخي بمعنى تصدق .

وجئت ، فأكلت معه منبسطاً ، أكل صائم ، ولونه يتغيّر ، ولا يقدر على النطق ، فتقطّعت نفسه .

ولم نزل متلازمين في الجامع ، خمسة عشر يوماً[1] من رمضان إلى أن راج المال ، وأنا أواكله هكذا .

فلما افترقنا ، انعلّ بعد العيد بأيّام ، علّة مات منها .

فقلت : إنّا لله ، ليت لا يكون ما عملته معه سبباً لموته غمّاً[2] .

---

١ في ط : خمسة وعشرين .

٢ بشأن بخل أسد بن جهور على الطعام ، راجع القصة ٢/٩٢ من النشوار .

١٤٨

بين طاهر بن يحيى العلوي
وأحد أصحابه

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، قال : حدّثني أبو القاسم عليّ بن الأخزر [١] المشهور بعلم النحو ، وكان نبيلاً ، جليـــلاً [ثقة] [٢] مرتفعاً عن الكذب ، قال :

حججت ، فدخلت إلى طاهر بن يحيى العلويّ ، أسلّم عليه ، فجاءه رجل ، فقبّل رأسه ويديه ، وأخذ يعتذر إليه .

فقال : لا تعتذر ، فقد زال ما في نفسي ، وقبلت عذرك ، وإن شئت أخبرتك عن قصدك إيّاي ، وسبب عذري لك من قبل أن تخبرني .

فتعجّب الرجل ، وقال : افعل يا سيّدي .

قال : إنّك رأيت رسول الله صلى الله عليه في منامك ، فعاتبك على قطع عادتك عني [١٩٣ ط] إذا دخلت المدينة حاجّاً ، وإنّك طويتني عدّة حجج دخلت فيها إلى المدينة ولم تجئني .

فقُلْتَ له : إنّ الحياء [١٦٦ ب] منعك من قصدي ، وإنّك لا تأمن أن لا أبسط عذرك .

فقال لك : إنّي آمر طاهر ببسط عذرك ، فلا تَجْفُ [٣] ولدي ، وصِلْهُ ، فجئت إليّ، فقال الرجل : كذا والله كان ، فمن أين لك يا سيّدي هذا ؟

قال : أتاني رسول الله صلى الله عليه، في المنام، وأخبرني بما جرى بينكما على هذا الشرح .

---

١ في ط : بياض ، وفي ب : أبا حرر ، والتصحيح من مرجليوث .

٢ الزيادة من ط . ٣ في ب : فلا تخف .

١٤٩

يا قديم الإحسان

حدّثني أبو الحسن أيضاً[١] ، قال :

كان في باب الشام[٢] رجلٌ يقال له : لبيب العابد[٣]، زاهد ، ناسك ، صالح ، فأخبرني ، قال :

كُنْتُ مملوكاً روميّاً ، فمات مولاي ، فعتقني[٤] ، فحصّلت لنفسي رزقاً برسم الرجّالة[٥] ، وتزوّجت بستّي ، زوجة مولاي ، وقد علم الله ، أنّي لم أتزوجها إلاّ لصيانتها ، لا لغير ذلك ، فأقمت معها مدّة .

ثم إنّي رأيت يوماً حيّة وهي داخلة إلى جحرها ، [فأخذتها ، فمسكتها بيدي][٦] ، فانثنت عليّ ، فنهشت يدي ، فشلّت ، ثم شلّت الأخرى بعد مدّة ، ثم زمِنتْ رجلاي ، واحدة بعد أُخرى ، ثم عميتُ ، ثم خرستُ .

فمكثت على هذه الحال سنة ، لم تبق فيّ جارحة صحيحة ، إلاّ سمعي ، أسمع به ما أكره .

وكنت طريحاً على ظهري ، لا أقدر على إشارة ، ولا إيماء ، فأسقى

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب التنوخي .

٢ باب الشام : محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد (معجم البلدان ١/٤٤٥) .

٣ أورد التنوخي هذه القصة في كتاب الفرج بعد الشدة ، وقال عن لبيب العابد : إنه كان مشهوراً بالزهد والعبادة ، يقال له : لبيب العابد ، لا يعرف إلا بهذا ، وكان ينزل باب الشام من الجانب الغربي من بغداد ، وكان الناس ينتابونه ، وكان صديقاً لأبي بكر الأزرق يوسف ابن يعقوب بن البهلول التنوخي (الفرج بعد الشدة ٢/٩٤) .

٤ عتقني : لغة بغدادية في أعتقني ، لم تزل مستعملة .

٥ الرجالة : راجع حاشية القصة ٢/ ١٤٧ من النشوار .

٦ الزيادة من ط .

وأنا ريّان ، وأترك وأنا عطشان ، وأطعم وأنا ممتلئ ، وأفقد الطعام وأنا جائع ، لا أدفع عن نفسي ، ولا أقدر على إيماء بما يفهم مرادي منه .

فدخلت امرأة بعد سنة إلى زوجتي ، فسألتها عنّي ، فقالت : كيف لبيب ؟

فقالت لها ، وأنا أسمع : لا حيّ فيرجى ، ولا ميت فينسى .

فغمّني ذلك ، وبكيت ، وضججت إلى الله تعالى في سرّي[1] .

وكنت في جميع ذلك الحال ، لا أجد ألماً في شيء من جسمي ، فلمّا كان في ذلك اليوم ، ضرب بدني كلّه ضرباً شديداً لا أحسن أن أصفه ، وألمت ألماً مفرطاً .

فلمّا كان في الليل ، سَكَنَ الألمُ ، فنمت ، وانتبهت ، ويدي على صدري ، فعجبت من ذلك وكيف صارت يدي على صدري ، ولم أزل مفكّراً في ذلك ، ثم قلت لعل الله قد وهب عافيتي ، فحركتها ، فإذا هي قد تحركت ، ففرحت ، وطمعت في العافية .

وقلت : لعلّ الله أذن بخلاصي ، فقبضت إحدى رجليّ إليّ ، فانقبضت ، وبسطتها ، فانبسطت ، وفعلت بالأخرى كذلك ، فتحركت ، فقمت قائماً ، لا قلبة بي ،ونزلت عن السرير الذي كنت مطروحاً عليه ، فخرجت إلى الدار ،ورفعت طرفي ، فرأيت الكواكب ، وإذا أنا قد أبصرت ، ثم انطلق لساني ، فقلت : يا قديم الإحسان ، بإحسانك القديم .

ثم صحت بزوجتي ، فقالت : أبو عليّ .

فقلت : الساعة صرت أبو عليّ .

فأسرجت ، وطلبتُ مقراضاً ، وكان لي سبال كما يكون للجند ،

---

[1] في ب ، وط : بسرّي .

فقصصته ، فضجّت من ذلك ، وقالت : ما [١٩٤ ط] هذا ؟

فقلت : بعد هذا لا أخدم غير ربّي ، فصار هذا سبب عبادتي .

قال : وخبره[١٦٧ ب]مستفيض ، ومنزلته في العبادة مشهورة ، وصارت هذه الكلمة عادته ، لا يقول في حشو كلامه ، وأكثر أوقاته غيرها : يا قديم الإحسان .

قال : وكان يقال : إنّه مجاب الدعوة ، وكان الناس يقولون إنّه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فمسح يده عليه ، فسألته عن ذلك، فحدّثني بهذا الحديث ، وقال : ما كان سبب عافيتي غيره .

قال : وقال لي : كان لي قراح على شاطئ دجلة ، بالمدائن، وكان فيه تلال وأشياء ينبغي أن تستخرج ، ويطمّ بها مواضع فيه ، فتحتاج إلى رجال كثيرة .

فكنت ليلة فيه ، وكانت قمراء ، [فاجتاز بي خلق كثير من الفعلة ، قد انصرفوا من عمل بثق ، فرأوني] [1] فعرفوني .

فقلت لهم : هل لكم أن تكسحوا هذا القراح الليلة ، وتسوّوا تلوله بالأرض ، وتأخذوا مني كذا وكذا .

فقالوا : نعم ، أتحفنا [2] بالأجرة ، فعملوا ذلك ، فأصبحنا وقد صار أرضاً مستوية .

فقالت العامة : الملائكة أصلحوه ، وكذبوا ، ما كان غير هذا .

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ط : الحقنا .

١٥٠

الحلاج في جامع البصرة

حدّثني أبو الحسين محمد بن عبيد الله القاضي المعروف بابن نصرويه[١] قال :

حملني [خالي][٢] معه إلى الحسين بن منصور الحلاّج[٣] ، وهو إذ ذاك في جامع البصرة ، يتعبّد ، ويتصوّف ، ويقرئ ، قبل أن يدّعي تلك الجهالات[٤] ، ويدخل في ذلك .

وكان أمره إذ ذاك مستوراً ، إلاّ أن الصوفية تدّعي له المعجزات من طرائق التصوف ، وما يسمّونه معونات ، لا من طرائق المذهب[٥] .

قال : فأخذ خالي يحادثه ، وأنا صبيّ جالس معهم ، أسمع ما يجري .

فقال لخالي : قد عَمِلْتُ على الخروج من البصرة .

فقال له خالي : لِمَ ؟

---

١ القاضي أبو الحسين محمد بن عبيد الله المعروف بابن نصرويه : كان من كبار رجال البصرة ، وصفه التنوخي بالعلم والعقل والفضل والدهاء والرجولة (القصة ٣/٥٢ من النشوار) وهو الذي توسط أمر أبي علي الأنباري مع أبي عبد الله البريدي بعد قتل أخيه أبي يوسف (تجارب الأمم ٢/٥٤) واستطاع بدهائه ، أن يستأصل خصمه عامل البصرة (القصة ٣/٥٣ من النشوار) وكان وهو صبي يحضر مجالس القضاة والرجال المعروفين صحبة خاله (القصص ١/١٢٤ و٢/١٥٠ من النشوار) وكان يديم حضور مجالس الوزير المهلبي عند مروره بالبصرة ، وقد نقل عنه صاحب النشوار كثيراً من القصص ، راجع ١/١٢٤ و ١/١٤٠ و ٣/٥٢ و ٣/٥٣ و ٣/٦٥ و ٣/٨٢ و ٣/٨٣ و ٣/٨٤ .

٢ الزيادة من ط .

٣ الحسين بن منصور الحلاج : ترجمته في حاشية القصة ١/٨١ من النشوار .

٤ في ط : الحالات .

٥ في ط : لا من طريق المذاهب .

قال : قد صيّر لي أهل هذا البلد حديثاً ، وقد ضاق صدري ، وأُريد أن أبعد عنهم .

فقال له : مثل ماذا ؟

قال : يرونني أفعل أشياء ، فلا يسألونني عنها ، ولا يستكشفونها فيعلمون أنّها ليست كما وقع لهم ، ويخرجون ويقولون : الحلاّج مجاب الدعوة ، وله معونات قد تمّت على يده ، وألطاف ، ومن أنا حتى يكون لي هذا ؟ بحسبك ، إنّ رجلاً حمل إليّ منذ أيّام دراهم ، وقال لي : اصرفها إلى الفقراء ، فلم يكن يحضرني في الحال أحد ، فجعلتها تحت بارية[1] من بواري الجامع ، إلى جنب أسطوانة عرفتها ، وجلست طويلاً فلم يجئني أحد ، فانصرفت إلى منزلي ، وبتّ ليلتي ، فلما كان من غدٍ ، جئت إلى الأسطوانة ، وجلست أصلّي ، فاحتفّ بي قوم من الصوفيّة ، فقطعت الصلاة ، وشلت البارية ، وأعطيتهم تلك الدراهم .

فشنعوا عليّ بأن قالوا : إنّي إذا ضربت يدي إلى التراب صار في يدي دراهم .

قال : وأخذ يعدّد مثل هذا أشياء ، فقام خالي عنه ، وودّعه ، ولم [١٦٨ ب] يعد إليه .

وقال : هذا منمّس ، وسيكون له بعد هذا شأن .

فما مضى إلا قليل ، حتى [١٩٥ط] خرج من البصرة ، وظهر أمره وتلك الأخبار عنه[2] .

---

١ البارية هي الحصير المنسوج من القصب ، ولم يزل هذا اسمها في بغداد .

٢ راجع أخبار الحلاج وجماعته في القصص ١/٨١ و ١/٨٢ و ١/٨٣ و ١/٨٤ و ١/٨٥ و ١/٨٨ و ١/٨٩ و ١/٩٠ و ١/٩١ و ٦/٥٠ من النشوار ، وأخبار محاكمته في القصة ٦/٥١ من النشوار .

١٥١

جحظة البرمكي يغضب

من خسارته في النرد

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي ، قال : حدّثني أبو علي ابن الأعرابي الشاعر قال :

كنت في دعوة جَحظَة ، فأكلنا ، وجلسنا نشرب ، وهو يغنّي ، إذ دخل رجلٌ ، فقدّم إليه جحظة زلّة كان زلّها له من طعامه ونحن نأكل ، وكان بخيلاً على الطعام .

قال : وكأنّ الرجل ، كان طاوي سبع [١] ، فأتى على الزلّة ، وشال الطيفورية فارغة ، وجحظة يرمقه بغيظ ، ونحن نلمح جحظة ، ونضحك .

فلما فرغ ، قال له جحظة : تلعب معي بالنرد ؟

فقال : نعم .

فوضعاها بينهما ، ولعبا ، فتوالى الغلب على جحظة من الرجل ، بأن تجيء الفصوص [٢] على ما يريد الرجل من الأعداد .

فأخرج جحظة رأسه من قبّة الخيشِ ، إلى السماء ، وقال ، كأنّه يخاطب الله تعالى :

لعمري ، إنّي أستحق هذا ، لأنّي أشبعت [٣] من أجَعْتَهُ .

---

١ في ط : طاوي تسع .

٢ في لعبة النرد فصان اثنان ، لكل فص أوجه ستة ، وقد نقش على كل وجه نقط من ١ إلى ٦ ، وتنقل أحجار النرد حسب الأرقام الناتجة عن رمي الفصين ، وما كان يسمى من قبل فصاً ، يسمى الآن في بغداد (زار) ، أما في لبنان و مصر فيسمى (زهر) .

٣ في ب : أني أشبع .

١٥٢

بين مؤذن ومحتسب

وحدّثني [١] ، قال :

سمعت بعض شيوخنا يحكون : إنّ رجلاً مؤذّناً عادى محتسباً ، فأحضره .

فقال له : أيّ شيء بيننا ، مما يوجب استدعاءك لي .

قال : أريد أن تعرّفني وقت الصلاة ، فإن كنت عالماً بها ، وإلاّ لم أدعك تؤذّن مع الناس بالصلاة في غير وقتها .

ووجده غير قيّم بذلك ، فمنعه من الأذان .

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

١٥٣

أبو بكر بن دريد

كان آية في الحفظ

وحدّثني[١] ، قال : حدّثني جماعة، عن أبي بكر بن دريد[٢] ، أنّه قال : كان أبو عثمان الأشناندانى معلّمي ، وكان عمّي الحسين بن دريد يتولّى تربيتي ، فإذا أراد الأكل ، استدعى أبا عثمان ، فأكل معه .

فدخل عمّي يوماً ، وأبو عثمان المعلّم يروّيني قصيدة الحارث بن حِلّزة[٣] التي أوّلها :

آذنتنا ببينها أسماء

فقال لي عمّي : إذا حفظت هذه القصيدة ، وهبت لك كذا وكذا . ثمّ دعا بالمعلّم ليأكل معه، فدخل إليه، فأكلا ، وقعدا بعد الأكل ساعة ، فإلى أن خرج المعلّم ، حفظت ديوان الحارث بن حِلّزة بأسره .

فخرج المعلّم ، فعرّفته ذلك ، فاستعظمه ، وأخذ يعتبره عليّ فوجدني قد حفظته ، فدخل إلى عمّي ، فأخبره ، فأعطاني ما كان وعدني .

قال : وكان أبو بكر واسع الحفظ جداً ، ما رأيت أحفظ منه ، كان يقرأ عليه دواوين العرب كلها ، أو أكثرها ، فيسابق إلى حفظها فيحفظها . وما رأيته قط قرئ عليه ديوان شاعر ، إلاّ وهو يسابق إلى قراءته [لحفظه له][٤] .

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي ، وقد نقلها معجم الأدباء ٦ / ٤٨٥ .

٢ أبو بكر بن دريد الأزدي : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٠٩ من النشوار

٣ قصيدة الحارث بن حلزه اليشكري ، إحدى المعلقات السبع ، والحارث شاعر جاهلي، أكثر في معلقته هذه من الفخر حتى ضرب به المثل (الأعلام ٢/١٥٥) .

٤ الزيادة من ط .

١٥٤

البربهاري رئيس الحنابلة ببغداد

حدّثني أبو الحسن ، قال : سمعت أبا محمد السليماني الهاشمي ، المعروف بعباد [رحله] [١] ، وقد جرى ذكر [١٦٩ب] البربهاري [٢] بحضرته ، فقال :

وقف يوماً للقاهر [٣] ، فقال : يا أمير المومنين أهلكِ الهاشميين .

فقال القاهر : أَفْعَلُ ، وإنّما أراد أن يذكّره بهم ، ويقول : أهلُكَ .

ورأى عيناً هائجة ، فقال : لو استعمل لها الخضرط ، عوفيت .

فقيل له : ليس هو الخضرط .

فقال : نعم ، غلطت ، هو الخضخض .

فسكتوا عنه ، وإنّما أراد الحضض [٤] .

---

١ الزيادة من ط والهفوات ١٦٠ .

٢ البربهاري : الحسن بن علي بن خلف رئيس الحنابلة : ترجمته في حاشية القصة ٢/ ١٢٤ من النشوار ، راجع القصص ٢/ ١٧ و ١٢٣ و ١٢٤ من النشوار .

٣ القاهر : محمد بن المعتضد ، ترجمته في حاشية القصة ٢/ ٣٣ من النشوار .

٤ في ب : الحصرم ، والتصحيح من الهفوات ، والحضض دواء للعين (ابن البيطار ١/٢٣) .

١٥٥

أبو الفرج الببغاء ينشئ نسخة كتاب

على لسان الأمير سيف الدولة بشأن الفداء

حدّثني أبو الفرج الببغاء[١] ، قال :

لمّا [١٩٦ ط] أقام سيف الدولة الفداء[٢] ، بشاطئ الفرات في رجب سنة خمس وخمسين وثلثمائة[٣] ، لزِمَهُ عليه خمسمائة ألف دينار ، في شراء الأسارى ، والأموال التي وصلَتهُم بها ، ورمّ بها أحوالهم .

وأخرج جميع ذلك من ماله ، صبراً واحتساباً ، وطلبا للثواب والذكر ، من غير أن يعاونه أحد من الملوك عليه ، ولا غيرهم .

وكان ذلك خاتم أعماله الحسنة ، وأفعاله الشريفة ، التي تجاوز الوصف ، وتفوت العدّ .

فلما فرغ من ذلك ، تقدّم إلى كل من بحضرته ، في الوقت ، من أهل الكتابة ، أن ينشئ كل واحد منهم ، نسخة كتاب ليكتب عنه إلى من في البلدان من الجيش والرعية ، بخبر تمام الفداء ، ووصف الحال فيه .

فكتبت عنه في ذلك :

كتابنا ، تولاّكم الله بكفايته ، وحرسنا فيكم بناظر رعايته ، من معسكرنا بالبقعة المعروفة بالمعقلة من شاطئ الفرات ، بعد إمضائنا أمر الفداء الذي اختصّنا الله فيه بشرف ذكره ، وانتخبنا للنهوض بمعظم أمره ، وولينا

---

١ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي المعروف بالببغاء : ترجمته في حاشية القصة ١ / ٥٢ من النشوار .

٢ في ط : لما قام سيف الدولة بالفداء .

٣ راجع تجارب الأمم ٢ / ٢٢٠ والمنتظم ٧ / ٣٣ والكامل ٨ / ٥٧٤ .

بالمعونة في تحمّل ثقله ، ووفّقنا للفوز بإحراز فضله ، بعد أن استراحت فيه النيات إلى الغفلة ، ومطاوعة الشحّ ، ومساكنة الراحة ، وتظنّون بالله الظنون .

فالحمد لله حمداً نستديم بالإخلاص فيه مَدد عوارفه وأياديه ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله .

ولما كانت منح الله تعالى لدينا ، ونعمه المتظاهرة علينا ، أعظم من أن تطاول بثناء ، وأجلّ من أن تقابل بجزاء ، رأينا الاعتراف بما أحرزناه من سالفها ، والإشادة بما قابلناه من مستأنفها ، أقدر على استزادتها ، وأولى بحراستها .

ولم نزل ، ولله المنة ، منذ عرفنا ما ندبنا إليه ، وتأملنا ما حضّنا عليه ، من الخفوف لجهاد الكافرين والتعبّد بقتال المخالفين ، بين رأي يتضمّن التوفيق عواقبه ، وعزم يصرع الإقبال مغالبه ، و[فتح يجمع الإسلام أثره ، وبلاء تتداول الأيّام خبره][1] .

ولا ننصرف عن غزو إلاّ إلى نفير[2] ، ولا نتشاغل بنظرٍ إلاّ إلى تدبير ، ولا نعتدّ بالمال إلاّ ما أنفقناه ، ولا نسرّ بذخر إلاّ ما أنفدناه[3]، فيما حرس الأمّة ، وحصّن الملّة ، وبثّ العدل ، وجمع الشمل [١٧٠ ب] .

إلى أن استعبدنا ملوكهم بالأسر ، وجسنا ديارهم[4] بكتائب النصر ، وأوحشنا المراتب من أربابها ، واستنزلنا عن الحصون[5] أصحابها ، وفجعنا ملكهم بصهره وابن أخته قهراً ، وأثكلنا أخاه مراغمة وصغراً .

---

١ الزيادة من ب .
٢ في ب : لا ننصرف عن عزم إلا إلى يقين .
٣ في ط : ما استفدناه .
٤ في ب : وحبسنا ذرياتهم .
٥ في ب : وأسفرت لنا الحصون .

فلما أدلنا الحق من الضلال، وأعاده الله تعالى بنا من العزّ إلى أشرف حال[1]، عدلت السيوف عن دمائهم إلى أغمادها ، واستبدلت إصدارها بإيرادها ، ونصلت الرماح أسنّتها ، وطاوعت الخيل أعنّتها ، واستماحتنا الأعداء إلى الموادعة ، ورغبت إلينا بالتضرع في المسألة .

واستفتحوا ذلك بطلب الفداء الذي لا يسعنا الامتناع منه ، ولا نجد تأوّلاً في الإضراب عنه .

فرأينا بعد الإثخان في الأرض، فكّ من في أيديهم من الموحّدين ، ومن في رقّهم من المسلمين [١٩٧ ط] ، أفضل كاسب لعاجل الشكر ، وأوفى ضامنٍ لآجلِ الأجر .

فأنفذنا إلى سائر الأقطار ، وبثثنا الأصحاب في جميع الأمصار ، لإحصاء السبي وانتزاعه ، والتوفّر على جمعه وابتياعه ، من خالص ملكنا ، وخاصّ مالنا ، من غير مسامحة لأحد من أهل زماننا في معاونتنا ، بغير الثياب التي شركناهم بها في نيل الحمد وكسب المثوبة .

وأضفناهم إلى من ملكناه بحكم الرماح ، وأحرزناه بقهر الخيل والصفاح ، من أكابر البطارقة ، وأنجاب الزراورة ، ووجوه الأعلاج ، وأنجاد الأنجاس[2] .

ولم يزل من سَلَف قَبْلَنا من الملوك ، وتقدّمنا من السلاطين ، في عقد الهدن، وإقامة الأفدية ، يرغب إلى سائر نظرائه ، وذوي السعة من أتباعه ، والمكنة من رعيته ، في معاونته بالأحوال ، ومعاضدته ببذل الأموال .

وأبى الله لنا إلاّ التفرّد بأجر ذلك وشكره ، وحميد أثره ، وجميل ذكره .

---

١ في ط : إلى الإذلال .

٢ في ط : الأجناس .

وندبنا أكابر الغلمان ، وثقاة الخدم ، لتسييرهم بأعمّ رأفة وأتمّ رفق ، حسب ما أمرنا به من ترفيه السبي ، ومراعاة الأسرى ، إلى أن عبرنا بجميعهم من الفرات ، بحيث سألنا صاحبهم الانجذاب إليه ، ورغبَ إلينا في النزول عليه ، تأنّساً بمجاورة الدروب المستصعبة ، وحذراً من مفارقة الجبال المستعصمة .

فلما اقتضى قربنا سرعة المسير ، وتنجّزه دنوّنا لإمضاء الأمر بعد التقرير . أقدم مرتاباً بإقدامه ، وسار متّهماً عواقب رأيه واعتزامه ، بجموع يفرّق الجزع آراءها ، وقلوب يشتت الخوف أهواءها ، وأفكار مكدودة بالوجل ، ومُنَنٍ[1] مستعبدة لأوامر الفشل ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدوّ فاحذرهم ، إلى أنْ حلّ بفنائنا ملقياً مقاليد أمره [١٧١ ب] إلى الاستسلام ، وآخذاً من وفائنا بأوكد ذمام .

وافتتحنا الفداء يوم السبت غرّة رجب الذي هو غرّة الأشهر الحرم ، وقد عرّف الله تعالى المسلمين ما استودعناه من صالح الأعمال ، وزكيّ الأفعال ، وتعجّل البركات ، وتناصر الخيرات ، فاستمرّ بأكمل هدي ، وأنجح سعي ، وأبسط قدرة ، وأعمّ نصرة ، وأعزّ سلطان ، وأوضح برهان ، وكلمة الله العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، والله عزيز حكيم .

ولم تزل الحال في ذلك جارية على أحكم نظام ، وأحسن التئام ، إلى أن استنقذ الله بنا من كاد تطاول الأسر يستغويه ، والإياس من الخلاص أن يرديه ، وهم على أفضل ما عهدناهم عليه من حسن اليقين ، والتمسّك بعصم الدين .

وسار عنّا من فاديناه من البطارقة المذكورين ، والزراورة المشهورين ، بأجسام ضاعنةٍ ، وقلوب قاطنة ، تتلفّت إلى ما خلّفته من غامر تفضّلنا ، وألفته من ألطاف تطوّلنا .

---

١ المنن : مفردها منة : القوة .

فهم بعد الفداء موثقون في أسر الإحسان ، ومع الخلاص مقرونون برقّ التطوّل والامتنان .

ولما أحضرونا من أسروه من الأعمال [النازحة ، والبلدان الشاسعة ، ولم نستخر ادّخار الأموال] [1] عن خلاصهم [١٩٨ط] ولا الشحّ بها عن تعجيل فكاكهم ، فابتعناهم من الأثمان بأعظمها ، ومن الأموال بأجسمها ، ولم نطع في ادّخار الذهب والفضة ، المقرون بمخاوف الوعيد ، وفظيع التهديد ، أمر الشكّ في ربح الصفقة بمتاجرة الله تعالى ، جلّ اسمه واثقين بعاجل الخلف ، وآجل الجزاء ، وذلك الفوز العظيم .

وتداركنا من عمارة أحوالهم، ما كان مختلاً بمعاناة الفقر، ومتهافتاً بتطاول الأسر ، وانقلبنا قافلين بأسعد منقلب ، وأربح مكتسب ، وأتم إقبال ، وأجمل حال ، بعد أن أجفل العدوّ خذله الله ، مستطيلاً مدّة إقامته ، وشاكّاً في إحراز سلامته ، متوهّماً أن الخيول تطلبه ، والرماح تتعقّبه ، لا يعرّج على ضعفاء ساقته ، ولا يلوي على أخصّ من في جملته .

وتقدّمنا بمكاتبة أوليائنا، وكافّة رعيّتنا، بذكر ما هيأه الله عزّ وجل لنا من تظاهر النعم ، وتواتر القسم، وليشهروا ذلك على منابر الصلوات ، ويعلنوه بالرسائل والمكاتبات، إذ كان ما يتوجّه بالله سبحانه من تتابع [النعم و] [2] المنح ، وتواصل العوارف ، عائداً على الملّة ، ومساوياً بالنفع به الأمّة .

فالحمد لله الذي اختصّنا من اختياره ، وأفردنا بإيثاره ، بما رآنا له أهلاً لخلافة نبيّه صلى الله عليه وسلّم في حراسة أمّته ، وإعزاز كلمته .

وإليه نرغب في توفيقنا للاعتراف بعوارفه ، لما تكون به النعم محروسة [١٧٣ب] والموهبة محفوظة ، لا ينتقصها كفران ، ولا يرتجعها عدوان ، إن شاء الله تعالى .

---

١ الزيادة من ب .
٢ الزيادة من ط .

١٥٦

الشاعر المعوجّ يمدح بدر الحمامي

حدّثني أبي ، قال : حدّثني المعوجّ ، قال :

كبا الفرس ببدر الحمامي[1] ، وافتصد ، فدخلت إليه ، فأنشدته أبياتاً عملتها في الحال ، وهي :

لا ذنب للطِّرْف إن زلّت قوائمه　　وليس يلحقه من عائب دنسُ

حمّلت بأساً وجوداً فوقه وندّى　　وليس يقوى بهذا كلّه الفرس

قالوا افتصدت فما نفس العلى معها　　خوفاً عليك ، ولا نفس لها نفَس

كفّ الطبيب دعا كفاً يقبلهـا　　ويطلب الرزق منها حين يحتبس

فأمر لي بخمسة آلاف درهم ، فأخذتها وانصرفت .

---

١ أبو النجم بدر : مولى المعتضد ويسمى بدر الكبير ويقال له بدر الحمامي ، وكان قد تولى الأعمال مع ابن طولون بمصر ، ثم قدم بغداد فولاه السلطان أعمال الحرب والمعاون بفارس وكرمان ، فخرج إلى عمله ، وأقام هناك وطالت أيامه وتوفي بشيراز سنة ٣١١ (المنتظم ٦/ ١٨٠) .

١٥٧

الشاعر الصروي يمدح صاحب النشوار

وكنت سقطت من بغلةٍ ، فعمل أبو القاسم عبيد الله ، قصيدة أنشدنيها ، منها :

أسُمْتَ فتاة العير حمل العلى وقد ... نُهيت من الإشفاق عن حملك القبّا[1]

ومشّيتها تحت الشريعة والقضا ... ولو سمت رضوى حمل ذين قضى نحبا

فيا عجباً أن لم يسخ رسغها القضا ... وما هدّ ثقلُ الدين من متنها الصلبا

ومن ذا يطيق الطود حملاً[2] إذا رسا ... ومن يحمل البحر الخضمّ إذا عبّا [١٩٩ ط]

فَزلّت ببدرٍ منك لم يخف نوره ... وغيث حياً أحيا بسقطته التربا

وقمت سليم الجسم يدعو لك الثرى ... ويلثم منك الرجل والنعل والركبا

نهنّي بك المحراب والآي والتقى ... ودستك والأقلام والحكم والكتبا

---

١ القب : ما يدخل في جيب القميص من الرقاع .

٢ في ب : حلماً .

١٥٨

أبيات من نظم

أبي القاسم عبيد الله بن محمد الصروي

أنشدني أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي ، لنفسه ، يصف زرّاقة النفط :

وصفراء في فيها لعابٌ كَلَوْنِها ... إذا قذَفَتْهُ لاعب الريح واستنّا
يجلّله[1] من بطنها في خروجه ... رداء دجى حتّى يصير لها حصنا
لها ذنب في رأسه ذنب لـه ... إذا جرّ منها ردّ في جوفها طعنا
يمجّ بروقاً بـين ليلين من حشا ... إلى فم أفعى ما ترى بينه سنّاً
تخوض الوغى عريانة لتخيفـه ... ولو سئلت لم تعرف الخوف والأمنا

وأنشدني لنفسه :

وناولني في أسفل الكأس فضلة ... مزعفرة صفراء والكأس أبيض
كنرجسة في الروض ترنو بمقـلة ... مذهّبة والجفن منها مفضّض

وأنشدني لنفسه في صفة إبريق وساق :

ولاح لنا الإبريق من كفّ شادنٍ ... له وجنة من لحظنا أبداً تدمى
كملحوظة مدّت يداً دون وجهها ... وأُخرى بها ردّت على رأسها[2] الكمّا
على شعر في عارضيه كأنّمـــا ... زرعن المها أجفانها فيه والسقما
كأنّ الليالي قد عددن سنينه ... فصيرن في خدّيه داراته رقما

---

١ في ب : يحلله وفي ط : تحلله .
٢ في ط : وجهها .

وأنشدني لنفسه يصف مجدوراً :

بدر وغصن[1] من فوق دعص نقا   لم أصغ في حبّه إلي لاحي
له لحاظ مرضى بلا سقم   سكرى من الغنج تُسْكرُ الصاحي
جدّر فاعتاض من تورّده   بصفرة في ملثّم ضاح
كأنّه فوق خدّه حَبَبٌ   يلعب بعد المزاج في الراح[١٧٣ب]

وأنشدني لنفسه في كانون :

كأنّ تأجج كانوننـــا   تكاثف نور من العصفر
وأحدث إخماده زرقة   تأجّج في مدمج أحمر
كبركة خمر بحافاتها   بقايا تَفَتُّحِ نيلوفر[2]

وأنشدني لنفسه أيضاً في كانون :

أنظر إلى كانوننـــا   يضحك من غير فرح
كحمرة في شفـــق   دبّجها قَوْس قُزح [٢٠٠ ط]

---

١ في ب : قد رق غصن .

٢ في الأصل : لينوفر ، والنيلوفر ، نبات مائي ينبت في الأنهار والمناقع ، والكلمة يونانية تعني آلهة الماء (لسان العرب) .

١٥٩

لأبي الفرج الببغاء

في وصف كانون

وحدّثني أبو الفرج الببغاء[١] ، قال :

كنتُ بحضرة أبي العشائر بن حمدان[٢] ، وبين يديه كانون ، قد عمل النار في باطن فحمه ، فعملت في الحال ، وأنشدته :

ومجلس حلّ من يحلّ به	من المعالي في أرفع الدرج
أمسى ندام الكانون فيه لنا	أكثر أنس النفوس والمهج
يبدي لنا ألسُناً كالسِنَةِ الـ	حيّات من ثابت ومختلج
لما بدا الفحم فيه أسود كالـ	ليل وبثّ الشرار كالسرج
ودبّ صبغ اللهيب فيه بتضـ	ريج خدود[٣] الشقائق الضرج
ظننت شمس الضحى به انكشفت	للخلق في قبّة من السبج

---

١ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي المعروف بالببغاء : ترجمته في حاشية القصة ١/٥٢ من النشوار .

٢ أبو العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان : كان من قواد سيف الدولة ، وأسره الروم سنة ٣٤٥ وحمل إلى القسطنطينية ، ومات في الأسر (أخبار سيف الدولة ١١٦ و ١١٧) ولأبي فراس الحمداني قصائد من جيد الشعر بعث بها إليه عند أسره (اليتيمة ١/٦٤ و٧٥) ولأبي العشائر شعر دون المتوسط في المرتبة ، أورد الثعالبي بعضه في اليتيمة ١/١٠٤ و ١٠٥ .

٣ في ب : كصبغ .

١٦٠

لأبي الفرج الببغاء

في صفة شمعة

أنشدني لنفسه[1] في صفة شمعة :

وصفر كأطراف العوالي قدودها   قيامٌ على أعلى كراس من الصِّفْر[2]
تلبّسن من شمس الأصيل غلائلاً   فأشرقن في الظلماء بالخلِع الصُّفرِ
عرائس يجلوها الدجى لمماتها   وتحيا إذا أذرت دموعاً من التبر
إذا ضربت أعناقها في رضا الدجى   أعارته من أنوارها خِلَع الفجر
تبكّى على أحشائها بجسومها   فأدمعها أجسامها أبداً تجري
علاها ضياء عامل في حياتها   كما تعمل الأيّام في قصر العمر

---

١ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي المعروف بالببغاء : ترجمته في حاشية القصة ١ / ٥٢ من النشوار .

٢ الصفر : النحاس .

١٦١

للسري الرفاء في الغزل

أنشدني غير واحد ، قالوا : أنشدنا سري بن أحمد [الكندي] [١] الرفاء [٢] ، لنفسه :

وذي غَنَجٍ يرنو بمقلة جؤذر   متى يعد فيه [٣] خالع العذر يعذر
له فوق ورد الخدّ خالٌ كأنّه   إذا احمرّ ورد الخدّ نقطة عنبر

---

١ الزيادة من ط .

٢ أبو الحسن السري بن أحمد بن السري الكندي ، المعروف بالسري الرفاء الموصلي : كان يرفو ويطرز وينظم الشعر ويجيد فيه ، ثم اتصل بسيف الدولة والوزير المهلبي ، فحسنت حاله ، وتوفي ببغداد سنة ٣٦٢ (وفيات الأعيان ٢/ ١٠٤) .

٣ في ط : عنه .

١٦٢

بين قاضي القضاة أبي السائب
والشاعر ابن سكّرة الهاشمي

أخبرني جماعة من أهل عصرنا من المتأدبين ببغداد :

أنّ أبا الحسن محمد بن عبد الله بن سكّرة [١] الهاشمي ، دخل إلى قاضي القضاة أبي السائب عتبة بن عبيد الله [٢] ، وهو جالس للحكم ، فكتب رقعة كالقصص ، ودفعها إليه ، وقد كان مدحَهُ فتأخّرت صلته عنه .

فلما قرأها أبو السائب ، لم يبن في وجهه غضب ، ولا نكير ، ووقّع فيها شيئاً بخطّه .

وقال : أين رافع هذه القصّة ؟

فقام ابن سكرة ، فدفعها إليه ، فأخذها مقدّراً أنّ فيها ما يستكفّ لسانه عنه من صلة أو برّ ، فلما قرأها استحيا وانصرف .

فَقُرِئت الرقعة ، فإذا الابتداء بخطّ ابن سكرة شعرٌ ، والجواب بخط أبي السائب نثر ، كما نسخناها هاهنا :

يا عتبة بن عبيد حوشيت من كل عيب [٣] لبيك يا مختصر [٤] [١٧٤ ب]

....

١ أبو الحسن بن سكرة : محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي البغدادي الشاعر المشهور ، قال عنه الثعالبي هو شاعر متسع الباع، في أنواع الإبداع، فائق في قول الطرف والملح على الفحول والأفراد ، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد ، توفي سنة ٣٨٥ ، (وفيات الأعيان ٤/ ٤٠) .

٢ سبقت ترجمة أبي السائب : حاشية القصة ١/ ١١٧ من النشوار

٣ في ب : بعيب .

٤ كذا في ب وط .

وأبعد الله قوماً رموك عندي بريب وأنت فحوشيت من كل سوء

قالوا بأنك تهوى زبيبة[1] بن شعيب كذبوا

فقلت هذا محالٌ أصبوةٌ بعد شيب ؟ أحسن الله جزاءك ، وقلت

ما يشبهك ، وربما كانت

[٢٠١ ط]

لقد هتفتم بشيخ نقيّ ذيل وجيب بئس ما فعلوا ، والحمد لله على ذلك

رأيتم الأير فيه ؟ فلِمْ شهدتم بغيب ؟ جهلاً منهم بطرق الشهادة[2]

---

١ في ط : ربيبة .

٢ انظر ما كتبه صاحب تجارب الأمم عن القاضي أبي السائب (٢/١٨٤) .

١٦٣
طبيعة الأمير سيف الدولة
في إسداء المكارم

حدّثني أبو الفرج الببغاء ، قال :

تأخّر عني رسمي من الكسوة ، على الأمير سيف الدولة ، وكان آثر الأشياء عنده ، وأنفقها عليه ، وأحبّها إليه ، أن يُسأل فيعطي ، وأن يستزاد فيزيد ، وأن يطالب ، ويناظَر ، حتى كان دائماً يعزل للإنسان شيئاً ، يريد هبته له ، خلف ظهره ، ويقول : أُريد أن أعطي فلاناً هذا .

فيخرج من يحضر ، فيحدّث الرجل ، فيحضر ، ولا يعطيه .

فيقول له الرجل : إيش وراء مسورة مولانا ؟

فيقول : وأي شيء عليك ؟[1] وأيش فضولك ؟

فيقول : هذا والله لي عَزَلَهُ مولانا .

فيقول : لا .

فيقول : بلى، ويأخذه ، ويجاذبه عليه ، فإذا فعل ذلك، أعطاه ، وزاده شيئاً آخر ، يلتذّ بهذا .

قال : فكتبت إليه ، أستحثّه على رسمي من الكسوة :

الرضا بالمأمول ، أطال الله بقاء سيّدنا الأمير سيف الدولة ، دليل[2] على همّة الآمل ، ومحلّ المسؤول في نفسه ، مترجمٌ عن نفاسة نفس السائل ، إذ كان الناس من التخلّق بالكرم، والتفاضل بالهمم ، في منازل غير متقاربة،

---

١ أي شيء عليك ، اختصرت فصارت : أيش عليك ، ثم اختصرت فصارت : شعليك ، واللفظة بشكلها الأخير مستعملة الآن في بغداد .

٢ في ط : قليل .

ومراتب غير متناسبة ، وشرف أدبه ، في شرف طلبه .

ورجاء سيف الدولة الشرف الذي يتقاصر التفصيل عن تفصيله
ضمنت تأميلي نداه فردّه جذلان من سفر الظنون بسوله
وغنيت[1] حين بلغت وِرْد نواله عن وِرْدِ ممتنع النوال بَخيِلْه
فالغيث يغبطني على إنعامه والدهر يحسدني على تأميله

وعلمي بأنّ أقرب مؤمليه — أيّده الله — إليه ، وأوجبهم حرمة عليه ، أشدّهم استزادة لنعمه ، وأكثرهم تسحّباً على كرمه ، بعثني على التقرّب إلى قلبه بالسؤال ، ومناجاة كرمه بلسان الآمال . [فسألته متقرباً[2] ، وطلبته متسحّباً ، فإن رأى العادل إلاّ في ماله ، والمقتصد إلاّ في أفضاله ، سيّدنا الأمير سيف الدولة أطال الله بقاءه][3] .

أن تعلم الأيام موضع عبده من عزّه ومكانه من رائه
بشواهد الخلع التي يغدو بها متطاولاً شرفاً على نظرائه
فمن العجائب حبس توقيع له وموقّع التوقيع من شفعائه

فعل إن شاء الله تعالى[4] .

---

١ في ب : وافقت .
٢ لم ترد في ب ، ووردت في ط : فماله متعرباً .
٣ الزيادة من ط .
٤ راجع بشأن طبيعة الأمير سيف الدولة الحمداني في إسداء المكارم القصص ٣/١٢٠ و ٣/١٢١ و ٢/١٥٥ وبعض أخباره في القصص ١/٣ و ١/٤٤ و ١/٥٢ و ١/١٢٢ و ١/١٤٩ و ١/١٥٠ و ١/١٥١ و ١/١٩٠ من النشوار .

١٦٤

كيف تأثلت حال أبي عبد الله ابن الجصّاص

حدّثني أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعلان ، قال : حدّثني أبو علي أحمد بن الحسين بن عبد الله الجوهريّ ، ابن الجصّاص ، قال : قال لي أبي :

كان بدءُ إكثاري ، أنّي كنت في دهليز حرم أبي الجيش خمارويه [1] بن أحمد بن طولون ، وكنت أتوكّل له ولهم في ابتياع الجوهر وغيره [٢٠٢ط] ممّا يحتاجون إليه ، وما كنت أكاد أفارق [١٧٥ب] الدهليز لاختصاصي بهم .

فخرجت إليّ قهرمانة لهم في بعض الأيّام ، ومعها عقد جوهر ، فيه مائتا حبّة ، لم أر قبله أحسن منه ، ولا أفخر ، تساوي كل حبّة منه ألف دينار عندي .

فقالت : نحتاج أن تخرط هذه حتى تصغر ، فتجعل لأربع عشرات اللعب .

فكدت أن أطير ، وأخذتها ، وقلت السمع والطاعة .

[وخرجت في الحال مسروراً] [2] ، وأنا على وجهي ، فجمعت التجّار ، ولم أزل أشتري ما قدرت عليه ، حتى حصلت مائة حبّة أشكال من النوع الذي أرادته .

وجئت بها عشيّاً ، فقلت : إن خرط هذا يحتاج إلى زمان وإنظار [3] ،

---

١ خمارويه : أبو الجيش ابن أحمد بن طولون : خلف أباه في حكم مصر والشام وهو ابن عشرين سنة ، وكانت مملكته تمتد من الفرات إلى حدود النوبه ، تزوج المعتضد ابنته قطر الندى على مهر مقداره ألف ألف درهم وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل ، قتل خمارويه وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة سنة ٢٨٢ بدمشق قتله غلمانه ، وقتلوا جميعاً (المنتظم ٥/١٥٥) .

٢ الزيادة من ب .

٣ الإنظار : الأمهال .

وقد خرطنا اليوم ما قدرنا عليه ، وهو هذا ، ودفعت إليهم المجتمع ، والباقي يخرط في أيام .

فقنعت بذلك ، وارتضت الحب ، وخرجت .

فما زلت أيّاماً في طلب الباقي ، حتّى اجتمع ، فحملت إليهم مائتي حبّة قامت عليّ بأثمان قريبة ، تكون دون مائة ألف درهم ، أو حواليها ، وحصلت جوهراً بمائتي ألف دينار .

ثم لزمت دهليزهم ، وأخذت لنفسي غرفة كانت فيه ، فجعلتها مسكني[1] .

قال : فلحقني من هذا ، أكثر ممّا يحصى ، حتّى كثرت النعمة ، وانتهت إلى ما استفاض خبره .

---

١ الدهليز : الممر الذي بين باب الدار ووسطها ، ويسمى الآن ببغداد : المجاز ، والكلمة فصيحة، لأنه موضع الجواز إلى داخل الدار، وكانت دهاليز دور الوزراء والقادة والأمراء تشتمل على حجر عديدة برسم الخدم والأتباع والوكلاء والحراس والرجالة ، وفيها مواضع للجلوس والطعام ، راجع القصة ١/٥ من النشوار ، لما شاهد الوزير حامد بن العباس في دهليز داره قشر باقلاء مما يأكله البوابون ، وفي قصة من قصص الفرج بعد الشدة (١/٥٤) يحدثنا أبو الحسين المقرىء انه لما خرج من مقابلة القائد نازوك ، وصار في الدهليز ، عدل به إلى موضع فأجلس ، ويحدثنا أبو جعفر بن شيرزاد عن دهليز داره ، انه كان محصّناً ببابين ، واحدة على الطريق العام ، والثانية على صحن الدار ، فإذا دخل الداخلون من الباب الأولى ، بقيت الثانية مغلقة، حتّى إذا استتم دخولهم واستقروا في الدهليز ، أغلقت الباب الأولى ، وفتحت لهم الباب الثانية لينفذوا منها إلى داخل الدار (الفرج بعد الشدة ٢/١٣٤) .

١٦٥

سبب اختصاص أبي عبد الله

ابن الجصاص بأبي الجيش خمارويه أمير مصر

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش . قال : سمعت مشايخنا ، يقولون :

إنّ أصل اختصاص ابن الجصّاص بأبي الجيش ابن طولون ، أنّ أبا الجيش كان يشرب ، إذا قعد للشرب ، أربعين رطلاً من نبيذ مصر المعروف بالشيروي [1] .

قال : ومن يشرب منه رطلاً ، يقدر أن يشرب من غيره أرطالاً .

وكان لا يصبر معه أحد من ندمائه ، ويسكرون قبله ، فيصعب ذلك عليه ، ويبقى وحده ، فكان يتطلّب المجيدين للشرب .

فوصف له ابن الجصاص ، وهو إذ ذاك يتّجر في الجوهر ، فاستدعاه ، فأدخل إليه ، فحين مثل بين يديه ، قبّل الأرض ، ولم يكن الناس يعرفون ذلك ، فاستظرف خمارويه حسن أدبه .

وقال : أبو من ؟

قال : عبد الأمير الحسين .

فقال : هذه اثنتان .

فواكله ، وشاربه ، قدحاً وقدحاً ، حتى سكر خمارويه ، ثم شرب بعده رطلاً .

فبلغ ذلك خمارويه من غدٍ ، فأدخله ، وأجازه جائزة عظيمة .

وقال : ما صناعتك ؟

قال : الجوهر .

---

١ في ط : السروي.

فقال : لا يبتاع لنا شيء إلاّ على يده ، وكان مشغوفاً به ، فكسب فيه الأموال .

وحصل يأكل معه ، ويشاربه إذا أراد الشرب ، فينام ندماؤه كلهم غيره ، فولّد ذلك له أنساً تاماً به ، فكان يخرج إليه على النبيذ بأسراره ، ويحادثه ، ويأنس به .

وردّ إليه أمر داره ، والإشراف على جميع نفقاته .

ولم تزل حاله تقوى وتتزايد ، حتّى عرض له تزويج ابنته بالمعتضد ، فأنفذه في الرسالة [١٧٦ ب]حتّى عقد الإملاك ، ثم أجرى أمر الجهاز على يده ، فجرف الأموال بغير حساب .

قال : فأخبرني بعض أصحابنا ، [٢٠٣ ط] أنه لحق بعض الفرش الذي كان في جهاز قطر الندى ابنة خمارويه[١]، مَطَر ، فيما بين دمشق والرملة[٢]، فنزلها ابن الجصاص ، وكتب إليه يعرّفه الخبر ، ويستأذنه في تطرية ذلك ، فأذن له فيه .

فأقام شهرين لهذا السبب ، وطرّى الفرش ، فاحتسب في النفقه ، ثلاثين ألف دينار .

قال : ولما حصلت قطر الندى ببغداد ، أضاق خمارويه إضاقة شديدة ، لأنّه افتقر بما حمله معها ، وخرج من جميع نعمته ، حتّى طلب شمعة ، فاحتبست عليه ساعة ، إلى أن احتيلت .

فقال : لعن الله ابن الجصّاص ، أفقرني في السر .

---

١ قطر الندى : أسماء بنت خمارويه ابن أحمد بن طولون ، من شهيرات النساء عقلا، وجمالا ، وأدباً ، تزوجها المعتضد العباسي سنة ٢٨١ وتوفيت سنة ٢٨٧ وتوفي المعتضد بعدها بسنتين (الأعلام ١/٢٩٩) .

٢ الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، بينها وبين بيت المقدس ١٨ ميلا ، بناها الخليفة سليمان ابن عبد الملك ، وبقيت عامرة ، حتى خربت أيام الحروب الصليبية (معجم البلدان ٢/٨١٧) .

١٦٦

بين الخليفة المكتفي

والتاجر ابن الجصّاص

قال : ومن عجيب أخبار ابن الجصّاص، انّه طلب منه المكتفي [١] عقداً حسناً من فاخر الجوهر ، يبتاعه منه .

فقال : كم يبلغ يا أمير المؤمنين ؟

قال : ثلاثين ألف دينار .

قال : لا تصيب كما تريد ، ولكن عندي عقد فيه ستّون حبّة ، ولا أبيعك إيّاه بأقل من ستين ألف دينار ، فإن أذنت [٢] ، حَمَلْتُهُ .

فقال : افْعَل .

فحمله إليه ، والعبّاس بن الحسن [٣] قائم بين يديه ، فعرضه عليه ، فهال المكتفي أمره وحسنه ، وقال : ما رأيت مثل هذا قط .

فقال : ومن أين عندك أنت مثل هذا يا أبا مشكاحل [٤] ؟

فتنكّر المكتفي ، وتنمّر ، وهمّ به .

فأومأ إليه العبّاس بالإمساك ، فأمسك ، وترك العقد ابن الجصّاص ، بحضرة الخليفة ، وخرج .

---

١ الخليفة المكتفي ، علي بن المعتضد : ترجمته في حاشية القصة ١/١٥٥ من النشوار .

٢ في ط : بلغت .

٣ العباس بن الحسن الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/١٦٨ من النشوار .

٤ أبو مشكاحل : يقولها العامي البغدادي لمن يستهزىء به ويفتخر عليه ، قال الأب الكرملي أصلها : مشكاحن ، آرامية ، ومعناها : المتفنن في استنباط الحيل للظفر بالمعيشة .

فقال المكتفي للعبّاس : بالله ، وبحقي [1] عليك ، هذه الكنية تلقّبني بها العامة ؟

فقال : لا والله يا مولانا، ولكن هذا رجل رقيع [2] عاميّ ، والعامّة إذا افتخرت على إنسان ، قالت له مثل هذا ، وقد ربحت بهذه الكلمة العقد ، بلا ثمن ، فدعني وابن الجصّاص ، فإن جاءك فأحله عليّ .

فلما كان بعد أيّام ، جاء ابن الجصاص ، فأذكر المكتفي بثمن العقد .

فقال له : إلق العبّاس .

فجاء إليه ، فطالبه بالمال .

فقال : ويحك ، تطالب بثمن العقد ، بعد ما لقّبت الخليفة بسببه ، واجترأت عليه بما لا يجوز أن تجترئ بمثله على بعض غلمانه ؟ لا تتكلّم بهذا فتولّد لنفسك منه ، ما لا تحتاج إليه .

فأمسك ابن الجصّاص ، وذهب منه العقد والمال بالكلمة [3] .

---

١ في ب : ويخفى .

٢ الرقيع : الأحمق ، والعامة الآن ببغداد يقولون : سقيع ، بالسين ، ومن أمثالهم : كل طويل سقيع ، وكل قصير فتنة ، ويريدون بالسقيع الذي تتسم أقواله وأفعاله بالحمق والرعونة ، ويعبرون عن الحصيف بقولهم : مطبوخ ، أي ناضج ، وقولهم : قاعد ورا طبق، أي انه مارس أعمالا ، وخالط الناس .

٣ كتاب الهفوات : ١٦١ .

١٦٧

إسماعيل بن بلبل والأعرابيّ العائف

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال :

أخبرني من أثق به ، إنّ إسماعيل بن بلبل[١] ، لمّا قصده صاعد[٢] ، لَزِم داره ، وكان له حَمْلٌ قد قرب وضعه ، فقال : اطلبوا لي منجّماً يأخذ مولده ، فأتِـي به .

فقال له بعض [١٧٧ب] من حضر ، ما تصنع أيّدك الله بالنجوم ؟ ها هنا أعرابيّ عائف[٣] ، ليس في الدنيا أحذق منه .

فقال : يحضر ، فأسماه الرجل ، فطُلِب ، وجاء .

فلما دخل عليه ، قال له إسماعيل : تدري لأي شيء طلبناك ؟

قال : نعم .

قال : ما هو ؟

فأدار عينه في الدار ، فقال : لتسألني عن حَمْلٍ ، وقد كان إسماعيل أوصى أن لا يعرّف ، فتعجب من ذلك .

فقال له : فأي شيء هو ؟ أذكرٌ أم أنثى ؟

فأدار عينه [٢٠٤ ط] في الدار ، فقال : ذكرٌ .

فقال : للمنجّم : ما تقول ؟

قال : هذا جهل .

فبينا نحن كذلك ، إذ طار زنبور على رأس إسماعيل ، وغلامٌ يذب عنه ، فضَرب الزنبور ، فقتله .

---

١ الوزير إسماعيل بن بلبل : سبقت ترجمته في حاشية القصة رقم ١/٧٦ من النشوار .

٢ صاعد بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار .

٣ في ب عارف

فقام الأعرابي ، وقال : قتلت والله المزنّر ، ووليت مكانه ، ولي حقّ البشارة ، وجعل يرقص، وإسماعيل يسكّنه ، فنحن كذلك إذ وقعت الصيحة بخبر الولادة .

فقال : انظروا ما المولود ؟ فقالوا : ذكر .

فسرّ إسماعيل بذلك سروراً شديداً ، لإصابة العائف في زجره ، وترجّيه الوزارة ، وهلاك صاعد ، ووهب للأعرابيّ شيئاً ، وصرفه .

فما مضى على هذا إلاّ دون شهر ، حتّى استدعى الموفّق إسماعيل ، وقلّده الوزارة ، وسلّم إليه صاعداً ، [فكان يعذّبه ، حتّى قتله .

فلمّا سلّم إليه صاعد] [1] ، ذكر حديث الأعرابي ، فطلبه ، فجاءوا به .

فقال : خبّرني كيف قلت ما قلته ذلك اليوم ؟ وليس لك علم بالغيب ، ولا هذا ممّا يخرج في نجوم .

فقال : نحن إنّما نتفاءل ونزجر الطير ، ونعيف ما نراه ، فسألتني أوّلاً ، لأيّ شيء طلبت ؟

فتلمّحت الدار ، فوقعت عيني على برّادة [2] عليها كيزان معلقة في أعلاها ، فقلت : حَمْلٌ .

فقلت لي : أصبت ، ثم قلت لي : أذكر أم أنثى ؟

فتلمّحت ، فرأيت فوق البرّادة عصفوراً ذكراً ، فقلت : ذكرٌ .

ثم طار الزنبور عليك ، وهو مخصّر ، والنصارى مخصّرون بالزنانير ، والزنبور عدوّ ، أراد أن يلسعك ، وصاعد نصراني الأصل ، وهو عدوّك ، فزجرت أنّ الزنبور عدوّك [صاعد] وأنّ الغلام لمّا قتله ، إنّك ستقتله .

قال : فوهب له شيئاً صالحاً ، ثم صرفه .

---

[1] الزيادة من ط .	[2] البرادة : كوز يبرد فيه الماء .

١٦٨

أعراب ثلاثة يتنبأون بموت

قاضي القضاة ودفنه في داره

وحدّثنا أبو الحسين ، قال :

اجتزت أنا وأبو طاهر بن نصر القاضي ، بشارع القاضي ، نقصد دار قاضي القضاة أبي الحسين [١] ، في علّته التي مات فيها ، لنعوده ، فإذا بثلاثة من الأعراب ركبان .

فشال [٢] أحدهم رأسه ، وقد سمع غراباً ينعب على حائط دار أبي الحسين قاضي القضاة .

فقال للنفسين اللذين خلفه : إنّ هذا الغراب ليخبرني بموت صاحب الدار .

فقال له الآخر : أجل إنّه ليموت بعد ثلاثة أيّام .

فقال الآخر : نعم ويدفن في داره .

فقلتُ : أسمعت ما قالوا ؟ فقال : نعم .

فقلت : هؤلاء أجهل قوم ، وافترقنا .

فلما كان في ليلة اليوم [١٧٨ب] الرابع سَحَراً، ارتفعت الصيحة بموت قاضي القضاة أبي الحسين ، فذكرت قول الأعرابي ، وعجبت .

وحضرنا جنازته ، ودفن في داره .

فقلت لأبي طاهر : رأيت أعجب من وقوع مقالة الأعراب بعينها ؟ أيش هذا ؟

---

١ القاضي أبو الحسين بن أبي عمر : ترجمته في حاشية القصة ١/١٢٧ من النشوار .

٢ شال : رفع ، لم تزل مستعملة ببغداد .

فقال : لا والله ، ما أدري ، ولكن تعال حتّى نسأل عنهم [٢٠٥ ط] ، ونقصدهم ، ونستخبر منهم من أين لهم ذلك .

قال : فكنّا أيّاماً ، نسأل عنهم ، وعن حلّتهم من البلد ، فلا نخبر . إلى أن أخبرونا بنزول حلة[١] من بني أسد بباب حرب[٢] ، فقصدناهم .

فقلنا : هل فيكم من يبصر الزجر ؟

فقالوا : أجل ، ثلاثة إخوة في آخر الحيّ ، يعرفون ببني العائف ، ودلّونا على أخبيتهم .

فجئنا ، فصادفنا أصحابنا بأعيانهم ، ولم يعرفونا ، فأخبرناهم بما سمعناه منهم ، وسألناهم عنه .

فقالوا : إنّا ، وغيرنا من العرب ، نعرف نعيباً للغراب بعينه ، لا ينعبه في موضع إلاّ مات ساكنه ، مجرباً على قديم السنين في البوادي ، لا يخطئونه ، ورأينا ذلك الغراب ، نعب ذلك النعيب الذي نعرفه .

[فقلنا للآخر : كيف قلت إنّه يموت بعد ثلاثة أيّام ؟

قال : كان ينعب ثلاثاً متتابعات ثم يسكت ، ثم ينعب ثلاثاً على هذا ، فحكمت بذلك][٣] .

فقلت للآخر : وكيف قلت إنّه يدفن في داره ؟

قال : رأيت الغراب يحفر الحائط بمنقاره ورجليه ، ويحثو على نفسه التّراب ، فقلت[٤] : إنّه يدفن في داره .

---

١ الحلة : بكسر الحاء جمعها حلل وحلال : القوم النزول فيهم كثرة إذا كانت بيوتهم من القصب أو الأخبية ، ومنها الحلة : المدينة المعروفة في العراق وتعرف إلى الآن بحلة دبيس .

٢ باب حرب : تنسب إلى حرب بن عبد الملك أحد قواد أبي جعفر المنصور ، وفي مقبرة باب حرب يقع قبر أحمد بن حنبل وبشر الحافي .

٣ الزيادة من ب .   ٤ في ط : فعلمت .

١٦٩
عيافة أعرابي

حدّثنا أبو الحسين بن عيّاش ، قال :

أخبرني صديق لي أنّه خرج إلى الحائر[١] [على ساكنيه السلام][٢] ليزور .

فاجتاز في طريقه بموضعٍ قريب من الأعراب ، وهم نزول ، فحطّ رحله ونزل ، وجلس يأكل هو وغلمانه ، فوقف به بعض أولئك الأعراب يستطعم .

قال : فقلت له : اجلس حتّى نأكل ، وندفع إليك نصيباً .

فجلس قريباً منا ، فإذا بغراب قد طار قريباً منه ، وصاح صياحاً متتابعاً .

فقام الأعرابي يرجمه ، ويقول : كَذبت يا عدوّ الله ، كذبت يا عدوّ الله .

قال : فقلنا له : ما الخبر يا أعرابي ؟

قال : يقول الغراب إنّكم ستقتلوني ، وأنتم تريدون أن تطعموني ، فكذّبته في خبره .

قال : فاستحمقناه ، وتمّمنا أكلنا .

وكان في السفرة سكّين بزماورد[٣] عظيمة حادة ، أنسيناها في السفرة .

فجمعنا السفرة بما فيها ، وقلنا للأعرابيّ : خذها ، وفرّغ ما فيها ، واردد السفرة .

---

١ الحائر : قبر الحسين عليه السلام بكربلاء .

٢ الزيادة من ط .

٣ بزماورد : الطعام الميسر أو المهيأ وهو ما يسمى اليوم بالساندويج ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ١١ م ٣ .

فجمعها بما فيها، وشالها ، فضرب بها ظهره بحميّة ، من فرحه بتمكيننا إيّاه من جميع ما فيها ،فخرجت السكين بحدّتها ، فدخلت بين كتفيه ، فخرّ صريعاً يصرخ : صدق الغراب لعنه الله ، متّ ورب الكعبة .

فخشينا أن [١٧٩ ب] يصير لنا مع الأعراب قصّة ، فتركنا السفرة ، وقمنا مبادرين، فاختلطنا بالقافلة حتى لا نعرف، وتركناه يتشحّط في دمائه[١] . ولا نعلم هل عاش أو مات .

---

١ تشحط بدمه : تضرج به واضطرب فيه .

١٧٠
من أحاديث الزراقين

حدّثني أبو الحسين[١] ، قال : حدّثنا سليمان بن الحسن[٢] ، قال : قال لي أبو معشر المنجّم[٣] ، وقد جرى حديث الزرّاقين :

رأيت أعجب شيء ، وهو أنّ رجلاً في جواري بسرّ من رأى اعتقل ، فأتاني أبوه ، وكان لي صديقاً [٢٠٦ ط] ، فقال : تركب معي إلى صاحب الشرطة ، نسأله إطلاقه ، فركبت .

فاجتزنا بزرّاق على الطريق . فقلت : هل لك في أن نتلهّى بهذا الزرّاق ؟

فقال : افعل .

فقلت له : انظر في نجمنا ، وأيّ شيء هو ، وفي أيّ شيء هوذا نمضي ؟

ففكّر الزرّاق ساعة ، ثم قال : تمضون في أمر محبوس .

قال : فانتقع[٤] لون أبي معشر ، ودُهش ، وتلجلج لسانه .

فقلت أنا له : فهل يطلق أم لا ؟

قال : تمضون وقد أُطْلِق .

فقال لي أبو معشر : انطلق بنا ، فهذا اتّفاق طريف ، وهوس .

---

١ أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحسن بن عياش الجوهري البغدادي .

٢ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٣ من النشوار .

٣ أبو معشر المنجم : جعفر بن محمد بن عمر البلخي ، العالم الفلكي المشهور ، كان عالماً بالتاريخ أقام ببغداد ، ومات بواسط سنة ٢٧٢ (الأعلام ٢/ ١٢٢) راجع القصة ٤/ ٣٥ من النشوار . وبشأن صحبته للوزير سليمان بن الحسن راجع الفرج بعد الشدة ١/٨٩ .

٤ في ط : امتقع ، وانتقع بنفس المعنى : تغير لونه .

فسرنا وجئنا إلى صاحب الشرطة ، فسألناه في أمر الرجل .

فقال : الساعة – والله – وردت عليّ رقعة فلان ، يسألني في أمره ، فأطلقته .

فنهض أبو معشر مُبادِراً ، وقال : إنْ لم أعرف من أين أصاب الزرّاق في حكمه ، ذهب عقلي ، وخرّقت كتبي ، واعتقدت بطلان النجوم ، ارجع بنا إليه .

قال : فرجعنا ، فوجدناه في مكانه من الطريق .

فقال له أبو معشر : قم بنا ، فأخذناه ، وحمله إلى داره .

وقال له : أتعرفني ؟

قال : لا .

قال : أنا أبو معشر المنجّم .

فقبّل الزرّاق يده ، وقال : أستاذنا ، وقد سمعت باسمك .

قال : دعني من ذلك ، لك خمسة دنانير عيناً ، وأصدقني من أين حكمت لنا بما حكمت به .

قال : أنا والله أصدقك ، ولا أجسر آخذ منك شيئاً ، وأنت أستاذ هذه الصناعة .

اعلم أنّي لا أحسن من النجوم شيئاً ، وإنّما أنا أزرق وأهذي على النساء ، وبين يديّ هذا التخت والإصطرلاب والتقويم للخلق حيلة .

ولكنّي قد صحبت أهل البوادي في وقت من الأوقات ، وتعلّمت منهم الزجر والفال والعيافة .

وهم يعتقدون إذا سئلوا عن شيء أن ينظروا إلى أوّل ما تقع عليه عيونهم ، فيستخرجون منه معنى يجعلونه طريقاً لما يسألون عنه ، وما يحكمون به .

فلمّا سألتني في أيّ شيء نمضي ؟ تَلَجْلَجْتُ ، فوقعت عيني على

سقّاء معه ماء محبوس في قربته ، فقلت : محبوس .

فقلت : هل يُطْلَقُ أمْ لا ؟ فنظرت أطلب شيئاً أزجره ، فرأيت السقّاءَ قد صبّ الماء ، وهو يخرج من قربته ، فقلت : إنّكم [١٨٠ ب] تمضون وقد أُطْلِق ، فهل أصبت ؟

فقال له أبو معشر : نعم ، وفرّجت عنّي أيضاً ، أعطوه الدنانير ، واصرفوه .

فأبى أن يأخذ ، فما تركه أبو معشر حتى أخذها وخرج .

فطرح نفسه كالمستريح من أمر عظيم ، ووضع يده على فؤاده ، وقال : فرّج عني [١] .

---

١ بشأن أخبار أبي معشر ، راجع القصص ٢/١٧١ و٤/٣٥ و ٨/١٩ من النشوار .

١٧١

بين الأمير الموفق وأبي معشر المنجم

حدّثني أبو أحمد عبد الله بن عمر بن الحارث الحارثيّ[١]، قال : حدّثني أبي ، قال :

كنت أحد من يعمل في خزانة السلاح [للمعتمد][٢] وكنت قائماً [٢٠٧ ط] بحضرة الموفّق ، في عسكره لقتال صاحب الزنج ، وبحضرته أبو معشر ، ومنجّم آخر ، أسماه أبي وأنسيته أنا .

فقال لهما : خذا الطالع في شيء أضمرته منذ البارحة ، أسألكما عنه ، وأمتحنكما به ، وأخرجا ضميري .

فأخذا الطالع ، وعملا [الزايرجه][٣] ، وقالا جميعاً : تسألنا عن حَمْلٍ ليس لإنسيّ .

فقال : هو كذلك ، فما هو ؟

قال : ففكّرا طويلاً ، ثم قالا : عن حَمْلٍ لبقرة .

قال : هو كذلك ، فما تلد ؟

قالا جميعاً : ثور .

قال : فما شِيَتُهُ ؟

---

١ أبو أحمد عبد الله بن عمر بن الحارث السراج الواسطي المعروف بالحارثي : نقل عنه صاحب النشوار كثيراً من القصص ، ويتضح من هذه القصة أن أباه كان يعمل في خزانة السلاح للمعتمد ، ومن القصة ٣/ ٢٢ أن أباه استمر يخدم في دار الموفق والمعتضد من بعده .

٢ الزيادة من ط .

٣ في ب الزائجة ، والزايرجه : فارسية أصلها زيركاه ، شبكة مربعة تشتمل على مائة بيت يرسم في كل واحد منها حرف مفرد ، ولهم فيها أعمال يزعمون أنهم يستدلون بها على المغيبات . الألفاظ الفارسية المعربة ٨٢ .

فقال أبو معشر : أسود في جبهته بياض .

وقال الآخر : أسود وفي ذنبه بياض .

قال الموفّق : ترون ما أجسر هؤلاء ، أحضروا البقرة ، فأحضرت وهي مقرب .

فقال : اذبحوها ، فذبحت ، وشق بطنها ، وأخرج منها ثورٌ صغيرٌ أسودٌ ، أبيض طرف الذنب ، وقد التفّ ذنبه ، فصار على جبهته .

فتعجّب الموفّق ، ومن حضره ، من ذلك عجباً شديداً ، وأسنى جائزتيهما.

قال : وحدثني أبي ، قال :

كنت أيضاً بحضرة الموفّق ، فأحضر أبا معشر هذا ، وهذا المنجّم، فقال لهما : معي خبيء ، فما هو ؟

فقال أحدهما ، بعد أن أخذ الطالع ، وعمل الزايرجه ، وفكّر طويلاً ، وقال : هو شيء من الفاكهة .

وقال أبو معشر : هو شيء من الحيوان .

فقال الموفق للآخر : أحسنتَ، وقال لأبي معشر : أخطأت ، ورمى من يده تفاحة .

وأبو معشر قائم ، فتحيّر ، وعاود النظر في الزايرجه ، ساعة ، ثم عدا يسعى نحو التفاحة ، حتى أخذها، فكسرها، ثم قال : الله أكبر ، وقدّمها إلى الموفّق فإذا هي تنغش بالدود [1] .

فهال الموفق ما رآه من إصابته ، وأمر له بجائزة عظيمة .

---

[1] نغش : تحرك واضطرب ، وقوله : تنغش بالدود ، يعني انها محشوة بالدود الذي يتحرك فيها ويضطرب ، وهذا التعبير لم يزل مستعملا ببغداد .

١٧٢

مما شاهده المؤلف

من صحّة أحكام النجوم

وهذا بعيد دقيق ، ولكن فيما قد شاهَدتُهُ من بعض صحّة أحكام النجوم ، كفاية .

هذا أبي [١] حوّل مولد نفسه في السنة التي مات فيها [٢] ، فقال لنا : هي سنة قطع على مذهب المنجّمين ، وكتب بذلك إلى بغداد ، إلى أبي الحسن بن البهلول القاضي [٣] ينعي نفسه إليه ، ويوصيه .

فلما اعتلّ أدنى علّة ، وقبل أن تستحكم [٤] علّته ، أخرج التحويل ، ونظر فيه طويلاً ، وأنا حاضر ، فبكى ، وأطبقه ، واستدعى كاتبه ، وأملى عليه وصيّته التي مات عنها ، وأشهد فيها من يومه .

فجاءه أبو القاسم غلام زحل المنجّم [٥] ، فأخذ يطيّب نفسه ، ويورد عليه [١٨١ ب] شكوكاً .

فقال : يا أبا القاسم ، لستَ ممن يخفى هذا عليه ، فأنسبك إلى غلط ،

---

١ أبو القاسم علي بن محمد التنوخي القاضي .

٢ هي السنة ٣٤٢ .

٣ أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي التنوخي الأنباري : ترجمته في حاشية القصة ١/ ١٦ من النشوار .

٤ في ب و ط : تتحكم .

٥ أبو القاسم غلام زحل المنجم : عبيد الله بن الحسن ، كان من مشاهير المنجمين ، وله يد طولى فيما يعانيه بهذا الشأن ، توفي في السنة ٣٧٦ (تاريخ الحكماء للقفطي ٢٢٤) راجع بشأن علو كعبه في هذا الفن القصة ٧ / ١٢٢ من النشوار

ولا أنا ممّن يجوز عليه هذا فتستغفلني ، وجلس فواقفه على الموضع الذي خافه ، وأنا حاضر .

ثم قال له أبي : دعني من هذا ، بيننا شكّ في أنّه إذا كان يوم الثلاثاء العصر ، لسبع بقين من الشهر ، فإنّه ساعة قطع عندهم[1] ؟ [٢٠٨ ط] .

فأمسك أبو القاسم ، ولم يجبه ، واستحيى منه أن يقول نعم ، وبكى[2] أبو القاسم غلام زحل لأنّه كان خادماً لأبي .

وبكى أبي طويلاً ، ثم قال : يا غلام الطست ، فجاءه به ، فغسل التحويل وقطّعه ، وودّع أبا القاسم توديع مفارق .

فلما كان في ذلك اليوم ، العصر بعينه ، مات ، كما قال .

---

١ القطع : فصل الجسم بنفوذ جسم آخر فيه (التعريفات) ، وعند المنجمين : قطع خط الحياة بحادث يعرض للحي .

٢ في ب : وقطع .

١٧٣
الأخذ بالحزم أولى

أخبرني غير واحد من أصحابنا ، أنّ أبا محمد عبد الله بن العباس الرامهرمزي المتكلّم ، أخبره ، قال :

أردت الانصراف من عند أبي عليّ الجبائي [١] إلى بلدي ، فجئته مودّعاً ، فقال لي :

يا أبا محمد، لا تخرج اليوم ، فإنّ المنجّمين يقولون : إنّه من سافر في مثله غرق [٢] ، فأقم إلى يوم كذا وكذا ، فإنّه محمود عندهم .

فقلت : أيّها الشيخ مع ما تعتقده في قولهم ، كيف تجيء بهذا ؟

فقال : يا أبا محمد ، لو أخبرنا مخبر ونحن في طريق ، أنّ فيه سَبُعاً ، أليس كان يجب في الحكمة علينا أن لا نسلك ذلك الطريق ، إذا قدرنا على سلوك غيره ، وإن كان ممّن يجوز عليه الكذب ؟

قلت : نعم .

قال : فهذا مثله ، وقد يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادات ، بأن تكون الكواكب إذا نزلت هذه المواضع حدث كذا ، والأخذ بالحزم أولى .

قال : فأخّرت خروجي إلى اليوم الذي قاله .

---

١ أبو علي الجبائي : ترجمته في حاشية القصة ١/ ٨٨ من النشوار .

٢ في فرج المهموم : من سافر هذا اليوم في سفينة غرق .

١٧٤

أبو علي أحذق الناس بالنجوم

حدّثني أبو الحسن بن الأزرق ، قال : حدّثني أبو هاشم الجبائي [١] ، قال : كان أبو علي [٢] من أحذق الناس بالنجوم ، فوُلد في جواره مولود . فقال أبوه [٣] : إنّي أحب أن تأخذ طالعه .

قال : وكان ليلاً ، فأخذ الاصطرلاب [٤] وعمل مولده ، وحكم له بأشياء ، صحّت كلها بعد ذلك .

---

١ في ب : الخباز ، والتصحيح من فرج المهموم ١٥٦ .

٢ يعني أبا علي الجبائي : القصة ٢ / ١٣٩ من النشوار .

٣ في فرج المهموم : فقالت أمه .

٤ الاسطرلاب : يونانية ، آلة كان الفلكيون القدماء يعرفون بها حركة الكواكب ، ويقيسون ارتفاعها ، ويعينون مواضعها (تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ٣) .

١٧٥

أبو الحسن الأهوازي وسابور ذو الأكتاف

جرى الحديث يوماً بحضرة أبي، في البخل والبخلاء ، واختصاص الملوك بذلك ، وكان أبو الحسن مطهّر بن إسحاق بن يوسف الأهوازيّ الشاهد حاضراً ، فقال :

دخلت يوماً إلى أبي عبد الله البريديّ ، وقد نصبت مائدته ، فاستدعاني إليها ، وكنت جائعاً ، فأقبلت آكل منبسطاً .

فقُدّم جَدْيٌ مشويٌّ حار ، فضربت يدي إلى كتفه ، فأكلتها .

ثم قدّم بعده ألوان أُخر ، وجَدْيٌ بارد ، فضربت يدي إلى كتفه فأكلتها.

ثم قدّم بعده ألوان ، وقدم جديٌ مبزّر [١] ، فأخذت الكتف فأكلتها .

ثم جدي بماء وملح ، فجئت لآخذ الكتف، فسبقتني يد أبي عبد الله إليه، فكففت يدي .

فقال لي : يا أبا الحسن ، أنت اليوم سابور ذو الأكتاف .

فاستحييت ، وخجلت ، وعلمت أنّه ما قالها إلاّ من غيظ ، فقصّرت . وتوقّيت بعد ذلك مواكلته .

فقال أبي : ما كان [١٨٢ب] أبو عبد الله بخيلاً على الطعام ، وإنّما كان نهماً [٢]، شديد الجوع ، وكان في أوّل أكله ، وإلى وسطه، يلحقه هذا [٢٠٩ط] النهم ، وربما أطلق ما يشبه هذا ، فيظنّ من لا يعرف طبعه أنّه بخيل ، ويحتاج من يواكله إلى التقصير ، حتى يمضي نصف أكله .

فإذا مضى نصف أكله ، انبسط ، وانطلق وجهه ، وساءه وغمّه أن يقصّر من يحضر في مواكلته ، وقال : هوذا ينسبوني إلى البخل ثم لا يأكلون .

---

١ المبزر : الذي وضعت فيه الأبازير وهي التوابل .   ٢ النهم : الشره .

١٧٦

أبو عبد الله الكرخي يحبّ مؤاكلة الأكول

ولكنّ أبا عبد الله جعفر بن القاسم الكرخيّ[١] هو الجواد على الطعام والمال .

ولقد دخلت[٢] إليه يوماً بالأهواز ، وهو عاملها ، أقلّب عليه ثياباً[٣] ، ولم تكن بيننا معرفة ، فأخذ منها ما أراد ، وواقفني على الأثمان ، وطال جلوسي عنده ، فجاء غلمانه بأطباق فاكهة ، فقمت .

فقال : ما هذا الخلق النبطيّ يا أبا الحسن[٤] ؟ اجلس ، فجلست ، وأخذنا في الأكل ، وكنت جائعاً ، فأقبلت آكل كمتّراة ، كمتّراة ، في لقمة ، وخوخة خوخة ، في لقمة ، وتينة تينة ، في لقمة ، وهو ينظر إلى ذلك ، ويستحسنه ، ويضحك منه ، ويعجبه ويستطرفه، وكان ضعيف الأكل جدّاً.

وكلّما جئت لأقطع ، حلّف عليّ ، ولقّمني بيده .

ثم شيلت الفاكهة ، وجاءوا بالطعام ، وكانت هذه صورتي عنده ، وانصرفتُ .

فلمّا كان من غد نصف النهار ، وكنت جالساً في دكّاني بالبزّازين ، فإذا بفرّاش ومعه غلام تحته بغل .

فقال : العامل يطلبك ، فلم أدر ما هو ، فركبت البغل وصرت إليه ،

---

١ أبو عبد الله جعفر بن القاسم بن علي بن محمد الكرخي : ترجمته في حاشية القصة ٢ / ٧٠ من النشوار .

٢ المتحدث أبو الحسن مطهر بن إسحاق بن يوسف الأهوازي الشاهد .

٣ اقلب هنا بمعنى أعرض .

٤ النبط : قوم من غير العرب كانوا ينزلون بين العراقين ، وتطلق الكلمة على أخلاط الناس وعوامهم .

وإذا المائدة منصوبة ، وهو ينتظرني .

فقلت : ما يأمر الأستاذ أيّده الله ؟

فقال : إنّي استطبت مؤاكلتك بالأمس ، وأكلت فضلاً ممّا جرت عادتي به ، فلمّا قدّمت اليوم المائدة ، لم أتهنّأ بالأكل ، فعزلتها واستدعيتك ، وأُريد أن تجيني [1] في كلّ يوم .

قال : فكنت أتأخّر في الأيّام ، فيعاتبني ، وينفذ إليّ بغلاً أركبه .

وولّد ذلك لي محلاً عظيماً في البلد ، وجاهاً ، وكسبت به عليه في البزّ وغيره ، ممّا رد إليّ شراءه من جميع ما كان يحتاج إليه في داره ، مالاً جليلاً .

---

[1] تجيني : لغة بغدادية في : تجيئني ، لم تزل مستعملة ، وفي ب : تجي .

١٧٧

بين أبي جعفر بن شيرزاد
وأبي عبد الله الموسويّ

حدّثنا أبو العباس هبة الله بن المنجّم، قال: سمعت أبا عبد الله الموسوي[١] العلويّ، يقول:

قصدني أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد[٢] في أيّام تدبيره الأمر، قصداً قبيحاً، وعمل لي كتّابه مؤامرة في خراجاتي، بمائة ألف درهم،

١ أبو عبد الله بن موسى الموسوي العلوي: اعتقله عضد الدولة في السنة ٣٦٩ ونفاه إلى فارس مع أخيه أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبيين (تجارب الأمم ٢/٣٩٩) وبقي معتقلا ثلاث سنوات، حتى أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة في السنة ٣٧٢ (تجارب الأمم ٣/٨١) راجع القصة ١/١٧ و١/١٨٩ و ٤/١١٤ من النشوار.

٢ أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد: عاش في زمان تخليط، فخلط، كان كاتباً لهارون ابن غريب الخال (خال المقتدر)، ثم كتب لابن رائق، ثم وزر لبجكم، ثم قبض عليه، ولما قتل بجكم، وزر لتوزون، وحكم بغداد باسمه، وفي أيامه بلغ تفلت الأمور في بغداد، إلى حد عجيب لا يكاد يصدق، فإن لصاً اسمه ابن حمدي، عظم شأنه وكثر أتباعه، فأمنه ابن شيرزاد، وخلع عليه، وشرط معه أن يوصل إليه كل شهر، خمسة عشر ألف دينار، مما يسرقه هو وأصحابه، وكان ابن شيرزاد يستوفيها من ابن حمدي بالروزات، أي مقابل وصولات رسمية، وهذا ما لم يسمع بمثله قط، ولما مات توزون، نصب الجند ابن شيرزاد في مكانه، ولما سار معز الدولة يريد العراق اختفى، ثم ظهر، فولاه معز الدولة الخراج والجباية، ثم فر منه والتحق بناصر الدولة، واحتل بغداد باسمه ودبر الأمور نيابة عنه، فكر معز الدولة على بغداد، ونهبها جنوده، قيل إنهم نهبوا عشرة آلاف ألف دينار، فكر ابن شيرزاد راجعاً إلى ناصر الدولة، ثم اختلف معه، فسلمه إلى معز الدولة الذي صادره على خمسمائة ألف درهم (تجارب الأمم ١/١٦٣ – ٤١٦ و ٢/٣ – ١١١ والكامل لابن الأثير ٨/٣٥٤ – ٤٦٧ والفرج بعد الشدة ٢/١٣١).

أكثرها واجب عليّ ، وباقيها كالواجب .

وأحضرني للمناظرة عليها ، فاعتقلني في داره .

فضقت ذرعاً بما نزل بي ، وعلمت أنّ المال سيؤخذ منّي إذا نوظرت ، وأنّه يؤثّر [١٨٣ ب] في حالي ، ويهتك جاهي ، فلم أدر ما أعمل .

فشاورت بعض من يختصّ به ، فقال : طمعه فيك – والله – قويّ ، وما ينفعك معه شيء غير المال .

فقلت : فكّر في حيلة أو مخادعة .

ففكّر ، ثم قال : لا أعرف لك دواء إلاّ شيئاً واحداً ، إن سمحت به نفسك [٢١٠ ط] ، وتركت العلويّة[١] عنك ، وفعلته ، نجوت .

فقلت : ما هو ؟

قال : هو رجل سمح على الطعام ، محبّ لأكله على مائدته ، موجب لحرمته ، وأرى لك ، إذا وضع طعامه ، أن تخرج إليه ، فإنّك معه في الدار ، ولا يمنعك الموكّلون من ذلك ، فتجيء بغير إذن ، فتجلس على المائدة ، وتأكل، وتنبسط ، وتخاطبه[٢] في أمرك عقيب الأكل ، وتسأله ، وترفق به ، وتخضع له ، فإنّه يسامحك بأكثرها ، ويقرّب ما بينك وبينه .

فشقّ ذلك عليّ ، ثم نظرت ، فإذا وزن المال أشقّ منه .

وكان أبو جعفر ، لا يأكل إلاّ بعد المغرب ، في كلّ يوم مرّة[٣] ، فلم آكل ذلك اليوم شيئاً ، وراعيت مائدته ، فلما وُضِعَت المائدة ، قمت .

فقال الموكّل : إلى أين ؟

---

١ يعني إذا تركت الكبرياء والاعتداد بنسبك العلوي .

٢ في ط : وتشاوره .

٣ في ط : عمره كله .

قلت : إلى مائدة الوزير ، فما قدر أن يمنعني ، وجاء معي .

فلما رآني أبو جعفر ، أكبرَ ذلك ، وتهلّل وجهه ، وقال : إلى عندي يا سيّدي ، إلى عندي ، وأجلسني إلى جنبه ، وأقبلت آكل ، وأنبسط في الأكل والحديث ، إلى أن رفعت المائدة ، وقام أبو جعفر ، وقمنا ، وشيلت المائدة ، واستدعاني إلى موضعه ، فغسلت يدي بحضرته .

فلما فرغت ، أردت أن أبتدأه بالخطاب ، فقال لي : قد آذيتك يا سيّدي أبا عبد الله بتأخيرك عن منزلك ، فامض إلى بيتك ، وما أخاطبك بشيء مما في نفسي ، ولا فيما أردت مخاطبتك فيه ، [ولا مطالبة عليك من جهتي] [1] بعدما تفضلتَ به .

فشكرته ، وقلت : إن رأى سيّدنا أيّده الله ، أن يتمّم معروفه عليّ بتسليم المؤامرة [2] إليّ ، فعَل .

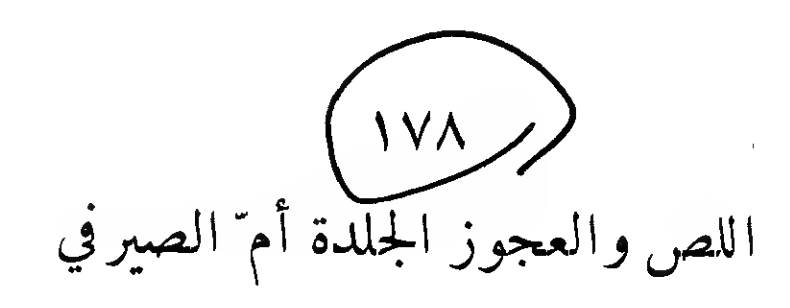
فقال : هاتموها ، فما بَرِحْتُ ، إلاّ وهي معي في خفّي ، وانصرفت إلى منزلي ، وسقَط المال عنّي .

ولَزِمتُهُ للسلام ، وصرت أتعمّد مؤاكلته ، والتخصّص به ، فسلمت عليه طول أيّامه ، وسلم جاهي ومالي عليه ، إلى أن مضى .

---

١ الزيادة من ط .

٢ المؤامرة : في اللغة ، المشاورة ، وفي الاصطلاح قائمة بحساب ما تحقق على المكلف من ضرائب ورسوم وبقايا يقتضي عليه أن يؤديها .



١٧٨

اللص والعجوز الجلدة أمّ الصيرفي

حدّثني [أبو جعفر][١] محمد بن الفضل بن حميد الصيمريّ، مؤدبي، قال :

كان في بلدنا عجوزٌ صالحةٌ ، كثيرة الصيام والقيام ، وكان لها ابن صيرفيّ منهمك على الشرب واللعب .

وكان يتشاغل بدكّانه أكثر نهاره ، ثم يعود عشيّاً إلى منزله ، فيخبئ كيسه عند والدته ، ويمضي ، فيبيت في مواضع يشرب فيها .

فعيّن بعض اللصوص على كيسه ليأخذه ، وتَبِعَهُ في بعض العشايا ، ودخل وراءه إلى الدار ، وهو لا يعلم ، فاختفى فيها ، وسلّم هو كيسه إلى أمّه ، وخرج ، وبقيت وحدها في الدار [١٨٤ ب] .

وكان لها في دارها ، بيت مؤزّر بالساج إلى أكثر حيطانه ، عليه باب حديد ، تجعل قماشها وكلّ ما تملكه فيه ، والكيس ، فخبأت الكيس فيه تلك الليلة خَلْفَ الباب ، وجَلَسَتْ فأفطرت بين يديه .

فقال اللص : هذه الساعة تفطر ، وتكسل ، وتنام ، وأنزل فأفتح الباب ، وآخذ الكيس والقماش .

قال : فلما أفطرت ، قامت إلى الصلاة ، فظن[٢] اللص أنّها تصلّي العَتَمة وتنام .

فانتظرها [٢١١ط] ، فمدّت الصلاة ، وتطاول عليه الأمر ، ومضى نصف الليل .

وتحيّر اللص ممّا نزل به ، وخاف أن يدركه الصبح ، ولا يظفر بشيء .

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ب : ففطن .

فطاف في الدار ، فوجد إزاراً جديداً ، وطلب جمراً فظفر به ، ووقع في يده شيء كان لهم فيه دخنة طيبة ، فلبس الإزار ، وأشعل ذلك البخور ، وأقبل ينزل على الدرجة ، ويصيح بصوت غليظ وتعمّد أن يجعله جهورياً ، لتفزع العجوز .

وكانت معتزلية جلدة ، ففطنت لحركته ، وأنّه لص ، فلم تُرِهِ أنّها فطنت .

وقالت : من هذا ؟ بارتعاد وفزع شديد .

فقال لها : أنا رسول الله رب العالمين ، أرسلني إلى ابنك هذا الفاسق ، لأعظه ، وأعامله بما يمنعه من ارتكاب المعاصي .

فأظهرت أنّها قد ضعفت ، وغشي عليها من الجزع ، وأقبلت تقول : يا جبريل ، سألتك بالله ، إلاّ رفقت به ، فإنّه واحدي .

فقال اللصّ : ما أُرسلت لقتله .

فقالت : فما تريد ؟ وبما أرسلت ؟

قال : لآخذ كيسه ، وأؤلم قلبه بذلك ، فإذا تاب ردَدتُهُ إليه .

فقالت : شأنك ، يا جبريل ، وما أمرت .

فقال : تنحّي من باب البيت .

فتنحّت ، وفتح هو الباب ، ودخل ليأخذ الكيس والقماش ، واشتغل في تكويره .

فمشت العجوز قليلاً قليلاً ، وجذبت الباب بحميّةٍ ، فردّته ، وجعلت الحلقة في الرزّة[1] ، وجاءت بقفل ، فقفلته .

فنظر اللصّ إلى الموت بعينه ، ورام حيلةً في داخل البيت ، من نقب أو منفذ ، فلم يجدها .

---

[1] الرزة وجمعها رزات : حديدة يدخل فيها القفل ونحوه .

فقال لها : افتحي الباب لأخرج ، فقد اتّعظ ابنك .

فقالت : يا جبريل، أخاف أن أفتح الباب ، فتذهب عيني من ملاحظتي لنورك .

فقال : إنّي أطفئ نوري حتى لا تذهب عينك .

فقالت : يا جبريل ، إنّك رسول رب العالمين ، لا يعوزك أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريشة من جناحك ، وتخرج ، فلا تكلّفني أنا التغرير ببصري[1] .

فأحسّ اللص بأنّها جلدة[2] ، فأخذ يرفق بها ، ويـداريها ، ويبذل التوبة .

فقالت له : دع ذا عنك ، لا سبيل إلى الخروج إلاّ [١٨٥ ب] بالنهار ، وقامت تصلّي ، وهو يهذي ، ويسألها ، وهي لا تجيبه ، حتى طلعت الشمس ، وجاء ابنها ، فعرف خبرها ، وحدّثته بالحديث ، فمضى وأحضر صاحب الشرطة ، وفتح الباب ، وقبض على اللصّ .

---

١ الغرر : التعريض للهلاك .

٢ الجلدة : بلام ساكنة ، القوية القلب ، الصلبة .

١٧٩

من بركة المعتزلة

انّ صبيانهم لا يخافون الجنّ

سمعت جماعةً من أصحابنا ، يقولون :

من بركة المعتزلة ، انّ صبيانهم لا يخافون الجنّ .

وقد حكي لنا : أنّ لصّاً حصل في دار معتزليّ ، فأحسّ به ، فطلبه ، فنزل إلى بئر في الدار .

فأخذ الرجل حجراً عظيماً ليدليه عليه ، فخاف اللص التلف .

فقال له : الليل لنا والنهار لكم ، يوهمه أنّه من الجنّ .

فقال له المعتزليّ : [فزن معي نصف الأجرة [1] ، ورمى بالحجر فهشمه .

فقال له : متى يأمن أهلك من الجنّ ؟ فقال المعتزلي] [2] : دع ذا عنك واخرج .

فخرج وخلاّه .

---

١ يعني أنه ما دامت السكنى مشتركة بينهم فيقتضي أن يلزم الجني بنصف كراء البيت .

٢ الزيادة من ب .

١٨٠

محدّث قارب المائة

يتواجد في مجلس خاطف المغنّية

سمعت أبي ، قال :

جئت إلى أبي القاسم ابن بنت منيع [١] ، لأكتب عنه الحديث ، فقال لي من في منزله : قد توجّه في حاجة له ، وكانت سنّه إذ ذاك نحو مائة سنة .

فجلسنا ننتظره [٢١٢ ط] ، فإذا به قد جاء محمولاً ، فألقي كالمغشيّ عليه ، واستراح .

فقلنا له : يا أبا القاسم ، ما كان هذا الأمر العظيم حتى خرجت فيه بنفسك ، ألا كلّفتنا حاجتك ؟

فقال : ليس هذا مما أكلّفكم إيّاه ، مضيت إلى مجلس ستي خاطف ، فسمعتها ، وتواجدت من قولها .

قال : فعجبنا من شيخٍ محدّثٍ يحضر مجلس امرأة تغنّي بالقضيب [٢] .

وأخبرني جماعة أثق بهم ، أنّها تدعى [٣] إلى هذا الوقت ، وتغني بالقضيب وأنّ لها نحو السبعين سنة .

وأخبرني أبو الحسن بن الأزرق أيضاً في سنة إحدى وستين وثلثمائة ، أنّها توفيت في منزلها في جواره [٤] في هذه السنة .

---

١ أبو القاسم ابن بنت منيع (٢١٣ – ٣١٧) : عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز المحدث ، كان وراقاً في ابتداء عمره ، ومات ، وهو صحيح السمع والبصر والأسنان والقوة البدنية عن مائة وأربع سنين . المنتظم ٦/ ٢٢٧ .

٢ يعني أنها تغني وتضرب بالقضيب على مخدة من الجلد لضبط النغمة .

٣ في ب : باقية .

٤ في ب : حواره : والتصحيح من ط .

١٨١

الباغندي المحدّث يخطئ في موضعين

حدّثني أبو الطيّب بن هرثمة : أنّه سمع الباغندي[١] المحدّث ، يقول لجارية كانت تخدمه وقد حرد عليها : ذهب زمانك الذي كنت تخضبين فيه [خديك][٢] بالكلكين .

يريد : تطلين على وجهك الكلكون[٣] .

وأنّه سمعه قال ، في حديث حدّث به ، في قوله تعالى : ﴿وفاكهة وأبّا﴾[٤] ، فقال : فاكهة وأنّا[٥] .

---

١ أبو بكر الأزدي الواسطي المعروف بالباغندي المحدث ، محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن ، توفي سنة ٢٨٣ (المنتظم ٥ / ١٦٩) .

٢ الزيادة من ط .

٣ الكلكون : طلاء تحمر به المرأة وجهها ، والكلمة فارسية : مركبة من (كل) أي ورد ، و (كون) أي لون ، كتاب الألفاظ الفارسية ١٣٧ .

٤ ٣١ ك عبس ٨٠ والأب : المرعى والكلأ الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام (مجمع البيان للطبرسي ١٠/٤٤٠) .

٥ الهفوات النادرة : ١٦٩ .

١٨٢

حكاية تدل على ذكاء القرد

حدّثني أبو الطيّب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن ، أحد الصوفية الطيّاب من أهل سرّ من رأى[١] ، ثم مرّ ببغداد ، وأقام بالأهواز طويلاً ، وتوكّل على أبواب القضاة ، وعاش نحو السبعين سنة ، وكان ماجناً ، خَفيف الروح ، قال :

بتّ ليلة في خان ، ومعنا قرّاد ، ومعه قرد ، وكنّا كلّنا في بيت واحد ضيّق .

ففسا بعض من كان معنا ، وزاد في الفسا .

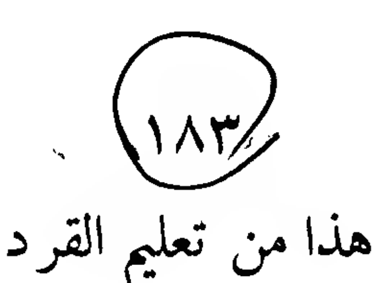
فلم يزل القرد يجيء إلى فقحة كلّ واحد منا فيشمّها ، ويقف عندها ساعة ، إلى أن وقع على فقحة الرجل الذي يفسو .

قال : فرأيته ، وقد جاء إلى قطن كان مع صاحبه ، فاستخرج منه كبّة[٢] ، وأخذها بيده ، ثم جاء إلى سراويل الذي يفسو ، فخرقه ، فلم يزل يدس القطن في جحره .

---

١ اسمها الآن : سامراء ، بلد على دجلة ، شمال بغداد بثلاثين فرسخاً ، بناها المعتصم ونزلها في السنة ٢٢٠ واستمرت في تقدم وعمران ، حتى استولى القواد الأتراك على الدولة وانتقل الخلفاء إلى بغداد ، فأخذت سامراء في الاضمحلال (معجم البلدان ٣/ ١٤) .

٢ في ب : كتلة وفي ط : كيلة ، والكبة اللفيفة .



هذا من تعليم القرد

وأخبرني [1] [١٨٦ ب] أنّ بعض الصوفية حدّثه :

إنّه اجتمع في بيت واحدٍ من خان[2] ، مع قرّاد أمرد ، فراوده عن نفسه ، فحين حصل فوقه ، التمس منه تمكينه من إتيانه في ذاته ، فامتنع .

فأومأ إليّ القرد بيده ، وأخرج عليها بصاقاً من فيه ، ولم يزل يضعه بها هكذا إلى نفسه .

قال : فأقحمت على الغلام .

فقال : هذا والله من تعليم القرد ، فضحكتُ .

فلما نزلت عنه ، قام إلى القرد ، يضربه ويقول : يا فاعل ، يا صانع علّمته عليّ .

قال : فلم أزل به حتى خلّصته من يده [3] [٢١٣ ط] .

---

١ أبو الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن .

٢ في ط : في بيت في خان .

٣ بهذه القصة ، انتهى الجزء الثاني من ط ، وختمه الناسخ بقوله :

الحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليماً .

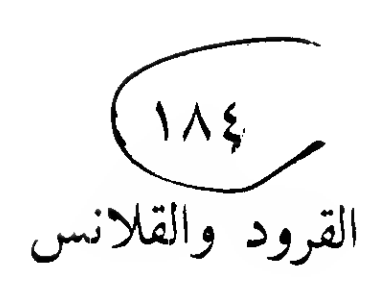
وإلى جانب هذه الجملة ورد ما يلي :

انهيته مطالعة : أبو بكر بن رستم الشرواني سنة ١٠٩٧ .

وعلى حاشية هذه الصفحة من ط ، دون الناسخ هذين البيتين :

ما دعوة أنفع يا صاحبي ... من دعوة الغائب للغائب

ناشدتك الرحمان يا قارئاً ... أن تسأل الغفران للكاتب



القرود والقلانس

وأخبرني بعض من سافر في الآفاق ، وهو أبو غانم عبد الملك بن عليّ السقطيّ البصريّ :

أنّه كان في بعض طرقات اليمن ، ومعهم رجلٌ معه قفص فيه قلانس . فأصابتهم سماء[1] ، فابتلّت القلانس ، فأخرجها الرجل ، فشرّها[2] في الشمس ، لمّا نزلوا .

وإذا بقطعة عظيمة من القرود ، قد أحاطوا بالقافلة ، فلما رأوا القلانس ، وكانت خارجة عن القافلة بالقرب منّا ، وقفوا ينظرون إليها .

فجاء قرد كبير يقدمهم ، فلبس في رأسه واحدة ، وأخذ كلّ واحد منهم واحدة فلبسها إلى أن فنيت القلانس .

فتأمّلت صاحبها يلطم ويقول : إن مضوا هؤلاء ، وهي على رؤوسهم، افتقرت ، فإنّي لا أملك غير هذه القلانس .

فقال أهل القافلة : اجلس ، واسكت ، ولا تهجهم ، فجلس .

فلما كان بعد ساعة ، وضع القرد الكبير القلنسوة من رأسه ، فوضعوا كلّهم القلانس ، وانصرف ، فتبعوه في الانصراف .

وقام الرجل إلى قلانسه فجمعها[3] .

---

١ يعني المطر .

٢ شر الثوب : نشره في الشمس ليجف ، هذه الكلمة مستعملة ببغداد إلى الآن .

٣ انفردت بها ب .

١٨٥

القرود المستأنسة في اليمن

تشتري الحاجات من السوق

وحدّثني أيضاً[١] ، قال :

رأيت قروداً عدّة مستأنسة ببلدان اليمن[٢]، القرد منها يخرج بالزنبيل من منزل صاحبه ، ومعه الفضّة ، فيقف على بائع اللحم ، والخبز ، وغيرهما ، ويومئ له بما يريده ، ويعطيه ثمنه ، ويحمل الحاجة إلى منزل صاحبه[٣] .

---

١ يعني أبا غانم عبد الملك بن علي السقطي .

٢ من خصائص اليمن : السيوف والبرود والقرود (لطائف المعارف ١٦٦) .

٣ انفردت بها ب .

١٨٦

أبو عبد الله المزابلي

والروح الأمين جبريل رسول رب العالمين

وحدّثني أبي ، قال :

كان عندنا بجبل أنطاكية ، المعروف بجبل اللُّكام[١] ، رجل يتعبّد ، يقال له : أبو عبد الله المزابليّ .

وسمّي بذلك ، لأنّه كان بالليل يدخل إلى البلد ، فيتتبّع المزابل،فيأخذ ما يجده فيها ، فيغسله ، ويقتات به ، لا يعرف قُوتاً غير ذلك ، وأن يتوغّل في جبل اللُّكام ، فيأكل من الأثمار المباحة فيه .

وكان صالحاً مجتهداً ، إلاّ أنّه كان حشوياً ، غير وافر العقل ، وكانت له سوق عظيمةٌ في العامّة بأنطاكية .

وكان بها موسى بن الزكوريّ صاحب المجون والسفه[٢] في شعره والحماقات وكان له جار يغشى المزابليّ .

فجرى بين موسى بن الزكوريّ ، وجاره ذاك شرّ ، فشكاه إلى المزابليّ فلعنه المزابليّ في دعائه، وكان الناس يقصدونه في كل يوم جمعة غدوة ، فيتكلّم عليهم ويدعو .

فلما سمعوا لعنه لابن الزكوريّ ، جاء الناس إلى داره أرسالاً لقتله، فهرب ، ونهبت داره ، وطلبته العامّة فاستتر .

فلما طال استتاره ، قال : إنّي سأحتال على [١٨٧ ب] المزابليّ بحيلة

---

١ جبل اللكام (بالضم) : الجبل المشرف على أنطاكية ، وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس (معجم البلدان ٤/ ٣٦٤) .

٢ في ب : الصفير .

أتخلّص منه بها ، فأعينوني ، فقلت : ما تريد ؟

فقال : أعطوني ثوباً جديداً ، وشيئاً من الندّ والمسك ، ومِجمرة ، وناراً ، وغلماناً يؤنسوني الليلة في الطريق إلى الجبل .

قال أبي : فأعطيته ذلك كلّه .

فلما كان في نصف الليل ، مضى ، وخرج الغلمان معه إلى الجبل ، حتى صعد فوق الكهف الذي يأوي إليه المزابليّ ، فبخّر بالندّ والمسك ، فدخلت الريح إلى كهف أبي عبد الله ، وصاح بحلق عظيم : يا أبا عبد الله المزابليّ .

فلما شمّ تلك الرائحة ، وسمع الصوت ، أنكرهما .

فقال : ما لك عافاك الله ، ومن أنت ؟

فقال ابن الزكوريّ : أنا الروح الأمين ، جبريل ، رسول رب العالمين ، أرسلني إليك .

فلم يشكّ المزابليّ في صدق القول ، فأجهش بالبكاء والدعاء ، وقال : يا جبريل ، من أنا حتى يرسلك ربّ العالمين إليّ .

فقال : الرحمان يقرؤك السلام ، ويقول لك : موسى ابن الزكوريّ غداً رفيقك في الجنة .

فصعق أبو عبد الله ، وسمع صوت الثياب ، وقد كان خرج فرأى بياضها ، فتركه موسى ورجع .

فلما كان من الغد ، كان يوم جمعة ، فأقبل المزابليّ يخبر الناس برسالة جبريل ، ويقول : تمسّحوا بابن الزكوريّ ، واسألوه أن يجعلني في حلّ ، واطلبوه لي .

فأقبل العامّة أرسالاً إلى دار ابن الزكوري ، يطلبونه ليتمسّحوا به ويستحلّوه للمزابليّ ، فظهر ، وأمن على نفسه[1] .

---

[1] انفردت بها ب .



عيار بغدادي يحتال على أهل حمص

حدّثني أبو الطيّب بن عبد المؤمن ، قال :

خرج بعض حذاق المكدّين من بغداد إلى حمص ، ومعه امرأته .

فلما حصل بها ، قال لها : إنّ هٰذا بلد حماقة ومال ، وإنّي أُريد أن أعمل معيياً[1] — قال : وهذه كلمة لهم إذا أرادوا أن يعملوا حيلة كبيرة — فساعديني عليها بالصبر .

قالت : شأنك .

فقال : كوني بموضعك ، ولا تجتازين بي البتّة ، وإذا كان كلّ يوم خذي لي ثلثي رطل زبيباً ، وثلثي رطل لوزاً نيّاً ، فاعجنيه ، واجعليه وقت الهاجرة على آجرة نظيفة ، لأعرفها ، في الميضأة الفلانيّة ، وكانت قريبة من الجامع ، ولا تزيديني على هذا شيئاً ، ولا تمرّين بناحيتي .

فقالت : أفعلُ .

قال : وجاء هو ، وأخرج جبّة صوف كانت معه ، فلبسها ، وسراويل صوف ، ومئزراً جعله على رأسه .

واعتمد اسطوانة في الجامع بحيث يجتاز عليها أكثر الناس ، فلَزِمها يصلّي نهاره أجمع ، وليله أجمع ، ولا يستريح إلاّ في الأوقات المحضورة فيها الصلاة ، وإذا جلس للراحة سبّح ، ولم ينطق بلفظة .

ولم يشعر به أيّاماً ، ثم تنبّه على مكانه .

وروعي مدة ، وعرف خبره ، ووضعت العيون عليه ، فإذا هو لا يقطع

---

[1] المعيي : هو المعجز أو المتعب الذي يعيي غيره أن يقوم به .

الصلاة ، ولا يذوق الطعام ، فتحيّر أهل البلد في أمره .

وكان لا يخرج من الجامع إلاّ في الهاجرة ، في كل يوم دفعة ، حتى يمضي إلى تلك الميضأة ، فيبول ، ويعمد إلى تلك الآجرة ، وقد عرفها ، وعليها ذلك [١٨٨ب] المعجون، وقد صار مستحيلاً ، وصورته صورة الغائط الناشف المستحيل ، فمن يدخل ويخرج ، لا يشك أنّه غائط ، فيأكله ، ويقيم أوده ، ويرجع ، فإذا تمسّح لصلاة العَتَمة في الليل ، شرب كفايته من الماء .

وأهل حمص يظنون أنّه لا يذوق الماء ولا الطعام ، وأنّه طاوٍ طول تلك المدّة .

فعظم شأنه ومحلّه عندهم ، وقصدوه ، وكلّموه ، فلم يجب ، وأحاطوا به ، فلم يلتفت ، واجتهدوا في خطابه ، فلزم لهم هذا الصمت والعمل .

فزاد محلّه عندهم ، حتى إنّهم كانوا إذا خرج للطهور ، جاءوا إلى موضعه فيتمسّحون به ، ويأخذون التراب من موضع مشيه ، ويحملون إليه المرضى فيمسح بيده عليهم .

فلمّا رأى أنّ منزلته قد بلغت إلى ذلك ، وكان قد مضى على هذا الفعل سنة ، اجتمع في الميضأة مع امرأته ، وقال :

إذا كان يوم الجمعة ، كما تصلي الناس [١] ، فتعالي ، فاعلقي بي ، والطمي وجهي ، وقولي لي : يا عدوّ الله يا فاسق ، قتلت ابني ببغداد ، وهربت إلى هاهنا ، وجئت تتعبّد ، وعبادتك مضروب بها وجهك .

ولا تفارقيني ، وأظهري أنّك تريدين قتلي بابنك ، فإن الناس يجتمعون عليك ، وأمنعهم أنا من أذيّتك ، وأعترف بأنّي قتلته ، وتبت ، وجئت إلى هاهنا ، للعبادة والتوبة ، والندم على ما كان منّي .

---

١ تعبير بغدادي يعني : عندما يصلّي الناس .

فاطلبي قَوَدِي بإقراري ، وحملي إلى السلطان ، فسيعرضون لك الدية فلا تقبليها ، أو يبذلوا لك عشر ديات ، أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم ، وحرصهم .

فإذا تناهت عطيّتهم في افتدائي إلى حدّ يقع لك أنّهم لا يزيدون بعده شيئاً ، فاقبلي الفداء منهم ، واجمعي المال ، وخذيه ، واخرجي من يومك عن البلد إلى طريق بغداد ، فإنّي سأهرب ، وأتبعك .

فلما كان من الغد جاءت المرأة ، فلما رأته ، فعلت به ما قال لها ، ولطمته وقالت المقالة التي علّمها .

فقام أهل البلد ليقتلوها ، وقالوا : يا عدوّة الله ، هذا من الأبدال[1] هذا من قوّام العالم[2] هذا قطب الوقت[3] ، هذا صاحب الزمان ، هذا ، هذا .

فأومأ إليهم أن اصبروا ولا تنالوها بسوء ، فصبروا ، وأوجز صلاته ، ثم سلّم ، وتمرّغ في الأرض طويلاً .

ثم قال للناس : هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت فيكم ؟

فاستبشروا لسماع كلامه ، وارتفعت صيحة عظيمة ، وقالوا : لا .

قال : فإنّي إنّما أقمت عندكم تائباً ممّا ذكرته ، وقد كنت رجلاً في زيغ وخسارة ، فقتلت ابن هذه المرأة ، وتبت ، وجئت إلى هاهنا للعبادة ،

---

١ البدل : من مصطلحات الصوفية ، وهم سبعة رجال ، من سافر منهم من موضع ترك جسداً على صورته حياً بحياته ، ظاهراً بأعمال أصله ، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد (التعريفات للجرجاني) .

٢ العالم : في اصطلاحات الصوفية : كل ما سوى الله من الموجودات ، لأنه يعلم به الله ، من حيث أسمائه وصفاته (التعريفات) .

٣ القطب : من مصطلحات الصوفية ، وقد يسمى غوثاً ، باعتبار التجاء الملهوف إليه ، والقطب عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان (التعريفات) .

وكنت محدّثاً نفسي بالرجوع إليها ، وطلبتها لتقيدني [1] ، خوفاً من أن لا تكون توبتي قد صحّت ، وما زلت أدعو الله تعالى أن يقبل توبتي ، ويمكّنها مني ، إلى أن أجيبت دعوتي [١٨٩ب] ، وقبل الله توبتي ، لمّا جمعني وإيّاها ، ومكّنها من قودي ، فدعوها تقتلني ، وأستودعكم الله تعالى .

قال : فارتفعت الصيحة والبكاء .

وقال له هذا : يا عبد الله ادع لي .

وقال له هذا : ادع لي .

وأقبلت المرأة بين يديه ، وهو مارّ إلى والي البلد ، وهو يمشي على تأنٍّ ورفق ، ليخرج من الجامع إلى دار الأمير ، فيقتله بابنها .

فقال الشيوخ : يا قوم لم ضللتم عن مداواة هذه المحنة ؟ وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح ؟ فارفقوا بالمرأة ، وسلوها قبول الدية ، ونجعلها من أموالنا .

فأطافوا بها ، وسألوها ، فقالت : لا أفعل .

قالوا : خذي ديتين .

فقالت : شعرة من ابني بألف دية .

فما زالوا حتّى بلغوا عشرَ ديات .

فقالت : اجمعوا المال ، فإذا رأيته ، إن طاب قلبي بقبوله ، والعفو عن الدم ، فعلت ، وإلاّ قتلت القاتل .

فقالوا : نعم .

فقال الرجل : قومي عافاك الله ، وردّيني إلى موضعي من الجامع .

قالت : لا أفعل .

---

١ في ب : لتمتدي ، وتقيدني من القود : يعني تقتلني بولدها .

قال : فذاك إليك .

فما زالوا يجمعون إلى أن جمعوا مائة ألف درهم ، فقالوا : خذيها .

قالت : لا أُريد إلاّ قتل قاتل ابني ، فهو آثر في نفسي .

فأقبل الناس يرمون بثيابهم ، وأرديتهم ، وخواتيمهم ، والنساء بحليهنّ ، والرجال كلّ يرمي بشيء من متاعه ، ومن لم يتحمّل من ذلك الفداء ، كان في أمر عظيم ، وكأنّه قد خرج من الدنيا .

فأخذته ، وأبرأته من الدم ، وانصرفت .

فأقام الرجل في الجامع أيّاماً يسيرة ، حتّى علم أنها قد بعدت ، ثم هرب في بعض الليالي ، وطلب من غَدٍ فلم يوجد ، ولا عرف له خبر .

حتّى انكشف لهم أنّها حيلة عملها ، بعد مدّة طويلة [1] .

---

١ انفردت بها ب .

١٨٨

صوفيٌّ سمع ، فطرب ، فتواجد ، فمات

رأيت ببغداد صوفياً يعرف بأبي الفتح ، أعور ، في مجلس أبي عبد الله ابن البهلول ، يقرأ بألحانٍ ، قراءة حسنة ، وصبيّ يقرأ ﴿ أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر ﴾[١] .

فزعق الصوفيّ : بلى ، بلى ، دفعات ، وأغمي عليه طول المجلس ، وتفرّق الناس عن الموضع .

وكان الاجتماع في صحن دار كنتُ أنزلها ، فلم يكن الصوفيّ أفاق ، فتركته مكانه ، فما أفاق إلى قرب العصر ، ثم قام .

فلما كان بعد أيّام، سألت عنه، فعرفت أنّه حضر عند جارية بالكرخ، تقول بالقضيب[٢] ، فسمعها تقول الأبيات التي فيها :

وجهك الميمـون حجّتنـا حين تأتي الناس بالحجج

فتواجد ودقّ صدره ، إلى أن أغمي عليه ، فسقط .

فلما انقضى المجلس ، حرّكوه ، فوجدوه ميتاً ، فشالوه ، ودفنوه ، واستفاض الخبر بهذا وشاع .

والأبيات لعبد الصمد بن المعذّل[٣] ، وهي في أمالي الصولي عنه بإسناد ثابت في أصول سماعاتي :

---

١ ٣٧ ك فاطر ٣٥ .

٢ يعني : تغني بالقضيب ؛ الشرح في حاشية القصة ٢ / ١٨٠ من النشوار .

٣ عبد الصمد بن المعذل : أبو القاسم عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي ، من بني عبد القيس من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ بالبصرة ، وكان هجاءاً شديد العارضة ، ترجمه صاحب الأغاني ترجمة مفصلة ، توفي سنة ٢٤٠ (الأعلام ٤ / ١٣٤) .

يا بديع الدلّ والغنج لك سلطان على المهج [١٩٠ ب]

إنّ بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج

لا أتاح الله لي فرجاً يوم أدعو منك بالفرج

وجهك المأمول حجّتنا يوم تأتي الناس بالحجج

والصوفيّة ، إذا قالوا : وجهك المأمول، يقلبونه إلى ما لهم في ذلك من المعاني .

وكانت قصّة هذا الرجل ، وموته في سنة خمسين وثلثمائة ، وأمره من مفردات الأخبار[١] .

---

١ انفردت بها ب .

١٨٩

مكدّيان بغداديان

يحتالان على الناس

حدّثني جماعة من شيوخ بغداد :

إنّه كان بها في طرفي الجسر سائلان أعميان ، يتوسّل أحدهما بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، والآخر بمعاوية، ويتعصّب لهما الناس ، وتجيئهما القطع [١] دارّة .

فإذا انصرفا جميعاً ، اقتسما القطع ، وإنّهما كانا شريكين ، يحتالان بذلك على الناس [٢] .

---

١ القطع : يعني قطع النقود .

٢ انفردت بها ب .

١٩٠

كلنا صيادون لكن الشباك تختلف

حدّثني أبو أحمد عبد السلام بن عمر بن الحارث [١] ، قال :

جاء رجلٌ من الصوفية إلى بجكم [٢] وهو بواسط ، فوعَظَهُ ، وتكلّم عليه بالفارسية والعربية ، حتى أبكاه بكاء شديداً .

فلمّا ولّى من بين يديه خارجاً ، قال بجكم لبعض من بحضرته : احمل معه ألف درهم ، وادفعها إليه .

قال : فحملت ، فأقبل بجكم على من بين يديه ، فقال : ما أظنه يقبلها وهذا محترق بالعبادة ، أيش يعمل بالدراهم .

قال : فما كان بأسرع من أن رجع رسوله الذي كان أنفذه بالدراهم ، فارغ اليد .

فقال له بجكم : أيّ شيء عملت ؟

قال : أخذت إليه الدراهم ، وأعطيته إيّاها .

قال بجكم : فأخذها ؟

قال : نعم .

فعضّ بجكم على شفتيه، وقال : إنّا لله ، حيلة تمت عليّ، كلّنا صيادون لكنّ الشباك تختلف [٣] .

---

١ لعله أبو أحمد عبد الله بن عمر بن الحارث السراج الواسطي المعروف بالحارثي ، وقد نقل عنه صاحب النشوار كثيراً من القصص .

٢ بجكم أمير الأمراء : ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٠٦ من النشوار .

٣ انفردت بها ب ، ووردت في المنتظم ٦ / ٣٢٢ .

١٩١

تاجر يتحدث عن صفقة

عقدها وراء باب الأبواب

وحدّثني أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب [١] ، عن رجل من التجّار الموغلين في الأسفار ، قال :

سافرتُ إلى وراء باب الأبواب [٢] بمسافة بعيدة ، ومعي متاع .

فبلغت أرضاً لها أهل بيض شقر ، مرط ، دقاق ، قصار ، عراة ، قليلو الأظفار ، لغتهم لغة غير الفارسية والتركية ، لا أعرفها، لا ورِق [٣] ، في بلادهم ، ولا عين [٤] ، وإنّما يتعاملون بالأمتعة ، والأغلب عندهم الغنم .

فَحُمِلْتُ إلى ملكهم ، فعرضت عليه ما معي ، فاستحسن منه ثوب ديباج كان معي ، منقّطاً ، فسألني عن ثمنه ، فاستمت مالاً كثيراً .

فقال لي : لا مال عندنا وإنّما هي هذه الأمتعة ، فإن صلحت لك ، فخذ ما شئت .

فقلت : لا تصلح لي .

فقال : فالغنم ؟

فقلت : كم عساك تعطيني ؟

---

١ أبو علي الأنباري : في الأصل بن أحمد والصحيح ما أثبتناه ، وهو أبوعلي الحسن بن محمد الأنباري : ترجمته في حاشية القصة ٢ / ٨٦ من النشوار .

٢ باب الأبواب : مدينة على بحر طبرستان وهو بحر الخزر كثيرة الزروع قليلة الأثمار. معجم البلدان ١/ ٤٣٧ .

٣ الورق : الفضة .

٤ العين : الذهب .

فقال : حكمك .

فقلت : بعدد كل نقطة في الثوب شاة . [١٩١ب]

فقال : قد أجبتك .

فأخذت أعدّ النقط ، فلم ينضبط لي ذلك ، وجهد جميع من عنده في هذا ، فتعذّر عليهم .

فقال لي : ما نعمل الآن ، قد تعبنا ، وأتعبناك في شيء لا يصحّ ، فهممت بحمل الثوب والانصراف .

ففكّر ساعة ، ثم قال لترجمانه : قل له يبسط الثوب .

وكان له ترجمانان ، يكلّم أحدهما بلغته ، فيكلّم الترجمان ، ترجماناً آخر ، بلغة أُخرى ، فيكلّمني ذاك بالفارسية ، فأفهم .

قال : فبسطت الثوب ، وأمر الملك ، فأحضر كلّ ما قدر عليه من حصى صغار وأحجار لطيفة ، فترك على كل نقطة حصاة ، حتى امتلأ الثوب بالحصى والحجارة اللطاف فوق النقط .

ثم أمر بجمع أمر عظيم من الغنم ، وأوقفت بحضرته ، وأمر رجالاً أن يجلسوا ، ورجالاً [أن يقوموا] فجلس بعضهم على الثوب .

فكانوا يأخذون حصاة حصاة فيلقونها عن الثوب ، فكلما ألقى من الجلوس رجلٌ حصاةً ، أخذ رجل من القيام ، شاة من الموضع الذي فيه الغنم إلى رحلي ، وسلّمت إلى أصحابي ، حتى استوفيت على عدد الحصى الذي كان فوق الثوب ، بكل نقطة شاة .

قال : فاستحسنت فطنته لذلك ، فقلت للتراجم : قولوا له : ما أنصرف إلى بلدي بشيء أحسن من فطنة الملك ، لاستخراج هذا ، فكيف وقع له هذا وهو لا يلابس مثله ؟ وأنا تاجر ، وما وقع لي ، ولا لجميع أهل مملكته .

قال : فأعجبه قولي ، وقال : إنّك لما أردت الانصراف ، تأسّفت على

ما يفوتني من الثوب ، ففكّرت ، والملوك لا بدّ أن يدرّبهم الملك ، ويصيّر لهم مزيّة في حيل الرأي في الحوادث التي تطرقهم ، ليست لغيرهم ، لأنّ أفكارهم صافية من الاهتمام بما يهمّ به غيرهم من المعايش ، موقوفةٌ على مصالح المملكة ، ومداراة الخوارج ، أو على الشهوات ، قدر ما شغلوا به نفوسهم ، وليس يتحصّل لواحد منهم الملك ، إلاّ لشرفه ، ومعنى قد فضل به ، وتقدّم من أجله ، إما بسعادة تخدمه ، أو بفضل في نفسه ، فلما رأيت أنّ الثوب يريد[1] أن يفوتني ، فكّرت ، كيف الحيلة في عدّ النقط ، فوقع لي ما رأيت .

فقلت له : أيّها الملك ، فائدتي بما سمعته منك ، من هذا الكلام، أحب إليّ من فائدتي بما ربحته عليك في ثمن الثوب .

قال : فأجازني بجائزة سنيّة ، وأصحبني من آنسني ، وخدمني في طريقي ، وحمل معي تلك الغنم ، إلى أن خرجت من أعماله ، فبعتها بمال عظيم[2] .

---

١ (يريد) هنا بمعنى (يكاد) ، وقد ورد في القرآن الكريم : فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه (٧٧ – الكهف ١٨) .

٢ انفردت بها ب .

١٩٢

أبو علي الأنباري

والطبيب يوحنّا الأهوازي

حدّثني أبو عليّ الأنباري [١] ، قال :

كنت بحضرة أبي يوسف البريديّ [٢] ، فكتبت كتباً كثيرة [٣] ، وحمي النهار ، فقمت ضجراً ، أمشي في الصحن الأعظم من الدار ، فلقيت يوحنّا الطبيب الأهوازيّ النصرانيّ [٤] ، فقال : يا أبا [١٩٢ ب] عليّ افتصد الساعة ، وإلاّ طعنت .

فقلت : أمسِ افتصدتُ .

قال : فحلّ إزارك ، وسراويلك .

قال : فوقفت ، وفعلت ذلك .

فقال لي : لو لم يتغيّر لونك إلى الإسفار ، لفصدتك ثانية .

قال : فعجبت من فطنته لاجتماع الدم في وجهي ، ومعالجته بسرعة [٥] .

---

١ أبو علي الأنباري الحسن بن محمد الكاتب : راجع حاشية القصة ٢ / ٨٦ من النشوار .

٢ أبو يوسف البريدي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٦٦ من النشوار ، راجع القصة ٧/١٢٢ ، وحاشية القصة ١/٤ من النشوار .

٣ كان أبو علي الحسن بن محمد الأنباري في خدمة أبي يوسف البريدي ، إلى أن قتل أبو يوسف في السنة ٣٣٢ ، فاستتر من ابي عبد الله البريدي ، وتوسط أمره القاضي أبو الحسين بن نصرويه (تجارب الأمم ٢/٥٤) واتصل بعد ذلك بالوزير المهلبي ، وتزوج ابنته ، وارتفع نجمه في الدولة البويهية .

٤ أبو زكريا يوحنا الطبيب النصراني الأهوازي : كان متقدماً في صناعته ، مقيماً بالأهواز ، وكان يطبب أبا عبد الله البريدي (تجارب الأمم ١ / ٣٨٠) .

٥ انفردت بها ب .

١٩٣

طبيب يتحدث عن بعض خواص النارنج

وحدّثني أبو عليّ[١]، قال : دخل يوحنّا[٢] يوماً إلى داري ، وبحضرتي مطاولات[٣] كثيرة ، فيها نارنج ، فحين رآها ، قال يوحنّا : منذ كم هذه الأطباق عندك ؟

فقلت : منذ أيام .

فقال : إنّا لله ، تقدّم برفعها الساعة ، والا لم أجلس وهي أمامي[٤] .

فقلت : شيلوها .

ثم قلت : ما السبب في هذا ؟

فقال : إنّ النارنج خاصيته أن يرعف[٥] ، وإنّه لا يرعف أحد عقيب إدمانه شمّهُ رعافاً يكون سببه شمّه أو بالاتفاق ، إلاّ يدوم رعافه إلى أن يموت ، فلا حيلة فيه[٦] .

---

١ أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب .

٢ يوحنا : أبو زكريا يوحنا الطبيب النصراني الأهوازي .

٣ المطاولات : أطباق فيها طول ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ١١ م ٣ .

٤ في الأصل : أنا أمالي .

٥ الرعف والرعاف : خروج الدم من الأنف .

٦ انفردت بها ب .

١٩٤

من شعر ابي القاسم الصروي

أنشدني أبو القاسم الصرويّ لنفسه :

ويوم كيوم البين حـَرّاً قطعته — على سابح طاوي الأياطل سابق

أخوض عليه جمرة القيظ حاسراً — كأنّي على الهجران في قلب عاشق[١]

[١٩٣ ب] .

وهذا آخر الكتاب

وكان الفراغ من كتابته في يوم الجمعة مستهل رجب الفرد سنة ثلاثين وسبعمائة . الحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم [نسخة ب] .

---

١ انفردت بها ب .

محتويات الكتاب

فهرس أسماء الأشخاص

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس جغرافي

فهرس عمراني عام

فهرس الكتب والمراجع

أخبار الحمقى والمغفلين : ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي – طبع بيروت .

أخبار القضاة : القاضي وكيع ، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان الضبيّ ،طبع مصر .

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب = معجم الأدباء .

اصطلاحات الصوفية ، الواردة في الفتوحات المكية : مذيل لكتاب التعريفات للجرجاني .

الأعلام : خير الدين الزركلي – الطبعة الثالثة .

الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني – طبعة بولاق .

الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني – طبعة دار الكتب بالقاهرة .

الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني – طبعة ليدن .

الألفاظ الفارسية المعربة : أدي شير – المطبعة الكاثوليكية بيروت .

الأنساب : السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميميّ – نشر المستشرق
د . س . مرجليوث – طبع لندن ١٩١٣ .

البصائر والذخائر : أبو حيان التوحيدي ، تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ، طبع دمشق

تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت – بيروت .

تاريخ الحكماء : جمال الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف القفطي

تاريخ الرسل والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبع دار المعارف بمصر

تجارب الأمم : أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه – تحقيق آمدروز – طبع مصر
١٩١٤ .

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء : أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي – تحقيق عبد الستار
أحمد فراج – القاهرة ١٩٥٨

التعريفات : السيد الشريف الجرجاني – طبعة اصطنبول ١٢٨٣

تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه ـ طوبيا العنيسي ـ دار العرب للبستاني بالقاهرة ١٩٦٥ .

التوفيقات الإلهامية : أحمد مختار .

ثمرات الأوراق : تقي الدين أبو بكر بن علي المعروف بابن حجّة الحموي ـ حاشية على المستطرف ـ طبعة الحلبي بالقاهرة .

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية : ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي المعروف بابن البيطار ـ طبعة بولاق ١٢٩١ .

جمع الجواهر في الملح والنوادر : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ـ طبعة الخانجي سنة ١٣٥٣ بالقاهرة .

حكاية أبي القاسم البغدادي : أبو المطهر الأزدي ، تحقيق ونشر آدم متيز ـ هيدلبرج ١٩٠٩ .

دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية : ١٥ مجلداً ١٩٣٣ .

درة الغوّاص في أوهام الخواص : الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي .

ديوان أبي فراس : رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه ـ طبع دار صادر بيروت ١٩٥٥ .

شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب : عبد الحي بن العماد الحنبلي ٨ مجلدات ، طبعة القدسي .

الطبيخ : محمد بن عبد الكريم البغدادي ـ تحقيق الدكتور داود الجلبي ـ بيروت .

غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين محمد بن الجزري ـ تحقيق برجستراسر ـ طبعة الخانجي ١٩٣٢ .

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : ابن الطقطقا ، علي بن محمد بن طباطبا ـ طبعة دار صادر .

الفرج بعد الشدة : أبو عليّ المحسّن التنوخي ـ طبعة دار الهلال بمصر ١٩١٤ .

فرج المهموم في مواقع النجوم : رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد ابن طاووس الحسنيّ الحسينيّ ـ طبع النجف .

فقه اللغة : الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ـ طبعة البابي بالقاهرة ١٩٣٨ .

الفهرست : ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق — طبعة غوستاف فلوغل — ليبزك .
فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي — طبع بولاق — مجلدان اثنان .
القانون في الطب : ابن سينا ، أبو عليّ شرف الملك الحسين بن عبد الله — طبعة بولاق بالقاهرة .
الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري — عن طبعة المستشرق تورنبرغ — طبع دار صادر ١٩٦٦—١٣ مجلداً مع الفهرس .
الكامل في اللغة والأدب : المبرّد ، أبو العباس محمد بن يزيد الثماليّ الأزدي . طبع دار التقدم بمصر ١٣٢٣ .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : الحاج خليفة — طبعة اصطنبول ٦ مجلدات .
لسان العرب : ابن منظور المصري — طبعة صادر .
لطائف المعارف : الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري — تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي — طبعة الحلبي بالقاهرة .
مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلد الثالث حـ ٥ و ٧ و ٨ و ١١ .
مجلة المشرق — لبنان — السنة الثالثة والأربعون — آب — كانون الأول ٤٩
مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي ، أبو علي ، الفضل بن الحسن — طبع بيروت ١٠ حـ ٥ م .
المحاسن والمساوىء : البيهقي ، إبراهيم بن محمد — مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦ .
مروج الذهب : المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن عليّ — تحقيق محيي الدين عبد الحميد — طبعة الشعب — القاهرة ١٩٦٦
المشترك وضعاً والمفترق صقعاً : ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي — طبع وستنفلد ١٨٦٤ .
مطالع البدور في منازل السرور : علاء الدين الغزولي — مطبعة الوطن بمصر ١٢٩٩ .
معالم القربة في أحكام الحسبة : ابن الإخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي — تحقيق روبن ليوي — طبع دار الفنون بكيمرج ١٩٣٧ .
معجم الأدباء : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب — ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي — طبعة مرجليوث ١٩٢٤ ٧ مجلدات

معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي : المستشرق زامباور – جامعة فؤاد الأول ١٩٥١ .
معجم البلدان : ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي – طبعة وستنفلد ٦ مجلدات مع الفهارس .
معجم الحيوان : أمين المعلوف – طبع دار المقتطف ١٩٣٢ .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي – مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٣٤ .
مفاتيح العلوم : الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب – الطبعة المنيرية ١٣٤٢ .
الملل والنحل : الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد – هامش على الملل والنحل لابن حزم – طبعة الخانجي ١٣٢١ .
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم – ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي – طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ .
المنجد : الأب لويس معلوف – ط ١٩ – بيروت .
الموسوعة التيمورية – أحمد تيمور .
نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني : جمع المستشرق ماريوس كنار – الجزائر ١٩٣٤ .
الهفوات النادرة : غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابي – تحقيق الدكتور صالح الأشتر ، دمشق ١٩٦٧ .
الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، طبع دار صادر .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان ، القاضي شمس الدين .
أحمد بن محمد بن أبي بكر – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – طبع القاهرة ١٩٤٨ .
الولاة والقضاة : أبو عمر محمد بن يوسف الكندي – تحقيق المستشرق رفن كست – بيروت ١٩٠٨ .
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد بالقاهرة ١٩٥٦ .

رموز

= : راجع

م : مقدمة المؤلف

الأرقام المطبوعة بحروف سوداء تشير إلى التراجم

الأرقام المثبتة في العمود الأيمن : للصفحات ، والأرقام التالية لها : للقصص .

الفهارس

بعونه تعالى

تم طبع الجزء الثاني من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار
المذاكرة يوم الأربعاء الرابع من شهر آب ١٩٧١
على مطابع دار صادر في بيروت

DAR SADER Publishers
P.O.Box 10 - BEIRUT

THE TABLE-TALK OF A MESOPOTAMIAN JUDGE

BEING THE SECOND PART OF THE

NISHWĀR AL-MUHĀDARAH

OF

ABU 'ALĪ AL-MUHASSIN AL-TANŪKHĪ

Vol. II

EDITED BY

ABOOD SHALCHY
LAWYER

DAR SADER
BEIRUT